

BIENTOT
ISLAMIQUE !

الإسلاميون الجزائريون

بين صناديق الانتخاب والأدغال

تأليف : سيقيرين لآبا ■ ترجمة : حمادة إبراهيم

المجلس
الأعلى
للثقافة



المشروع القومى للترجمة



مكتبة طريق العلم

www.books4arab.com

<http://www.books4arab.com>

الإسلاميون الجزائريون

بين صناديق الانتخاب والأدغال

تأليف : سيفيرين لوبا

ترجمة : حمادة إبراهيم



المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٣٤

- الإسلاميون الجزائريون

(بين صناديق الانتخاب والأدغال)

- سيفيرين لابي

- حمادة إبراهيم

- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

هذه ترجمة كاملة للكتاب

LES ISLAMISTES

ALGÉRIENS

Entre les urnes et le maquis

تأليف :

SEVÉRINE LABAT

EDITONS DU SEUIL, 1995

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأزيرة - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

9 مقدمة المترجم
11 إهداء
13 تقديم
17 شكر وعرفان
19 المقدمة
الباب الأول - النزعة الإسلامية في قلب السلطة	
29 ١ - انهيار شرعية النظام :
 • فشل نموذج التنمية الجزائرى
 • مثالب النظام الاقتصادى العالمى
 • "من أجل حياة أفضل ؟ نعم ولكن فى الخارج !"
43 ٢ - جيل أكتوبر :
 • دولة - وطن/دولة - مقاطعات
 • النخبة التقنية المهمشة : القطيعة مع السلطة
 • سوء حسابات حركة التعريب
 • أكتوبر ١٩٨٨ : التقاء المعارضات
 • دولة ظالمة = دولة كافرة ؛ على بن حاج و "الحل الإسلامى"
61 ٣ - العروبة والإسلام فى قلب الجدل السياسى :
 • العروبة والإسلام : دور العلماء فى تشكيل الوطنية الجزائرية
 • جبهة التحرير الوطنى ، خلفاً للحركة الإصلاحية

- ثأر العلماء
- النزعة الإسلامية في الخطاب الوطني
- عباس مدني : بين "الإصلاح الجديد" والنزعة الإسلامية
- 79 ٤ - النزعة الإسلامية ضد السلطة :
- مالك بن نبي رائد النزعة الإسلامية "الجزيرة"
- مولد أسطورة : الجزيرة
- مناضلو الشرق
- عصر الوعظ
- أصول السلفية
- ملحمة بوبالي
- 5 - أزمة الحزب الواحد ، وميلاد قوة سياسية جديدة : الجبهة الإسلامية للإنقاذ :
- 99 • شقايات داخل النظام
- ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ
- الباب الثاني - اختيار الشرعية
- 107 ١ - الغواية المزدوجة لنخب الإسلاميين :
- الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مواجهة السلطة : بين التساهل والتشدد ...
- حرب الخليج
- الإضراب المقدس ، مايو ويونيو ١٩٩١
- مؤتمر باتنه (٢٥ ، ٢٦ يوليو ١٩٩١) "ثورة مآذن"
- طريق صناديق الانتخابات

- ٢ - التيقراطيون أو ثورة التطهير : 121
- "المؤسسون التاريخيون" للحزب
 - "تيوقراطية" ثورية
- ٣ - التقنيون أو النزعة الإسلامية العصرية : 129
- أمين ، أو استعادة الهوية
 - رياح كبير
 - عبد الكريم ، أو الدخول في السياسة
 - أنور هدام ، أو انتقام التلمسانيين
 - "تقنية" مناصرة
- ٤ - نخبة الإسلاميين والسيطرة على المجتمع الحضري : 151
- عرض سريع للسوسيولوجيا الانتخابية للجهة الإسلامية للإنقاذ
 - جهاز سياسى ووظيفة قبلية
 - نشر الأخلاق الحميدة
- ٥ - طرق العودة إلى الإسلام : 161
- استعادة الشعور بالاحترام
 - الاندماج مع الناس والتعايش الاجتماعى
 - فى انتظار الدولة الإسلامية
 - حدود الاستراتيجية القانونية

الباب الثالث - ابتلاء العنف السياسى

- ١ - صبيحة السادس والعشرين من ديسمبر : 179
- الحركة الإسلامية المسلحة - جيش الإنقاذ الإسلامى - الجماعات الإسلامية المسلحة
 - سموم الشقاق
 - فشل إقامة الحوار
- ٢ - تبرير شرعية العنف : 191
- المعسكرات : مدرسة لكوادر الصراع المسلح
 - "المعركة الجديدة" فى الجزائر العاصمة
 - جغرافية الكفاح المسلح
- ٣ - الاستراتيجية الثورية والانحراف الإرهابى : 197
- جيل الجماعات الإسلامية المسلحة
 - قرصنة سياسية - دينية
 - الجماعات المسلحة والجماهير الحضرية
 - محاولة التدويل
 - العنف والرهانات الاقتصادية
 - بحثاً عن حل سياسى
- الخاتمة 213
- ملحق (١) سرد لأهم الأحداث 221
- ملحق (٢) بيانات وخرائط 249

مقدمة المترجم

بعد أن كانت الجزائر في السبعينيات ، وبسبب نضالها من أجل الاستقلال الذي ضحت في سبيله بمليون شهيد ، نولة رائدة على مستوى بلدان العالم الثالث ، إذا بها تعيش حرباً مدمرة لا اسم لها تقضى على الأخضر واليابس . وتأتى تجاوزات الجماعات الإسلامية المسلحة لكى تهز الرأى العام وتزلزله وتخفى وجوه الحركة الإسلامية المتعددة تحت قناع الإسلام .

لقد كانت جبهة الإنقاذ الإسلامى ، منذ مولدها فى عام ١٩٨٩ ، المعبر الحقيقى عن حركة اجتماعية معارضة واسعة المدى . ومع ذلك ، فإن مفهوم الدولة الإسلامية المستقبلية ، لا يفتأ يغذى مجموعة من الخلافات بين "التقنيين" الذين يدعون إلى إسلام عصرى ، وبين الثيوقراطية المتحمسين لثورة تطهير شاملة ، تلك الخلافات لا تخلو من عوامل خاصة وخصومات شخصية .

إن جبهة الإنقاذ الإسلامية - بوصفها حركة جماهيرية وحزباً ذا أطر اجتماعية - جزء لا يتجزأ من المجتمع الذى تعترف به وتحافظ عليه ، أصبحت لا تستطيع أن تحافظ على وحدتها بعد صدور القرار بإلغائها فى يناير ١٩٩٢ ؛ فبعد محنة القمع التى تعرضت لها الحركة الإسلامية ، أصبحت الجبهة منقسمة بين الإستراتيجية الدستورية التى تنتهجها إدارتها ، وبين الخيار "العسكرى" الذى انتهت إليه الجماعات المسلحة التى شكلتها قاعدتها .

وعلى صعيد الأحداث ، فإن الانعطاف الوبيل الذى انزلت إليه الجماعات الإسلامية المسلحة ، سرعان ما جعلها تنجح فى الانفلات من رقابة جبهة الإنقاذ الإسلامية وجيش الإنقاذ الإسلامى الذى يمثل الجناح العسكرى للجبهة .

إن استقطاب هذا الشباب المتطرف من ناحية ، والانخراط في منظومة سياسية سلمية ، تلك هي التحديات الكبرى التي يواجهها الحوار .

وهذا الكتاب ، وهو ثمرة بحث جاد في كل من فرنسا والجزائر ، يلقي الضوء على الأهداف الاجتماعية لجبهة الإنقاذ الإسلامية واستيلاء الإسلاميين في الجزائر على الحكم ، ويقدم تحليلاً دقيقاً لأيديولوجية اجتماعية معارضة هي أداة الوصول إلى السلطة السياسية .

وأخيراً فالكتاب في مجمله مجموعة من الدروس المهمة التي يفيد منها أطراف الصراعات الأيديولوجية والسياسية التي اجتاحت وما تزال تجتاح مناطق كثيرة من العالم المعاصر . وإن مثل هذه الدروس لجديرة بأن تجنب الانزلاق إلى القلق وإلى الهاوية التي لا تبطل الأطراف المتصارعة وحدها ، بل تقضى أيضاً على الأبرياء وتهلك الحرث والنسل وتدمر القيم وتشيع الفساد .

إهداء

إلى نانو و ج.م.ب

تقديم

مجموعة الخرائط الموجودة في ثنايا نص هذا الكتاب تم تنفيذها بالتعاون مع
ميشيل فوشيه ، المدير العام للمرصد الأوربي للجغرافيا السياسية (O E G) ،
فله الشكر الجزيل لمعاونته القيمة .

حينئذ فقط ، سوف تعلمون أن العادل والذي سقط هما إنسان واحد ، واقف بين
الكلب والذئب، بين ليلٍ ذاته القزمية ونهارٍ ذاته الإلهية .

(خليل جبران ، النبی)

وإذ استولى علينا الرعب، وجدنا أنفسنا محاصرين بالمد اللانهائي من العقول
المعتمة القاصرة التي تسلبنا وتنتزع منا حقائقنا لكي تشوهها ، لكي تسطحها، لكي
تحلها إلى أدوات لعواطفها الخاصة .

(فيتو لد جومبر فيكس)

اليوميّات ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٦

هي مناورات ! الهدف منها ليس الحل [...] بقدر ما هو تقوية الثقة ، والحرية التي
يشعر كل منا أنه في حاجة إليها لحظة اتخاذ القرار .

(إرنست جو نجر ، هليوبوليس)

شكر وعرفان

أقدم جزيل شكرى لربى ليقو على عونه وتشجيعه لى .
فهذا الكتاب يدين له بالكثير من النصائح التى أسداها لى
أثناء السنوات الثلاث التى استغرقها البحث فى الجزائر .
كما أعبر عن امتنانى وعرفانى لكل من قدم لى يد العون
فى الجزائر وخارجها ، فبدون مساعداتهم ما كان هذا
الكتاب ليرى النور .

المقدمة

مطار هواري بومدين في الجزائر العاصمة ، الرابع والعشرون من ديسمبر عام ١٩٩٤ . فرقة كوماندوز إسلامية تقتحم طائرة ركاب تابعة لشركة الطيران الفرنسية (إيرفرانس) متجهة إلى باريس وتقوم باحتجاز ٢٣٨ راكباً كرهائن . أفراد الكوماندوز في نحو الخامسة والعشرين من العمر يرتدون ، بالتواطؤ مع بعض الجهات الداخلية، زي العاملين في مطار الدار البيضاء . يحيى عبد الله ورفاقه الثلاثة المسلحون يستعدون ليعيشوا أروع ربع ساعة في حياتهم ، لحظات المجد. بعد قتل أحد رجال الشرطة الجزائريين، وآخر فيتنامي الجنسية ، ويطالبون السلطات المحلية بالإفراج عن "عباس مدني" و "علي بن حاج" ، زعيمى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وبما في السجن منذ يونيو ١٩٩١ ، وكذلك إطلاق سراح عبدالله ليادا (Layada) الأمير السابق للجماعات الإسلامية المسلحة (GIA) والمحكوم عليه بالإعدام في يونيو ١٩٩٤ . غير أن المطلب الرئيسى للمهاجمين كان شيئاً آخر ، فهم مطلوبون من السلطات الجزائرية ومحكوم عليهم بالإعدام مع التنفيذ، لذلك فقد كانوا يسعون إلى تحقيق " خروج صاعق مذهل " ويمطالبونهم بأن تقلع الطائرة إلى باريس بأسرع ما يمكن ، كن الإرهابيون الشباب يريدون الضغط على حكومات الغرب المؤيدة للنظام الجزائرى . وبذلك تصبح فرنسا ، على الرغم منها ، طرفاً أساسياً فى مأساة الجزائر .

أما العسكريون الجزائريون فكانوا لا يريدون تقديم فرصة سانحة للإسلاميين الثبان لتحويل هجومهم إلى انتصار سياسى . واستقر عزمهم على وضع حد سريع، ولو بالقوة، لفترة تسمى إلى صورتهم، فى الخارج أكثر مما هى سينة بالفعل ، وتكشف عن عجزهم عن القضاء، بشكل نهائى ، على المعارضة المسلحة. لم يكتف القادة الجزائريون بعدم إطلاع السلطات الفرنسية على فحوى المطالب الحقيقية للكوماندوز ، واقتصروا على إعلان مطالبة الكوماندوز بإطلاق سراح الزعماء الإسلاميين . وعلى ذلك فقد تأهبوا، فى جو من عدم الاستعداد الكامل، للقيام بهجومهم. وتتقدم فرق كاملة

للتدخل فوق أرض المطار مستعملة الرشاشات الكلاشينكوف . وتزداد حدة التوتر في الخامس والعشرين من ديسمبر حوالى الساعة التاسعة مساءً، حينما يقوم المختطفون بقتل راكب ثالث، وهو هذه المرة فرنسى، طبّاخ فى السفارة الفرنسية. ويتم إلقاء جثته فوق أرض المطار. وهو أمر ليس بالهين بالنسبة للحكومة الفرنسية، التي قررت حل المشكلة فوق ترابها، فتطلب أن تقلع الطائرة إلى فرنسا دون تأخير .

وفى ٢٦ ديسمبر، بعد محاولات فاشلة للتفاوض، ينتهى الأمر "بملحمة" يحيى عبدالله ورفاقه إلى مطار مرسيليا - ماريجانان . ويسقط المختطفون الأربعة تحت وابل طلقات الفرق الخاصة، ولكن بعد أن يظهروا فى صورة " الأبطال الوطنيين " فى عيون جزء من المواطنين فى الأحياء الشعبية فى الجزائر، الذين تمكنوا من متابعة الأحداث على الهواء بفضل وسائل الإعلام الشيطانية .

لقد تمكنوا من مجابهة القوة الاستعمارية السابقة وهم يحملون السلاح فى أيديهم، ولم يستسلموا إلا بعد مقاومة وصفها البعض بأنها " بطولية " ومن ثم دخل أفراد الكوماندوز فى نطاق الأسطورة .

هل الإشكالية هي إشكالية جنود ضحوا بأنفسهم فى سبيل " قضية إسلامية " فى محاولة لإقامة دولة تقوم على تطبيق حرفى للشريعة، أم إشكالية جيل من الشباب التعساء لا يتحقق العدل بالنسبة لهم إلا عن طريق العنف الذى يقوم مقام أى حياة اجتماعية أو سياسية ؟ أيا كان الوضع ، فإن القضية تستحق أن نقف عندها . وهنا يكمن فى الواقع ، كل ما يحيط بالنزعة الإسلامية من غموض، فهي فى ذات الوقت أيديولوجية معارضة اجتماعية وأداة للاستيلاء على السلطة السياسية .

يعارض الإسلاميون العبارات الجاهزة (الكلشيهات) التي ترى فى محاولتهم إما مظهراً لـ " حركة متسولين " يريدون العودة إلى العصور الوسطى ، وإما " ردة " أو رجعية جماعية " من جانب أفراد مفتونين ببلاغة المنابر الخطابية لجماعة من المنتفعين . إن حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو يتألف من مجموعة من أفراد "الطبقات الخطرة " الجديدة التي دفعتها الضغوط السكانية والبطالة إلى نوع من "تمرد الجوع" اللاعقلاني، وبركات زعيم سياسى ، ظل هذا الحزب ، طوال السنوات الثلاث التي تمثل

فترة وجوده الشرعى ، يعد فى أعين الناس النتيجة الوحيدة " لتأثير العنوى " الشهيرة بين الجماهير . هذه النظرية كانت تجعل من ناخبى الحزب الإسلامى أشخاصاً "معادين للديمقراطية" عنوة ومتعصبين للحزب . فمُنذ إلغاء انتخابات يناير ١٩٩٢ ، أصبح انتقال جزء منهم إلى النضال المسلح لا يجد له تفسيراً إلا فى " بربرية " الفاشية الجديدة الخضراء " المتعطشة للدماء " دون إثارة أية تساؤلات حول الجذور التاريخية والاجتماعية والثقافية أو السياسية لذلك العنف الذى أدى فى الجانبين إلى سقوط أكثر من أربعين ألف قتيل جزائرى .

إن تيار النزعة الإسلامية الجزائرى ، وهو ظاهرة سياسية اجتماعية ودينية ، تضرب فى الواقع ، بجذورها فى التاريخ السياسى المعاصر . فخطاب الإسلاميين ، وهو يدعو إلى هوية ثقافية ووطنية ، كما يدعو إلى مصالح مادية ، يحاول منذ أعمال العنف التى وقعت فى أكتوبر ١٩٨٨ ، أن يجعل من نفسه المقاومة المعارضة التى اتسع نطاقها ليشمل إعادة النظر فى النظام السياسى والحزب الواحد . وإن انتشار التيار الإسلامى ليدل ، من هذه الناحية ، على عمق الصراع بين النخبة الحاكمة وبين جزء من الطبقات الشعبية المتوسطة . وسعيًا للحصول على طريق للوصول إلى ثمار الحداثة التى تبدو حتى ذلك الوقت مقصورة على النخبة الحاكمة المتغربة ، ورغبة فى قلب الهرم الاجتماعى لصالحهم ، اعتقدت فئة مهمشة من الشباب الجزائريين ، ومعها طائفة من الطبقات المتوسطة المثقفة ، أن بإمكانها أن تجد فى النزعة الإسلامية الطريق للاستيلاء على القيم الأساسية للثقافة الرسمية التى يمثل فيها الإسلام عنصراً جوهرياً فى شرعية الحكام . إن النزعة الإسلامية ، بوصفها حركة اجتماعية تسعى للدفاع عن "قيم" فى الوقت الذى تتولى فيه تحقيق الانتصار لاتباعها على خصومهم فى المجتمع ، والنزعة الإسلامية تعبر بذلك عن إرادة العناصر المقهورة أو المهمشة فى الاستيلاء على الساحة الثقافية من أجل معارضة هيمنة النخبة الحاكمة ومنازعتها الرقابة التى تمارسها على المصادر الاقتصادية .

ومن الجدير بالذكر ، أنه باسم المحافظة على الاستقلال الوطنى ، فإن قادة التيار القومى الجزائرى فى صورته الثقافية (العربية الإسلامية) والاقتصادية (سياسة التأميم) تمكنوا منذ عام ١٩٦٢ ، من تحقيق السيطرة الكاملة على اقتصاد الدخول . ونتيجة لذلك ،

فإن العناصر المهمشة ، وباسم الدفاع عن مفهوم غامض للهوية الوطنية المعرضة لتهديد " التغريب " فى العادات ، الذى أحدثته النخبة الحاكمة، أقول إن العناصر المهمة بدأت منذ أوائل الثمانينيات فى تسييس (إضفاء الطابع السياسى) معارضتهم للنظام الاجتماعى والمطالبة بمشاركة سياسية أقوى .

وقد حاولت النخبة من الإسلاميين التخفيف من حدة الصراع الاجتماعى وفرض صيغتها فى السجل الثقافى ، وبخاصة أنهم بإنكارهم المصادر الاجتماعية لموقفهم وبمحاولتهم إضفاء طابع القداسة على مسعاهم، قد قضوا على شرعية أى خطاب طبقى . غير أن نجاحهم هذا اعتمد أيضاً على مشاعر المهمشين نتيجة المظالم الاجتماعية، وبخاصة حينما نسبوا الفساد والظلم الاجتماعى إلى " ما جلبه القادة المعروفون بانتمائهم للغرب، من عادات تتعارض مع أخلاق الإسلام " . من هذا المفهوم " يصبح القادة الذين يخشون الله هم وحدهم القادرون على تحقيق العدالة والمساواة وحماية الجزائر من كارثة الفساد الاجتماعى " .

ولقد حققت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فى فترة وجودها الشرعى ، جانباً كبيراً من قوتها ونجاحها بسبب قدرتها على الظهور بمظهر المنظمة المناصرة والمعبرة جزئياً عن هذه الحركة الاجتماعية المعارضة . وكانت الجبهة تمارس فى الوقت ذاته المهام التقليدية للحزب السياسى (وبالذات كممثل لمصالح نخبة) بالإضافة إلى مهمتها كهيئة دفاع عن المهمشين .

وقد تحقق للحزب الصفة الثورية وقوة الجاذبية بسبب جمعه بين النخبة وبين بعض الطبقات الشعبية. فقد تمكن قاداته بالفعل من تمثيل القطيعة التى كان ينشدها قطاع من المجتمع الجزائرى ، وذلك بسبب فاعلية الخطاب الإسلامى الذى يشدد على ضرورة العدالة الاجتماعية ومحاربة الفساد .

غير أن قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ كشفت مع مرور الوقت، عن عجزها عن السيطرة الكاملة على التوترات التى ترجع إلى الطبيعة المزدوجة للحزب، بوصفه حركة شعبية ذات خطاب راديكالى موجه للسلطة الحاكمة، وحزباً يتألف من أطر تعنى ضرورة إدارة القوى المهيمنة فى النظام السياسى (مبدأ التقية) - وهى هنا الجيش .

إن احترامها ومراعاتها لقوانين الدولة - وبالذات مشاركة الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الانتخابات البلدية في يونيو ١٩٩٠ والانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١ ، كان يتعارض في الواقع مع ضرورة القطيعة التي تعلنها قاعدتها الشعبية المتشددة .

صبيحة إلغاء الانتخابات، وفي الوقت الذي كان فيه جزء من قاعدة الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد بدأ يجهز أسلحة ما تزال تافهة في المكتب السياسي للحزب ، كان حذراً تجاه السلطة العسكرية التي عزلت الرئيس شاذلي منذ فترة وجيزة . وفي أثناء اجتماعات خلايا الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان المناضلون يناقشون الوسائل الكفيلة بالرد على الانقلاب وإعداد موقف للمجابهة . في الوقت نفسه، كان المسؤولون السياسيون في الحزب يبحثون عن موقف يكون حازماً ولا يعرضهم للقمع الذي يمكن أن يؤدي إلى اختفائهم من الساحة السياسية لصالح الجناح الراديكالي في الانتماء . وبذلك حدث الصدع بين الإدارة الوطنية للحزب، التي ظلت مرتبطة بالإستراتيجية القانونية التي هي إستراتيجيتها منذ أن رأت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في يوليو ١٩٩١ ، وبين أطر المروسين في الحركة التي تتنامى توجهاتها نحو الكفاح المسلح .

وحيثما تمكنت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، في وقت من الأوقات، من امتصاص غضب فريق من قاعدتها بقيامها بدور الممثل لمطالبهم، فإن عناصر الحركة المهمشة بدأت ، وبالذات كلما استمر ضغط النظام وتزايد، تنسى الهدف الأساسي لمعركتها، ولا ترى في الساحة الاجتماعية سوى ساحة قتال .

هل نخلص من ذلك إلى نوع من التواصل بين الأسلوب النظامي الذي يتبناه القادة السياسيون في الحزب حتى عام ١٩٩٢ ، وبين الاختيار " العسكري " الذي تبنته الفرق المسلحة ؟ وبصرف النظر عن الاعتبارات التكتيكية، فإن إدانة الهجوم على الطائرة الفرنسية بواسطة اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ في ديسمبر ١٩٩٤ ، أدت إلى حدوث اختلافات في أشكال التعبير في الحركة الإسلامية. كذلك فإنها دلت على عمق التناقضات بين اتجاهين من المستحيل التوفيق بينهما؛ وعلى التناظر القائم بين التطلعات الثورية للعناصر البروليتارية في الحركة والمواقف المحافظة لصفوتها النظامية .

ولا ينبغي للقارئ أن يفاجأ إذا لم يجد هنا تاريخاً كاملاً للجزائر المعاصرة ،
ولا تحليلاً مفصلاً لمجموع القوى السياسية الموجودة على الساحة منذ أكتوبر ١٩٨٨ .
إن هدفنا ، لأسباب منهجية ، ومن خلال مقابلات مع القادة الإسلاميين المناضلين
من جميع الاتجاهات والحساسيات ، هو الاقتصار على القيام بتحليل للآليات
البارزة للحركة الإسلامية ، وتطور خطاباتها وممارساتها وملابسات مشروعها
الإسلامي .

الباب الأول

النزعة الإسلامية في قلب السلطنة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد ، آية ١١]

١٩٦٤ : الشيخ بشير الإبراهيمي رئيس هيئة العلماء ، يعلن على الملأ اعتراضه على ظهور بعض الفتيات في زى لاعبات التنس في عرض في الجزائر العاصمة، ونادى بالعمل على الدفاع عن حرمة الإسلام المعرضة، في رأيه ، لتهديد "التقدميات" في التيار الاشتراكي . وسرعان ما جاء الرد من السلطة الجديدة التي حكمت على الشيخ المحترم بتحديد إقامته لمدة عدة أشهر . وإذا بصحيفة الاتحاد العام للعمال الجزائريين تصدر وفي صدر صفحتها الأولى هذا العنوان " علماء السوء " . إن الاتحاد المقدس الذي شاهد الجانبين الأساسيين المكونين للتيار الوطني الجزائري مجتمعين على هدف واحد وهو طرد الفرنسيين إلى خارج الحدود، هذا الاتحاد بدأ يختلف . وما إن تحقق الاستقلال ، حتى ظهرت على السطح الخلافات الثقافية التي تفصل بين نخبة "التغريب" ، من خريجي نظام التعليم الفرنسي ، وبين نخبة الإصلاح ، العريفيون المستعربون (ذات اللسان العربي) من خريجي جامعات الشرق الأوسط. وبينما تحول عدد من الفريق الأول إلى "بورجوازية الدولة" والهيمنة على أجهزة الإنتاج في الدولة ، تصدى جانب من الفريق الثاني لمحاربة "فساد العادات" التي جلبها في رأيهم، الفريق الأول . وأصبح الإسلام صمام أمان أو عنصر ضمان للحكام ، فقد صار منذ ذلك الحين مادة إغراء تجتهد بها السلطة ، وكذلك المعارضة، بصفة دائمة . من ذلك أن السلطة، تحت تأثير جناحها الإسلامي ، ومن أجل مواجهة المعارضة الإسلامية الوليدة ، لم تكن تتردد في الانخراط في عملية أسلمة من الممكن في المستقبل أن تبعتها بالتدريج عن خيارات الجزائر الثورة وتقدم لخصومها ضمانات أسلمة من شأنها أن تغير تغييراً جذرياً من طبيعة الخريطة السياسية الدينية للبلاد .

نضيف إلى ذلك ، أنه في مواجهة تدهور "الأصوليين في الدولة" المتهمين بالوداعة الزائدة مع السلطة ، فإن بعض الشبان المناضلين من خريجي الجامعات دون تكوين ديني خاص، هم الذين تمكنوا في السبعينيات من الوصول إلى رأس المعارضة الإسلامية .

وإذا كان تفجّر الأيديولوجية الإسلامية فى نهاية الأمر ، قد تزامن مع وصول الرئيس شاذلى إلى السلطة (١٩٧٩) فإنه قد عكس النظرية التى تقول بتجريم القادة السياسيين الذين كانوا فى السلطة فى فترة " العقد الأسود " (١٩٧٩ - ١٩٩٢) المعروف بمسئوليته عن جلب جميع الشرور التى يعانى منها المجتمع الجزائرى اليوم .

وحيثما تسببت سياسة الانفتاح التى بدأت فى الثمانينيات فى القضاء على الوفاق الاجتماعى الذى كان قائماً حتى ذلك الحين فى العلاقات بين السلطة وبين بقية المجتمع، فإن هذه السياسة ، بالإضافة إلى أزمة الوقود عام ١٩٨٦ ، قد سلبت النظام العناصر الرئيسية التى تشكل شرعيته، وهى دوره كضامن للسيادة الوطنية، وكحافز لنموذج من التنمية الاقتصادية المركزية .

أما العناصر المستبعدة فهى إذ تطالب ، باسم العدالة ، بمشاركة سياسية أكبر ، بهدف الضغط على آليات إعادة توزيع الدخل القومى وزيادة فرصها فى الاستهلاك، فإنها كانت تسعى إلى تسييس معارضتها للوضع الاقتصادى والنظام السياسى . وتشمل حركة المعارضة أيضاً الطبقات الاجتماعية المتوسطة فى الحضر المهمشة من قنوات حماية الدولة (من نوى شهادات التعليم العربى الأكثر انتشاراً والكوادر المهضومة الجناح) وعمال المدن فى القطاعات الاقتصادية " التقليدية " (الحرفيون، وصغار التجار ، وصغار الموظفين) الخاضعين لقلقل الإدارة التى لم يحصلوا منها على شئ ، وجماعة من الشبان المرفوضين (الفاشلين دراسياً والعاطلين) .

وها هى الأيديولوجية الإسلامية تتصدى للتعبير عن خيبة آمالهم فى نموذج التنمية الرسمى وتتيح الفرصة لهذه الجماعة المتفرقة ، رغم توحيدها فى إطار هامشية مشتركة ، بالاستيلاء على " القيم " التى تشكل الهوية الجماعية الجزائرية منذ الاستقلال - العروبة والإسلام - ومن ثم منازعة النخب الحاكمة فى عملية الرقابة التى تمارسها بمفردها على اقتصاد الدول ، منذ ذلك الحين .

وبالمثل ، فإن التفكك الذى أصاب الكتلة الحاكمة لصالح أحداث أكتوبر ١٩٨٨ ، تلك الكتلة المكونة ، منذ الاستقلال ، من الثلاثى : الجيش / الدولة / الحزب ، هذا التفكك كشف عن الطبيعة العسكرية للنظام . إن الجيش ، وهو القوة الوحيدة المنظمة للسلطة ، وقد اضطر أمام انهيار البنى الرسمية للدولة وانهيار الحزب الواحد ، أن يجد نفسه فى مواجهة تصاعد القوة الإسلامية المعارضة التى تشكك فى تفوقه .

انهيار شرعية النظام

بسبب ما نجم عن انهيار الدخول البترولية ، حالت أزمة الوقود، فى عام ١٩٨٦ ، دون قيام النظام بالاستمرار فى دعم السلام الاجتماعى، وبالتالي تحطم أحد العناصر الأساسية لشرعية السلطة .

وبسبب ارتباطها بالخارج ، فإن نخبة السلطة كشفت عن عجزها التام عن تطبيق أى " نموذج جزائرى للتنمية " ، كما أنها أظهرت فى الوقت نفسه عجزها الكامل عن التعامل مع " النظام الاقتصادى العالمى الجديد " الذى كان وراء الفترة الزاهرة التى زامنت رئاسة هوارى بومدين .

ومن ثم تجلّى أن " بورجوازية الدولة " تمثل حصان طروادة الخاص " بالاستعمار" الغربى الجديد . وأصبح من حق العناصر المهمشة ألا تتردد فى توجيه الاتهام إلى القادة بأنهم يعيدون البلاد إلى نظام الهيمنة الاستعمارية القديم .

فشل «نموذج التنمية الجزائرى» :

أدى نظام التوزيع غير العادل الذى نهجه هذا النموذج منذ أوائل الثمانينيات، كذلك ما نجم عن ذلك من حرمان وسلب للحقوق ، إلى سلسلة من التمردات الاجتماعية التى تنادى بتحقيق العدالة فى توزيع الثروة الوطنية .

وحتى منتصف الثمانينيات ، وفى حدود وفاق اجتماعى ضمنى ، كانت الغالبية العظمى من المواطنين راضية ببنية الهيمنة القائمة فى مقابل ترك الباب مفتوحاً لآليات توزيع عوائد البترول . وأصبحت التجارة الخارجية ، بوصفها أداة السيطرة الاقتصادية ،

شريان الحياة للنظام ، وبصفة خاصة لعموده الفقري المتمثل في الأمن العسكرى المهيمن .

كان الأمن العسكرى ، وهو فى هذا يشبه جهاز الأمن السرى الرومانى "السكريتات" وجهاز الأمن الألمانى الشرقى " الستازى " كان هذا الأمن بوصفه الجهاز الأساسى الذى يمد السلطة بالمناسب ، قد وفر لها العديد من العملاء من خلال الاحتكار الذى يمارسه على التجارة الخارجية بالتنسيق مع القيادات العسكرية العليا^(١) .

وأصبح توزيع الثروات ومصادر الدخول ، دون أى اعتبار لمبدأ العائد ، وفى غياب المقابل بمعنى خلق الثروات ، وبالتالي الوظائف ، لا يتم إلا بناء على اعتبارات سياسية فى الجوهر : ضمان السلام الاجتماعى وإفراز علاقات هيمنة لصالح القيادة الحاكمة . ومن ثم لم تتردد هذه القيادة فى تشجيع تكوين طبقة اجتماعية متوسطة من أصحاب الدخول وقطاع خاص ، تجارى وصناعى ، مرتبط برباط وثيق بالقطاع العام ؛ حيث كانت هذه " الطبقات الاجتماعية المتوسطة " والجديدة مدعوة لتقديم قاعدة اجتماعية للنظام ، وبالتالي ، ضمان استقراره السياسى . ولم تكن هذه الصيغة السياسية لتستمر إلا بمقدار ما تحقق من نجاح اجتماعى للعناصر المشاركة فيها . ومن ثم ، سرعان ما كشف النظام عن عجزه فى أن يضمن لهذه العناصر أى نوع من الرفاهية . ولكى تخفف الدولة من حدة التدهور البطيء فى ظروف المعيشة لدى الطبقات المتوسطة ، ولكى تستفيد من الصدمات المالية الناتجة عن أزمة البترول الأولى ، شرعت فى تشجيع الاستهلاك بالالجوء المكثف إلى الاستيراد وإلى سياسة دعم زائف للأسعار . ومع تفاقم التدهور فى المكونات التاريخية الشرعية للحكم ، لم تر الجماعات الحاكمة أمامها من مخرج لتجديد هذه الشرعية سوى دعم الاكتفاء فى الطلب الاجتماعى . وسعيًا وراء كسب الطبقات الاجتماعية فى صف النظام ، شرع الحكام ، وبعد عشر سنوات من التقشف، فى الإعداد للخطط المناهضة للفقر .

(١) من خلال تأميم شركات البترول الأمريكية فى أغسطس ١٩٦٧ ، وشركات توزيع البترول والغاز فى مايو ١٩٦٨ ، ومحطات الوقود والغاز ، وكذلك ٥١٪ من ممتلكات شركات البترول الفرنسية فى فبراير عام ١٩٧١

وابتداءً من عام ١٩٨٦ ، كان من نتيجة الانخفاضات العالية في عوائد البترول، أن حال ذلك دون متابعة النظام لهذه السياسة ، مما أدى إلى انهيار الأسس التي يقوم عليها نموذج التنمية المركزية في الجزائر المستقلة، لدرجة أصبحت تهدد نظامها السياسي بالكامل .

وكان من شأن أزمة الوقود أن وصلت بالمظالم الناتجة عن سياسات الانفتاح إلى درجة عدم الاحتمال ، تلك السياسات التي أدت بصورة غير متوقعة ، إلى زيادة فائقة في الحراك الاجتماعي للفئات التي كانت تعيش حتى ذلك الحين في ظل الاقتصاد الموجه .

وكان وراء إجراءات الانفتاح السياسي عبد الحميد الإبراهيمي رئيس الوزراء في الفترة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٨ ، ثم فريق الإصلاحين " وعلى رأسهم مولود حمروش ، الذي عين أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية في عام ١٩٨٦ ، ثم رئيساً للوزراء في سبتمبر من عام ١٩٨٩ . وكان أن تعرضت سياستهم في تحرير الشركات العامة وبالذات تحرير التجارة الخارجية ، لمقاومة " بارونات " النظام ، وبصفة خاصة الجيش ، وكانوا حريصين على المحافظة على احتكارهم لهذا المجال. وما أن " تخلص " عنهم شركائهم الغربيون ، وبخاصة الفرنسيون بحجة رفضهم لإعادة جنولة الديون الخارجية ، حتى تم استبعاد " الإصلاحين " من السلطة أخيراً على إثر الإضراب العام الذي قامت به الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مايو - يونيو ١٩٩١ .

وفي الواقع كان من نتيجة إعادة الاعتبار للقطاع الخاص ، المساعدة في تكوين طبقة من " المنتفعين " . حيث أصبح الحصول على تراخيص الاستثمار أو أوامر الاستيراد يرجع إلى طبيعة وموقع وساطاتهم داخل بيروقراطية الدولة . ومن ثم ، وبعد التخلي الرسمي عن النوغمائية الاشتراكية التي تم تبنيها بموجب ميثاق عام ١٩٨٦ ، لم يعد يميز بين " الملكية الخاصة المستغلة " و " الملكية الخاصة غير المستغلة " كما حدد ذلك من قبل الميثاق الوطني الصادر عام ١٩٧٦ .

ولكن إذا كان القطاع الخاص قد أصبح حينئذ رمزاً للارتقاء الاجتماعي ، فإن بعض الدوائر المرتبطة بالسلطة لم تفهم أهمية السماح له بالاستفادة بعقلانية

اقتصادية مؤسسة على المردودية والربحية (حيث كانوا يسمونها " بالمضاربة ") ، وهو ما سيأتى ليسم عقلانية السلطة السياسية المؤسسة على إعادة التوزيع والعمولات بعدم المشروعية . كذلك ستسفر سياسة الإصلاحات الاقتصادية عن مقاومات عنيفة داخل النظام نفسه .

ومع إدخال الإصلاحات الاقتصادية ، ظهرت الطبقة الاجتماعية بكل قوتها ومتناقضاتها . طبقة من المعروف أنها تفرز " أغنياء جدد " تعيش على النموذج الغربى ، تتمتع بالحصول على امتيازات فى مجال الاستهلاك " المتمتعون " بسبب ما تلقاه من عون من داخل جهاز الدولة ، تعلن عمولاتها على الملأ ويكل مباهاة وتفاخر ، فى وقت بدأت فيه الجزائر تفتقر إلى كل شىء .

كانت تلك هى الفترة التى وجه فيه الاتهام إلى جماعات الـ (تشى - تشى - tchi - tchi) ، " نوى القمصان الذهبية " بالاستعراض فى رياض الفتح (أو رياض الفضح) على حد تعبير الإسلاميين .

كانت أيضاً الفترة التى قامت فيها بوجوازية شاذلى وأمام أنظار (الحائطين) الهابطين من أحيائهم الشعبية باستعراض ثرائها الفاضح على شواطئ نادى السنوبر، ذلك المكان الذى كان يتردد عليه المستوطنون الفرنسيون أيام الجزائر الفرنسية .

وفى قلب جهاز الدولة ، كانت آليات الارتقاء أو العزل الاجتماعى ، تخضع للتعسف المطلق، فى حين أن الفساد ونظام العمولة كانا المصدر الأول لدعم البيروقراطية المتطفلة والعقيمة .

ومع تفتت المشاريع العامة ، اتسع وعاء الفساد. وبعد أن كان نظام العمولة على مشروعات الاستيراد مقصوراً على " بارونات " النظام على عهد هوارى بومدين ، أصبح مع شاذلى مشاعاً للعديد من الطوائف المرتبطة بالسلطة بناءً على تقسيم جغرافى واضح .

كذلك فإن قانون الاستثمار الوطنى الخاص الصادر فى أغسطس ١٩٨٢ ، وقانون الملكية العقارية الصادر فى أغسطس ١٩٨٣ ، أصبحا مصدر انحرافات أدت بالنسبة

للقانون الأول إلى نوع من المضاربات العقارية الموهوسة . ومن ثم أمر حمروش رئيس الوزراء بالإعلان عن قائمة المضاربين (التي كشفت عن أن معظمهم من البيروقراطية العسكرية) وهدد ، ولكن دون تنفيذ ، بعمل الشيء نفسه فيما يختص بالمستفيدين من أدون الاستيراد .

وفي غيبة المعادل المتمثل في التقدم الاجتماعي إذا بممارسات العنف الشرعي والمحسوبية والفساد ، من جانب دولة ما تزال تتمتع بالهيمنة في مجال الإطار الأيديولوجي ، لكنها أصبحت عاجزة على المستوى الاجتماعي الاقتصادي ، إذا بهذه الممارسة تكشف عن عمق اللاشرعية . وتزامن ذلك مع الوقت الذي قام فيه محمد شريف مساعني^(١) ، استناداً إلى المادة ١٢٠ من اللوائح المنظمة للحزب (تلك المادة التي تخصص مناصب المسؤولية في المنظمات الجماهيرية للعسكريين من جبهة التحرير الوطني) بتطهير الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، وكذلك الاتحاد الوطني للشباب الجزائري ، من العناصر السياسية في الاتحادين ، وتزامن ذلك أيضاً مع الوقت الذي جاء فيه انفلاق المجال السياسي مصحوباً بازدياد في طابع الشرطة الذي نهج عليه النظام . دليل ذلك إنشاء مكاتب الأمن في الشركات والجامعات امتداداً للأمن العسكري الرهيب .

وبعد أن حرمت الدولة من بعض دخولها ، وتراكمت عليها الديون^(٢) ، أصبحت عاجزة عن الاستمرار في سياستها في دعم أسعار المواد الاستهلاكية ، كما اضطرت إلى ضغط الاستيراد بالنسبة للمواد الضرورية المدعمة ؛ وكان من شأن هذا الضغط تحميل الطبقات الكادحة لفروق الأسعار من ناحية ، وعلى النقيض من ذلك ، تحقيق أرباح هائلة للمضاربين من جميع الأنواع ، العاملين منهم في القطاع الخاص والقطاع العام .

ولما كان العاملون في القطاع العام يتمتعون باحتكار استيراد المواد الاستهلاكية العامة ، وبصفة خاصة المواد الغذائية ، فقد عكفوا على تخزين مثل هذه السلع

(١) في عام ١٩٩١ كانت ديون الجزائر الخارجية تقدر بـ ٢٧,٣ مليار دولار .

المستوردة التي لم تلبث ، لندرتها ، أن ارتفعت أسعارها في الأسواق الموازية التي تطرح فيها بعد ذلك .

وهكذا ، وفي حين كان حجم تجارة " الشنطة " أو التهريب المصغر (الذي يكمن في قيام صغار المهمشين بشراء بعض السلع من الخارج ثم بيعها في الجزائر) يبلغ عشرة مليارات دينار ، فقد كان حجم التهريب في الاحتكار (الأدوية والمحاصيل الزراعية والسكر ، ... الخ) الذي يعمل فيه المتمتعون بحماية السلطة يتجاوز الخمسين ملياراً .

وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه الفئات المهمشة تطالب بتحقيق نوع من العدالة في الاستهلاك ، وجدت نفسها بحكم البطالة وضعف القدرة الذاتية عندها ، مضطرة إلى تحمل أعباء الزيادة في الأسعار . وارتفعت أسعار الحصول على كل شيء . وأصبح العمل والتربية والصحة نوعاً من الرفاهية التي تزداد ندرتها لزيادة الطلب عليها . وأصبح معدل الشغل في الإسكان أكثر من سبعة أفراد . وبلغ العجز أكثر من أربعة ملايين مسكن مع طلب سنوي يصل إلى مائة وخمسين ألف مسكن إضافي . وأدى تعميم نظام التخصيص (وبالذات في مجال منح المساكن الشعبية) إلى عدم العدالة في الحصول على المسكن . وزاد من هذه المظالم التلاعب المخزى الذي يمارسه المسؤولون في الدولة ، وهم أهم الممولين للأراضي ومواد البناء . وهكذا أصبحت الفئات المحرومة تمثل طليعة المعارضة .

مثالب «النظام الاقتصادي العالمي الجديد» :

في الوقت نفسه ، وفي حين ينص الميثاق الوطني (١٩٧٦) على أنه يتعين على الجزائر وضع " نظام اقتصادي عالمي جديد " تكون دول عدم الانحياز هي المحرك له والمهيمن عليه ، فإن التدهور الدبلوماسي للجزائر ألحق أضراراً بالغة بأحد العناصر الأساسية لشرعية القادة الوطنيين .

فخلال العشرين سنة الأولى من الاستقلال ، والتي كانت تزدهر فيها الجزائر بالمكانة المرموقة بسبب نضالها من أجل الاستقلال، كانت تقوم بدور الريادة على

مستوى بلدان العالم الثالث . توج ذلك قيام الجزائر بتنظيم مؤتمر عدم الانحياز في مدينة الجزائر في سبتمبر من عام ١٩٧٣ ، برئاسة هواري بومدين ، وهو في قمة شهرته العالمية .

غير أن هبوط دخول البترول التي تعتمد عليها سياسة الاستقلال الوطني ، حال دون تمكن أنصار التوجه الأيديولوجي الوطني من أن يحققوا في الخارج الانتصارات التي كانت تنقصهم في داخل البلاد .

وكان من نتيجة الفشل الذي أصاب مشروع " الصناعات التصنيعية " الجبار الذي بدأه بيلا عيد عبد السلام (وزير الصناعة والطاقة من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٧) على حساب الإنتاج الزراعي والسلع الاستهلاكية ، أن عجز النظام عن تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي للبلاد (الذي هبط من ٧٠٪ عام ١٩٦٩ إلى ٣٠٪ عام ١٩٨٠) واضطرت الدولة إلى اللجوء المكثف إلى الديون الخارجية التي أرغمتها على الخضوع ، وفي ذلك قمة المهانة ، لتعليمات صندوق النقد الدولي ونادى باريس .

ويعد أن كان الحكام يجعلون من رفضهم لإعادة برمجة الديون أحد جياد المعركة (وبخاصة أن معظم ديونهم كانت لمؤسسات مالية فرنسية) اضطروا شيئاً فشيئاً ، وكمرحلة أولى ، إلى التفاوض ، وأخيراً إلى توقيع اتفاق " إعادة برمجة الديون " في أبريل عام ١٩٩٤ .

وأمام عجزها عن النهوض بسياسة وطنية ، وجدت بورجوازية الدولة نفسها مضطرة ، بسبب عزلتها المتزايدة ، إلى التقرب إلى دولة المغرب ، فاقدة بذلك عنصراً من أهم عناصر الوطنية التي وقفت ، منذ " حرب الصحراء " في ١٩٦٣ ، ضد أهداف زعامة المغرب .

ومع اضطرابها إلى التنازلات الكثيرة على الساحة العالمية، كان على الجزائر أن تعيد النظر في سياسة الدعم لجمهورية الصحراء العربية الديمقراطية التي تحاول فرض سيطرتها على المغرب بأكمله . وفي فبراير عام ١٩٧٥ ، أصيبت الدبلوماسية الجزائرية بأول انتكاسة لها ، حينما قامت أسبانيا ، صبيحة المسيرة الخضراء ، بتكليف كل من المغرب وموريتانيا بإدارة الصحراء ... واعتقدت الجزائر أنها ستجد خلاصها

فى الاتحاد مع ليبيا ، ولكن خاب أملها فى ذلك ، حينما وقّع الحسن الثانى والقذافى فى أغسطس عام ١٩٨٤ اتفاقية اتحاد بين البلدين .

وأصبحت البلاد فى حالة من الضعف ، فاضطرت إلى عقد اتفاقات سياسية مع المغرب فى مايو ١٩٨٨ ، وفى فبراير عام ١٩٨٩ ، اضطرت إلى تكوين اتحاد مع عدوها القديم فى إطار اتحاد المغرب العربى . نضيف إلى ذلك التغير الذى طرأ على أوضاع النفوذ الإقليمى فى صالحي المغرب ، حيث جاء قرار مجلس الأمن فى منظمة الأمم المتحدة ، فى ديسمبر ١٩٩١ ، رقم ٧٢٥ بتوسيع القاعدة الانتخابية للاستفتاء القادم حول مصير الصحراء الغربية ، وذلك طبقاً لما كان يتمناه الملك الحسن الثانى .

ومن الأمثلة الدالة على ضعف الأوضاع العسكرية فى الجزائر اغتيال محمد بوضياف فى يونيو ١٩٩٢ بواسطة حرسه الشخصى . وذلك بعد ثلاثين عاماً من حياة المنفى فى الجزائر ظل خلالها معزولاً مكرماً .

وتجرع الشعب الجزائرى أيضاً جزءاً من الإهانة ، فقد ظل طويلاً يعتقد بأنه الجار أو القريب الغنى أثناء الإجازات الصيفية التى كان يقضيها الجزائريون فى البلدين الشقيقين ، ولكن ، وبسبب انهيار سعر الدينار ، آل مصير الجزائر إلى مكانة الجار أو القريب الفقير . ومما كان يتناقله المعلقون السياسيون فى هذا الصدد ، أن "الإصلاحيين" قاموا بتشجيع المسؤولين الجزائريين على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع المغرب حتى تتاح الفرصة للجزائريين ، لكي يلمسوا بأنفسهم معدل السرعة التى ينمو بها المغرب ومدى الفارق الذى يفصل بين البلدين .

وما إن أصبحت الجزائر معزولة عالمياً ، حتى وجدت نفسها مضطرة ، من ناحية أخرى ، إلى التقرب إلى القوتين العظميين ، مما جعلها تتنازل عن الكثير من مواقفها الخاصة ببلدان العالم الثالث . من ذلك أن الجزائر لم تحاول إدانة الغزو السوفيتى لأفغانستان ، فى حين أن الصحافة الجزائرية لم تشر حتى إلى الحادث^(١) .

(١) نيقولا جريمو ، "الدبلوماسية فى ظل شاذلى أوسياسية الممكن" ، حولىة أفريقيا السوداء ، ١٩٩١

وبالرغم من التقارب الفرنسي الجزائري ، الذي يعزى إلى كل من ميثران وشاذلى ، فإن نسبة كبيرة من الجزائريين أصبحوا مقتنعين بأن مستقبل بلادهم خاضع من جديد ، لمشينة القوة الاستعمارية القديمة (فرنسا)^(١) .

من أجل حياة أفضل ؟ نعم ، ولكن فى الخارج

وهكذا ، أصبح النشاط الاجتماعى الذى تحتكره طائفة طفيلية فى نظر العامة ، تُرجعه المجموعات المعزولة المقهورة إلى ارتباط الجزائر بالخارج . وأصبحت النظرة للطبقة الحاكمة هى أنها طبقة فاسدة ثقافياً ، وسياسياً خاضعة للغرب . زاد من هذا الشعور انتشار أساليب الحياة الغربية والمواد الاستهلاكية المستوردة من الغرب بواسطة الأثرياء والقادة ، أثناء قضاء العطلات الصيفية فى الخارج ، وكذلك عن طريق انتشار قنوات التليفزيون انتشاراً جهنمياً فى أواخر الثمانينيات فوق أسطح المنازل الشعبية^(٢) . وأصبح المعزولون والمقهورون يرجعون المظالم فى النظام الاقتصادى والنظام الاجتماعى إلى الوارد من الخارج من أنظمة إدارية وعادات وتقاليدها جلبتها النخبة الحاكمة .

ولقد زادت حدة هذا الشعور على إثر عمليات الهجرة من الريف إلى المدن حيث اضطر الكثير من الغربيين الذين تعرضوا خلال إقامتهم الجديدة فى المدن لأوضاع اضطرتهم للتنازل عن الكثير من القيم والمفاهيم السلفية .

وفى المدن التى غلب عليها طابع الريف بسبب عجزها عن استيعاب القادمين الجدد^(٣) ، فإن القيم الريفية التى فقدت الكثير من أهميتها ومكانتها لم تحل محلها قيم المدينة التى تعتبر " غربية " ، لأن الذين كانوا يروجون لها هم القادة والحكام .

(١) دعم هذا التقارب الزيارة التى قام بها فرنسوا ميثران للجزائر فى نوفمبر ١٩٨١ ، ثم الرحلة التى قام بها شاذلى فى ديسمبر ١٩٨٢ وهى أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس جزائرى لفرنسا منذ الاستقلال .

(٢) إلى درجة جعلت الإسلاميين يطلقون عليها القنوات الشيطانية .

(٣) ١٨,٥ ٪ من السكان المسلمين كانوا يتكلمون من الحضريين عام ١٩٥٤ ، وارتفع هذا الرقم عام ١٩٦٦ إلى ٣١,٢ ٪ ، وفى عام ١٩٧٣ إلى ٤١ ٪ ، وفى عام ١٩٨٧ إلى ٥٠ ٪ .

ومع ذلك فإن نظام سيادة الأب قد تعرض لهجمات مدمرة من جانب الدينامية الاجتماعية و "فسد" بسبب الممارسات الجديدة التي اتجهت نحو الفردية ، وبالتالي بدأت كأنها عوامل لنشر الفساد في جسم المجتمع .

وبالمثل ، فإن الاضطرابات التي أصابت العلاقات الخاصة بالانتماء كانت وراء العنف الذي طبع العلاقات الاجتماعية ابتداءً من مطلع الثمانينيات : لقد تصدع النموذج العائلي . وتعرض نظام السلطة الأبوية للانتقاد من جانب شباب المدينة الذي أصبح غير راضٍ عن النظام الاجتماعي الذي فرضه الآباء والأجداد . وتمثل الرفض في ممارسة الأعمال الإجرامية وتعاطي المخدرات والخمور ، وهي ممارسات تعد علامات على التنافر المتزايد بين النماذج التي تتبناها الدولة والأشكال الاجتماعية الجديدة .

ومن المفارقات العجيبة أن تَخُلُ الدولة كان يتجه نحو تقوية روابط السلطة داخل الأسرة الأبوية (نظام الأسرة الصادر عام ١٩٨٤) في حين أن انتشار نظام الإجارة والهجرة من الريف وتعمير المدن على العكس من ذلك ، يؤدي إلى إضعافها .

وهذه الأوضاع أصبحت تمثل مصادر تهديد للترابط الاجتماعي ، ذلك الترابط الذي من شأن الدولة المحافظة عليه وضمان استمراره .

كذلك تجلت تناقضات الجزائر بعد الثورة العمرانية في المدن ، في مجال العلاقات العاطفية والجنسية . ففي حين كان الآباء يجدون في الثقافة الريفية صرحاً غنياً ومتنوعاً من الأعراف الاجتماعية ، كان الجنس بفضلها منظماً ومقنناً بشكل كامل ، فإن الأبناء والبنات ، وقد انتقلوا إلى عالم حضري تطلق عليه ثقافة لا هي بالريفية تماماً ولا هي بالحضرية تماماً ، وأصبح عليهم أن يضعوا بروتوكولات جديدة عاطفية وجنسية هي بالنسبة لهم نوع من الانطلاق إلى المجهول . ومن ثم تطبيق نوع من الاقتصاد الجنسي الجديد وهو على شاكلة العلاقات الاجتماعية الجديدة التي أفرزته ، يغلب عليه طابع العنف والحيوية الزائدة . وإذا كان الشبان أصبحوا لا يفضون الطرف إلا رمزاً ، عند مرور الفتيات ، وإذا كانوا كذلك يطلقون الصفيح ، فإنهم لم يستسلموا بشكل صارخ لمتع الجوارح الحسية . إننا لم نصل إلى درجة الجماع قبل الزواج ،

وما نزال بعيدين عن ذلك ، بل هناك حالات كثيرة من البكارة المتأخرة . وأمام استحالة وجود حلول أفضل يلجأ بعض الشبان والشابات إلى اللواط والسحاق .

ومن ناحية أخرى ، فقد أدى ضيق المساكن وازدحامها بأهلها ، إلى قلة المنافذ لممارسة الحياة الاجتماعية ، ولم يعد هناك سوى المقهى والمسجد ، للشبان ، كما كان للقاء والاجتماع . لم تعد المدينة تؤدي وظيفتها القديمة في التقريب والتوحيد ، في حين ، وفي الوقت نفسه ، فشلت اللوائح الحكومية الخاصة بالتوظيف في أن تكون البديل لنماذج التعايش الاجتماعي القديمة التي اختفت .

وبدلاً من أن تحقق المدينة الآمال في الارتقاء الاجتماعي الذي حملت لواءه عند الاستقلال ، كانت سبباً في استمرار علاقات الهيمنة الخاصة بفترة الاستعمار . فقد أدى العزل الناتج عن غزو الحضر الذي قام به عام ١٩٦٢ الوطنيون في جبهة التحرير الوطني إلى نوع من الطبقة الاجتماعية تميز بين الأحياء الشعبية وبين الأحياء الراقية ، حلت محل التمييز القديم الذي كان يفصل بين المدينة "الإسلامية" والمدينة "الأوروبية" .

وأصبحت عملية "التغريب" في العادات والتقاليد ، باعتبارها إفراراً "للتغريب الثقافي" وصارت تمارس على أنها اضطراب جنسي وعائلي . وكان "تحرير المرأة" قمة هذا "التغريب" الذي طرأ على المجتمع ، مما يفسر أن التنازلات التي قدمتها الدولة للمعارضة الإسلامية كانت دائماً تدور حول قانون المرأة .

وعلى مستوى أعمق من ذلك ، فإن هذا المفهوم يبرهن على شعور المعزولين بأنهم لم يصبحوا أسياداً لمستقبلهم الشخصي ، ويعززون الوضع إلى تبعية الجزائر الشديدة للغرب . وأصبحت بعض السلع مثل حذاء "ريبوك" رمزاً عند الشباب على رغبته في التحرر بالنسبة للدولة . وأصبح الضغط الخارجي ينعكس في صورة عدم المساواة بين قطاع الدولة الاقتصادي المرتبط بنظام التبادلات العالمية ، وقطاع مرتبط بالسوق الداخلية ، محكوم عليه بالعزلة ، يحاول المطالبة بمزيد من الاستقلال الثقافي . يزيد من حدة ذلك عجز الدولة الجزائرية عن الاضطلاع بنورها كعامل نشط في توزيع الدخل وأداة إنتاج لصالح الفئات الحاكمة .

فى المؤتمر الرابع لجهة التحرير الوطنية المنعقد فى يناير ١٩٨٠ اتخذت الجهة هذا الشعار : " من أجل حياة أفضل " وهو شعار قام الشباب بالرد عليه قائلا : " نعم ، ولكن فى الخارج " . ومع شعورهم بأنهم أصبحوا لا يتحكمون فى مستقبلهم الشخصى ، شرع الشباب فى إعادة قراءة أسطورية لعصر الزعيم يومدين . غير أن الحنين الذى كان يدفعهم نحو استهلاك أيامه كان يحثهم على البحث عن أشكال أخرى من الإنجازات ، ليس على المستوى الوطنى أو الجماعى ، ولكن عن أشكال من الإنجازات الفردية المعزولة .

وكوسيلة للهروب من عبودية الدولة وامتدادها العائلى ، وهو نظام السلطة الأبوية ، صاغ غالبية الشباب مشروع الرحيل إلى الخارج ، وبالذات إلى فرنسا ، ذلك المشروع الذى صاغه الخيال الشعبى على منوال " بابور استراليا " تلك السفينة التى لا ترسو أبداً ، ولكن كل فرد منهم كان يأمل فى وصولها - هذا المشروع لقى ما يحول دون تحقيقه ، وهو إغلاق الحدود الأوروبية (قررت فرنسا فى عام ١٩٨٦ ضرورة استخراج تأشيرة لدخول أراضيها بالنسبة للمواطنين الجزائريين) وأصبح الشباب موزعاً بين رغبته فى امتلاك نماذج الاستهلاك الغربية ، وبين إرادته فى رفض نظام يدفع الشباب إلى الهجرة ، ومن ثم صار الشباب فريسة نوع من الانفصام " للخارج " ؛ ذلك الانفصام الذى راحت أيديولوجية الأسلمة تخلع عليه مظهر الترابط والتلاحم .

وإذا بالشعور " بالغربة داخل الوطن " (الذى يذكر بالنفى الداخلى " الذى كانت تتحدث عنه الأجيال السابقة ، فى صراعها مع المستعمر) يدفع طوائف عديدة من الشباب إلى اعتناق مذاهب كفيفة بأن توهمه بأنه يتدخل فعلاً فى تقرير مصيره وتحديد مستقبله .

وكان من نتيجة إرادة انعزولين فى الاعتقاد بأنهم يصنعون تاريخهم بأيديهم ، أن أصبحت عقيدة الإسلاميين نعزى " انحطاط " العالم الإسلامى بشكل عام ، والجزائر بصفة خاصة ، إلى تنازل جزء من نخبة الدولة " المتغربة " عن أصولها وعن هويتها . وجاءت حرب الخليج لتدعم النظرية التى تقول بظهور استعمار فرنسى جديد مرتبط بحزب فرنسا يحاولان الإبقاء على علاقات الهيمنة الخاصة بفترة الاستعمار .

(وهو شعور ازداد مع الشعور بعدم الأمان بسبب الاضطرابات العالمية) . ومن ناحية أخرى أصبح المعزولون ينظرون إلى الثورة الإيرانية باعتبارها المثل الأعلى ، وكان النظام يجعل منها الوريث للثورة الجزائرية ، وكذلك الانتفاضة الفلسطينية ، ومن ثم راحوا ينادون بإنشاء " دولة إسلامية " مستقلة بالفعل، والعمل على تحقيق " حداثة إسلامية " أصيلة بحق ، ذلك ، فى نظرهم ، هو السبيل الوحيد لتحقيق حياة اجتماعية جديدة فى إطار دولة ووطن مستقل .

(٢)

جيل أكتوبر

مع إدراكهم للمسافة التي تفصل بين حجمهم السكاني الضخم وبين دورهم السياسى، يحاول المهمشون تسييس معارضتهم للنظام السياسى والنظام الاقتصادى، ولما كان القهر، فى نظرهم ، هو أساس الظلم ، فإن إقامة العدل بالتالى تكون بمكافحة القهر . وعلى ذلك حققت الثمانينيات بالاضطرابات والتمردات لهذا الغرض؛ حتى بلغت ذروتها فى أكتوبر عام ١٩٨٠ حينما قام " جيش الشعب" بإطلاق النار على الشعب .

ومنذ ذلك الحين أصبحت الدولة والقمع مترادفين . وظهرت جلياً الرغبة فى تحقيق العدالة الاجتماعية وتهذيب الأخلاق فى الحياة العامة. وأصبح الكبار لا يستطيعون باسم التضحيات التى بذلوها خلال حرب الاستقلال ، أن يصفوا مطالب الأولاد بأنها "نزوات أولاد مدللين" . ولم تعد الشهادة فى الحرب مقصورة على "جيل نوفمبر" : فهامهم " شهداء باب الواد " ينازعونهم هذا الحق بواسطة "جيل أكتوبر" .

دولة وطن / دولة مقاطعات :

فى غمرة اهتمامهم بالتححرر من إطار الدولة التى أصبحت فى نظرهم دخيلة من ناحية ، ومن ناحية أخرى عاجزة عن اقتراح مشروع جماعى لتحقيق الوحدة الوطنية ، أعلن المهمشون خلال الثمانينيات عن اتجاههم إلى تنظيم أنفسهم بهدف الحصول على حقوقهم السياسية . وبعد أن كانت الدينامية الاجتماعية ، حتى ذلك الوقت ، خاضعة للخطاب السياسى الذى كان يريد لها أن تتوجه نحو أهداف التنمية التى وضعتها الدولة ، خرجت من سيطرة الدولة : وهكذا بدأت الدائرة الاجتماعية والعمرانية ،

من خلال تعددية الثقافات والنظم الاجتماعية المعارضة تعيد تشكيل الرابطة الاجتماعية خارج نطاق مؤسسات الدولة ، وغالباً ما يكون ذلك ضد الدولة .

ومع انتشار المحسوبية فى الدولة التى يطلق عليها ابن البلد الساخر ، "ابن عميـزم" والنظرة الإقليمية ، أصبحت الدولة فى نظر المغلوبين تمثل العقبة الكبرى فى سبيل الوحدة الوطنية .

ومنذ اختفاء بومدين عن الساحة ، الذى نجح مشروعه فى توحيد البلاد فى إرضاء وتجميع مختلف فئات السلطة ، أصبح النظام السياسى يخضع لتعدد الفئات الإقليمية فى جوهـرها ، والتى أصبحت سيطرتها على الدولة تحول دون إقامة نظام سياسى حديث . وبدلاً من الدولة - الوطن ، أصبح الاتجاه يميل نحو الحديث عن الدولة - المقاطعات ، مما يدل على فشل مشروع التنمية الحكومية .

ومن ناحية أخرى ، وبسبب وصول أجيال جديدة لمرحلة البلوغ ، فإن عبء الوصاية التى تمارسه نخبة الحكام من مدنيين وعسكريين ، أفضى إلى ظهور العديد من الشبكات التى تؤثر فى التغير الاجتماعى والسياسى .

فهؤلاء هم البربر إذ يطالبون بهوية ثقافية بربرية وحرية التعبير ، يمثلون فى مطلع الثمانينيات شكلاً من أشكال المقاومة . فعلى أثر قيام المسؤولين بمنع مولود معمري بإلقاء محاضرة حول شعر البربر ، شهد "ربيع البربر" فى أبريل ١٩٨٠ الاضطرابات التى نظمتها كليات جامعتى الجزائر وتيزى أوزو ، تلك الاضطرابات التى لم تلبث أن شملت مجموع القبائل . ومن ناحية أخرى ، فإن نمو الجمعيات ، وبخاصة النسوية ، أصبح يعكس إرادة التعبير المستقلة الخاصة " بالمجتمع الحضرى " على حد تعبير المراقبين .

وراح المهمشون ، بالفعل ، يبحثون عن إعادة لصياغة الرابط الاجتماعى خارج مؤسسات الدولة . وهكذا ، ومنذ مطلع الثمانينيات ، وبالأذات بعد العمل بقانون الجمعيات فى يوليو ١٩٨٧ ، تضاعفت المساجد والجمعيات الخيرية التى يحاول المهمشون أن يجدوا فيها المنطلق لاكتساب أشكال جديدة لهويتهم الاجتماعية والتضامن الجماعى .

ومن خلال السوق السوداء والتهريب ، ظهر الاقتصاد بوصفه مجالاً مستقلاً يتيح إعادة النظر فى الاحتكار الذى تمارسه السلطة العسكرية على التجارة الخارجية . وهذه الرأى (التى تعتبرها السلطة موسيقى منحطة) وكذلك الحكاية الشعبية يصبحان معيناً لمعارضة جذرية للثقافة الرسمية التى ترعاها الدولة . وبدأت آليات أخرى جديدة لتشكيل التوحيد مع الحى ، ومع المدينة ومع الوطن ، بل ومع الأمة (فى تيزى أوزو ، عاصمة القبائل ، ظهرت شعارات تنادى " نحن لسنا عرباً ! ") تظهر داخل الأندية بين مشجعى كرة القدم .

وأصبحت الإستادات الرياضية بالفعل ، مسرحاً للتعبير عن أنواع جديدة من التضامن ، بالإضافة إلى المعارضة السياسية . وفى حين كثرت الشعارات التى يوجهها الشباب إلى السلطة (" نريد سكناً ، وأموالاً ! ") ويعبرون بها عن أسهم (نحن ضايعين) وصار العنف فى الإستادات الرياضية يؤدى إلى أعداد من الضحايا يتزايدون عاماً بعد عام .

ومن ناحية أخرى ، فإن النفى الذى يضطر الأبناء إلى ترك الأرض التى استردها أبائهم بعد التضحيات الغالية : اختراع لغة - ضد العزل اللغوى للذين تطلق عليهم الفكاهة الشعبية عبارة " أميين ثنائيو اللغة " ، واستخدام لغة الحديث اليومية المطعمة باللغة الفرنسية ، رمزاً لمقاومة لغة السلطة - ، كلها أساليب " وتقنيات تفرض بها الحداثة نفسها . ومن ناحية أخرى ، فإن انعدام الترابط الظاهر ، بل والتناقض الذى يسم هذه الممارسات يدلان على تنوع العمليات المنطقية التى كانت تعتمل فى الجسم الاجتماعى .

إن مثل هذه التصرفات تمثل فى واقع الأمر الطريقة التى يحول بها المهمشون الثقافة لصالحهم . ولكن هذه التحولات فى الممارسات اليومية ليست سوى بدايات لمعارضة أعمق لنظام السلطة .

النخبة التقنية المهمشة : القطيعة مع السلطة :

الواقع ، أنه كانت هناك قوة أخرى فى سبيلها إلى التشكيل لى تصبح ، شيئاً فشيئاً ، فى مقدمة القوى المعارضة للسلطة . وكانت تتمثل هذه القوة فى النخبة الجديدة من أوائل الموجات من حاملى دبلومات النظام التعليمى الجزائرى بعد الاستقلال ؛ خريجو التعليم العلمى غير العرب المبعدين عن الإدارة التقنية للدولة ، أولاً ، ثم خريجو التعليم العرب الذين لا يملكون سوى بعض الاستعدادات بالنظر إلى المهمة التى كانت الدولة تعدّهم لها .

من المفروض بالنسبة لنخبة التقنيين ، باعتبارهم " طليعة " مشروع بناء الدولة الجزائرية الاشتراكية فى السبعينيات ، أن يكرسوا أنفسهم تماماً لقضية التنمية المقدسة . ومن الجدير بالذكر أن إصلاح التعليم العالى فى عام ١٩٧١ خصص للتقدم التقنى دوراً رئيسياً فى إدارة التغيير الاجتماعى . وهذا الدور يضطلع به المهندسون .

وكان من المنطقى والوضع كذلك ، أن يطالب المهندسون بالقيام بنصيب كبير فى إدارة الدولة ، وكذلك المجتمع . غير أن نظام تمويل الاقتصاد الذى تهيم عليه "بنية تقنية " تفتقر إلى وسائل الإنتاج ، لكنها تتفرد بممارسة سلطة القرار ، هذا النظام دفع هؤلاء المهندسين إلى القطيعة مع الدولة لى يفرضوا مشاركتهم فى إدارة شئون المجموع .

كان طابع الغموض الذى يكتنف عقيدة التنمية عند النخبة الحاكمة وراء دفع نخبة التقنية إلى التعبير عن خلافاتهم السياسية داخل الإطار الثقافى / وهو مهد الشرعية والسلطة بالنسبة للحكام . وإذا ببعض المثقفين التقنيين ، بوصفهم حملة مشروع بديل للتنمية ، وبإدانتهم لفشل النظام الذريع فى الاضطلاع بمسئوليته فى هذا الصدد ، يعلنون من خلال أيديولوجية الأسلمة ، عن إيمانهم بالعلم والتقنية الحديثة مثل إيمانهم بالقيم الثقافية والدينية التقليدية . إن المحافظة على الهوية " العربية - الإسلامية " التى يهددها " تغريب " المجتمع ، وقلب الهرم الاجتماعى على حساب النخبة الحاكمة ذات اللسان الفرنسى (الفرنكوفونية) المسئولة عن فشل مشروع التنمية الوطنية بسبب تواطئها الثقافى مع الإمبريالية الغربية ، يمثلان رافدى الطموح لدى هذه النخبة التقنية . ومع إيمانهم بقدراتهم الخارقة ، يحاولون تحقيق الطموح الذى كان الرئيس بومدين قد أعلنه بالجمع بين " الأصولية العربية الإسلامية " والحدأة الاقتصادية .

ومن الجدير بالذكر ، أن اليسار الجزائري لم يتمكن من تحقيق هذا التزاوج مروراً بالقطعة القائمة بين التقدم التقني والحضارة الغربية .

ولما كانت هذه النخبة العلمية الإسلامية من الشباب قد ولدت خلال الخمسينيات ، فإنها كانت تمثل الجيل الأول من خريجي الجزائر المستقلة . وكان " الجانب " الحداثي الذي تتمتع به يضعها في الحركة الصاعدة . ومع ذلك ، ولكونها خارجة من القطاعات التقليدية سواء من البرجوازية الخاصة الصغيرة والمتوسطة - التجارية والمهنية أو المثقفين - ، أو من صغار ومتوسطى القرويين ، فهي ممثلة للطبقات المتوسطة الجديدة التي يعد عالمها الثقافي ، بالرغم من تكوينه في وسط حضري عن طريق الحصول على شهادة جامعية ، مرتكزاً بشكل واسع على الأصول القروية الخاصة بأبائهم . فهم ليسوا قرويين بالكامل ، وليسوا حضريين تماماً ، إنهم يشاركون في حركة " العمران الحضري " الذي يشمل الجزائر المعاصرة .

ولاعتقادهم بأن الاستقلال قد " استلب " عن طريق " جيش الحدود"^(١) والممارسين^(٢) ، الخارجين من " البرجوازية الصغيرة " المتفرنسة ، على حساب "مناضلي الداخل"^(٣) ، فهم يحملون ذكرى عالم ريفي أدى بكل سخاء ضريبة الدم في مقابل عائدات ضئيلة بخصوص المشاركة في ممارسة السلطة . ولما كانوا قد ذاقوا الهوان من " الإهانات " التي تعرض لها أبائهم منذ الاستقلال ، في مناسبات عديدة فهم يشعرون بحقد دفين نحو النظام وأوليائه .

(١) خلال صيف عام ١٩٦٢ ، وبعد خمس سنوات من اغتيال أبان رمضان الذي حاول ، في مؤتمر سومان عام ١٩٥٦ ، أن يفرض مبدأ أولوية الدخل على الخارج والسياسة على العسكرية ، الأمر الذي أدى إلى قتله بيد أصدقائه ، قام جيش الحدود بقيادة هواري بومدين المنضم لأحمد بن بيلا ، بالاستيلاء على الجزائر العاصمة في أغسطس ١٩٦٢ .

(٢) الذبح لجأوا أو من المفروض أنهم لجأوا إلى الأدغال بعد التاسع من مارس ١٩٦٢ ، وهو تاريخ بدء سريان وقف إطلاق النار تنفيذاً لاتفاقيات إيفيان .

(٣) صورة تؤيدها التصفية التي تمت قبل عام ١٩٦٢ لبعض "الزعماء التاريخيين" للثورة ، ثم بعد التحرير .

ولما كانوا فى حقيقة أمرهم أبناء حضريين " لقرويين مبعدين عن قراهم^(١) " ، سبق أن ناضلوا ضد الاحتلال الاستعماري باسم المحافظة على الوضع القروى التقليدى ، فإن دخولهم عالم السياسة كان من خلال معركة ضد الوصاية البيروقراطية التى يمارسها الجهاز التقنى فى الحكومة فى الثورة الزراعية ، ذلك الجهاز الذى وضعه نخبة الحكام الحضريين للقضاء على أسس الطبقة الريفية التقليدية .

ولكونهم حملة ذكرى أليمة ، ذكرى الاحتلال ، والحرب والطرد من الأرض ، فقد أخذوا على عاتقهم ، فى تحد وإصرار ، إعادة صياغة الرباط الاجتماعى مستعينين فى ذلك بالفئات المتوفرة من حضارة القرية وكذلك الفئات الوليدة من الحضارة الحضرية . وبعد الفصل بينهم وبين أوامر القرية فى أسرهم والشمالى التقليدية ، فقد أصبح من واجبهم بذل استراتيجيات حركة جديدة . وهنا وجدوا فى الأيديولوجية الإسلامية ما يعينهم فى التغلب على ما يعانون من انقسام اجتماعى وثقافى ، كما وجدوا فيها ما يتيح لهم تحويل ما تعرضوا له من استلاب وقهر إلى حركة اجتماعية وصياغة مشروع سياسى .

وكما هى الحال فى فرنسا حيث المدرسة تكون منطلقاً للصعود الاجتماعى ، فإن المدرسة والجامعة كانتا بعد استقلال الجزائر المكان الذى تكونت فيه النخبة الحاكمة ، ثم ، وبعد التأثير المكثف فى الإقبال على التعليم ، أصبحت المدرسة والجامعة هما المنطلق لحركة سائر الجسم الاجتماعى (عدد الطلاب المسجلين فى الكليات ارتفع من ٢,٨٠٠ عام ١٩٦٢ / ١٩٦٣ ، إلى ١٧٣,٨٠٠ عام ١٩٩٧/١٩٩٨) ومن ثم ، فإن الخريجين الجدد المعتمدين على شهاداتهم للارتقاء الاجتماعى الذى ينبغى فى نظرهم أن يتوازى مع الحصول على الشهادة ، قد اكتشفوا حياة علمية وسياسية صدمة بفعل سيطرة الحزب الواحد . ولما كانت المدرسة والجامعة حقيقتين بضمان توفير هيمنة الطبقة الحاكمة ، فقد أصبحتا ، منذ ذلك الحين ، فى قلب تناقضات نماذج إنتاج النخبة الحاكمة .

(١) بيزر بوردو وعبد الملك سيد ، التغريب : أزمة الزراعة التقليدية فى الجزائر ، باريس/طبعة ميني ، ١٩٦٤

وهكذا ، ومع قلب الأيديولوجية العلمية التي كانت تقوم على تحقيق شرعية هيمنة طبقة " برجوازية الدولة " ، فإن أبناء البرجوازية الصغيرة والطبقة الريفية المتوسطة توجهوا للتخصص في المجالات " النبيلة " في رأيهم ، وبصفة خاصة الطب ، وهو الطريق الملكي الذي لم تطرقه لفترة طويلة سياسية التعريب . وإذا بهيمنة " برجوازية الدولة " يعاد فيها النظر داخل الحرم الجامعي نفسه ، وهو أول المسارح التي شهدت الصدامات بين السلطة والمعارضة الإسلامية ، الأمر الذي يفسر فيما بعد النسبة العالية من الأساتذة في التعليم العالي من بين الكوادر والمنتخبين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ . جاء في برنامج الحزب : " المطلوب رد الاعتبار لمهنة التدريس ومكانتها والاحترام الواجب لها في الأمة الإسلامية ، كذلك من الضروري تحسين الأوضاع المادية للمدرس . وهذا ما ينبغي له بالنظر للواجبات المقدسة الملقة على عاتقه في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الأمة " .

وكان من نتيجة وصول الأعداد الضخمة من خريجي التعليم التقني إلى أسواق العمل في مطلع الثمانينيات ، الكشف عن حجم التفرقة اللوائية . ففضلاً عن أن الحصول على الشهادات لم يحل بين الخريجين التقنيين وبين البطالة ، فقد وجدوا أنفسهم مكسبين في أعمال تقنية ، صحيح أنها تتفق مع مؤهلاتهم ، لكنها لا تحقق لهم المقابل المادي والاجتماعي الذي تحققه الأعمال المقصورة على المتعاونين مع الدولة من أمثالهم . وفي حين أن الأعمال المرتبطة بالدولة برباط وثيق تتيح لبرجوازية الدولة الرقابة على الاقتصاد ، فإن الأعمال التقنية تتعرض لهيمنة كبيرة من جانب العقلية البيروقراطية . هذا الخلل في عدالة التوزيع يفسر لجوء العديد من المهندسين إلى ممارسة أنشطة تعويضية خاصة في مجال التجارة .

ولما كانت الغالبية من هؤلاء النخبة من الشبان التقنيين تعمل في جهاز الدولة حيث لعبة الترقى تخضع للمحسوبية والنفعية ، فقد وجد هؤلاء الشبان أنفسهم عرضة لمذلة العمل تحت رئاسة طائفة غالباً ما تكون أدنى منهم في المؤهل والخبرة .

وجاءت سياسة الانفتاح فزادت من حدة هذا الوضع ، إذ هيأت الفرص للحصول على امتيازات في مجال التجارة ولو بطرق غير شرعية ، لا يحققها التخصص في الدراسات العليا .

وإذا بالضياح والقصور والفيلات التي تم الحصول عليها بطريق غير شرعى خلال شهور عديدة ، وبخاصة الفيلات المنشأة فوق تلال باب الواد دون اعتبار لقوانين تملك الأرض ، وبالرغم من ندرة مواد البناء ، قد قضت تماماً على هيبة الدولة فى نظر خريجي التعليم العلمى ، وخاصة أنهم فى أحسن الظروف يضطرون إلى قبول مساكن المواطنين المتواضعة فى الأحياء الشعبية . وكنوع من رد الاعتبار لهم والعرفان فقد تدخلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ومنحتهم أدواراً اجتماعية راقية .

وهم إذ كانوا مضطرين ، فوق ذلك ، إلى العمل فى تقنية مستوردة من الغرب ، ويحاولون فى أغلب الأحيان إلى وظائف تخضع لرئاسة خبراء أجانب يحتلون وحدهم المناصب العليا ، فهم ينسبون مسئولية وضع التبعية الذى يعانى المجتمع الجزائرى إلى "برجوازية الدولة المغتربة" المتهمه بالتواطؤ مع الغرب وبخاصة القوة الاستعمارية القديمة . وإذا بالنخبة المبعدة عن قطاع التقنية الذى تجنده الدولة يستعيرون من مصطلحات العالم الثالث العديد من مواقفهم ويعدون أنفسهم موكلين بمهمة تخليص الجزائر من سيطرة النظام العالمى الجديد ، المهتم بصناعة "ضعفاء" [...] خدام القوى الأجنبية الصناعية (الفرقان ، صحيفة ثنائية اللغة تصدرها الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، العدد ٩ ، أغسطس ١٩٩١) . ومن ناحية أخرى ، فإن البرنامج الاقتصادى للجبهة الإسلامية للإنقاذ المفروض فيه أنه يتيح للجزائر أن تعوض تأخرها التقنى والحصول على استقلالها الحقيقى ، يحاول استئناف أسطورة التنمية المركزية التى بدأتها الجزائر الاشتراكية عام ١٩٧٠ .

وتأتى أزمة الوقود عام ١٩٨٦ ، لتشهد القطيعة النهائية مع الدولة لعدد كبير من الخريجين ، والبحث عن دور اجتماعى من شأنه أن يشبع رغباتهم فى الاستقرار . ولما كانت أجورهم تأتيم أساساً من دخول البترول ، فقد أصبحوا ينسبون أحوالهم المادية المتردية إلى الدولة . وعلى ذلك فقد رفضوا الاستمرار فى القيام بدور الوسيط بين السلطة وبين الدوائر الاجتماعية ، لثقتهم الأكيدة بأن هذا الاستمرار لا يؤدي إلا إلى زيادة سيطرة نخبة الدولة . وفى الاتجاه نفسه ، وباسم النضال ضد التسبب والفساد ، راحوا يطالبون بالرقابة على الدخل وتوزيعه ، ومن ثم ، بالمشاركة فى ممارسة السلطة .

سوء حسابات حركة التعريب :

بدءاً من مطلع الثمانينيات ، امتدت حركة المعارضة إلى المساجد في الأحياء الشعبية .

وكانت نشأة قادة البروليتاريا في الحركة الإسلامية من بين مجموعات الشبان المحرومين من النظام الدراسي ، أو من بين الأعداد الضخمة أيضاً ممن اختاروا الإفلات من هذا النظام ، إما لأن آبائهم لم يثقوا في المدرسة كضمان للحركية في المجتمع، وإما لأنهم فضلوا العمل في مجالات أكثر عائداً ، ومن ثم تكون هؤلاء القادة ، جزئياً ، من بين مجموعات الخريجين في مدارس التعليم المعرب .

سرعان ما اكتشف خريجو مدارس التعريب وأولياء أمورهم أن قرارات التوجيه "الإسلامي العربي" للنظام لا تعدو أن تكون مجموعة من الشعارات في بلد ، الكفاءة فيه تعنى التمكن من اللغة الفرنسية . وخلال السبعينيات ، بينما سافر العديد من الطلبة الجزائريين إلى الشرق الأوسط للدراسة ، كانوا يعودون بعد أن حصلوا على معرفة واسعة في جوهرها معربة ، ووجدت الجزائر نفسها أمام نوع من التحدي لتطبيق نظام تربوي يعتمد أساساً على التعريب الذي كان ينظر إليه في ذلك الوقت بوصفه أحد روافد التنمية الذاتية . غير أن خطة التعريب كان بها نقص واضح في الأطر المعربة تعريباً كافياً من أجل ضمان تكوين الأجيال القادمة. ولذلك لجأ القادة الجزائريون إلى الاستعانة ببعض الخبرات الشرقية ، في أغلبها من المصريين ، كان لها تأثير واضح (وبخاصة في مجال نشر المؤلفات الإسلامية) في تنمية جبهة مناضلة من الإسلاميين تعمل ضد المشروع الاشتراكي . ولذلك جعلت العناصر المهمشة من عملية التعريب حصان السباق بالنسبة لهم ، على أمل أن تتيح لهم نوعاً من تكافؤ الفرص . وكان من نتيجة ذلك ، أن قام طلبة نظام التعريب مرتين ، في عام ١٩٧٥ ثم عام ١٩٧٩ ، بالاحتجاج بسبب ضالة العائد الوظيفي المتوافر لهم وطالبوا بالتعريب الكامل والفعلي للإدارة . في ذات الوقت ، جعلت النخبة الحاكمة من سياسة التعريب أداة لشرعيتهم ، مع حرصهم الشديد على إبعاد أبنائهم عنها . ومن حيث إن عملية التعريب زادت من ضعف الفئات الاجتماعية غير المستقرة، فقد أدت إلى نوع من القطيعة التي لا علاج

لها بين أيديولوجية التقنية الحكومية الفرنكوفونية الخاصة بنخبة الدولة ، وبين أيديولوجية الأسلمة العريفونية الخاصة بنخبة المهمشين . وفى مقال بعنوان " لغة الأمة بين أخطبوط الفرنكوفونية وحراس التبعية الثقافية " ظهر باللغة العربية فى جريدة المنجد الناطقة بلسان الجبهة الإسلامية للإنقاذ (العدد الخامس ، نوفمبر ، ١٩٨٩) كتب كاتب إسلامي فى أسلوب لم يؤد إلا إلى زيادة الصراع الاجتماعى الذى يدور حول معركة اللغة : "إن محاولة إلغاء اللغة العربية هو ثمرة مؤامرة تنصيرية تم التخطيط لها بكل صبر وعناية [...] إن الاستعمار لم يفقد الأمل فى بلوغ أهدافه، وهو يسعى إلى بتر اللغة العربية حتى يصبح الحديث بها عاراً [...] إن بعض خدام الاستعمار الفرنسى وعبد الصليب، ذهبوا إلى حد إلغاء اللغة العربية من برامج أحزابهم، فى حين أعلن آخرون تحالفهم مع فرنسا، وتأمروا حتى جعلوا اللغة الفرنسية على قدم وساق مع اللغة العربية [...] هؤلاء الذين جعلوا فرنسا قبلتهم، وبيجار نبيهم، لن يرضوا إلا إذا وجدوا الإسلام ممرغاً فى التراب [...] إنهم يحتكرون مناصب التوجيه الوطنى ويطبقون الشعار الذى كان دوماً شعارهم : الجزائر فرنسية . فكيف نتوقع منهم أن يتذكروا للوعد الذى أخذوه على أنفسهم لفرنسا ؟ [...] حينما تصبح لغة العلم فى أمة لغة أجنبية، فإن هذا دليل على تبعية هذه الأمة وأيضاً دليل على الذلة والمهانة : إنها بصمات الاستعمار على جبين الأمة . إن شعباً يستعير لغة شعب آخر إنما يستعير منه أيضاً فكره وسلوكه . [...] إن أعداء الإسلام ، عبيد الاستعمار والتنصير، وعملاء الصهيونية المدمرة ، يريدون من الجزائر أن تلقى بنفسها فى أحضان بلاد التحالف الفرنكوفونى " .

ونتيجة لذلك فإن وطنية النخبة الإسلامية تعبر عن نفسها بادئ ذى بدء ، من خلال إصرارها على الالتزام بالطوقس اللغوية ، فالنخبة الجزائرية تجد نفسها دوماً مضطرة إلى إظهار شرعية أوضاعها عن طريق الإعلان عن فاعلية صراعها ضد الإمبريالية الأجنبية ، وعن طريق المناهضة الداخلية للنظم التى تتعلق بقيمتها . وإذا كانت " اللغة الفرنسية " بعد الاستقلال تمثل طريقة التعبير المميزة " للبرجوازية الصغيرة " ، بالرغم من أن الوطنية التى رفعت شعارها الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد جعلت من تبني " اللغة الوطنية " أحد الأسلحة الرئيسية لتحقيق الاستقلال ، فإن النخبة الإسلامية جعلت

من نفسها الحارس للأصولية اللغوية . وكما أن التمييز بين الناطقين بالفرنسية والمتناضلين بالعربية قد أدى عام ١٩٦٢ إلى اختلافات ثقافية عميقة - بين نخبة من خريجي المدارس الفرنسية ونخبة من خريجي جامعات الشرق الأوسط - فإنها اليوم تطرح على الساحة انقساماً بين حاملي الثقافة " الفرنسية " بوصفها أجنبية ، وبين حاملي الثقافة " الوطنية " وهي ثقافة محلية . وفي مقال ظهر باللغة الفرنسية يعلن أحد قراء صحيفة المنجد الإسلامية (العدد ١٣) عن سخطة قائلاً : " لقد أصبح الإسلام مصدر إزعاج لحيثالة فاسقة تزعم أنها مثقفة، لأنها تلغو بالفرنسية وتريد أن تصبح أوروبية حتى اللب . يا له من امتياز داعر إذا علمنا أنه كان وراء الاستعمار الفرنسي للجزائر . وهكذا ، ولما كان أوائل المجاهدين الإسلاميين في أغلبهم ، من نوى التكوين الفرنكوفوني ، فبدلاً من أن نطلق عليهم صفة ناطقين بالعربية (عريفون) من الأفضل أن نسميهم " مستعربين "، وهو لفظ يعنى أفراداً عالمهم الثقافي محدد واقعياً أو رمزياً باللغة العربية .

كذلك يمكن أن نصفهم بأنهم عريفون سوسيولوجيون كما كان سالفاً في فرنسا من أطلق عليهم " مسلمون سوسيولوجيون " وهو ما يفسر أن هناك ، داخل قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، مجاهدين من أصل " قبائلي " ، متعربين / من بين أكبرهم سنّاً ، عن طريق التسيج المدني الخاص بالمدارس الوطنية ، والمندمجين في الجسم العربي، أشبه بالأقليات النصرانية في الشرق الأوسط . وهم على أية حال يصطدمون بمصالح من يصفونهم بأنهم متفرنسون .

أكتوبر ١٩٨٨ - التقاء المعارضات :

اتحد الخريجون المهمشون مع ضحايا سياسات الانفتاح التي وجدت في البطالة، أو قلة فرص العمل ، أخطاراً لم تعد الدولة تنقذهم منها، كما اتحدوا مع عمال القطاعات الأقل اندماجاً في الاقتصاد الوطني - من المهنيين وصغار التجار وصغار الموظفين ، ووجد الخريجون المهمشون في الأيديولوجية الإسلامية الوسيلة للنهوض بمشروع إنقاذ جماعي يكون بمثابة ثورة تالية لمشروع الدولة في التنمية ، ذلك المشروع الذي يعتقدون أنهم مستبعدون من المشاركة فيه .

وكانت انتفاضة أكتوبر ١٩٨٨ ، وهي ذروة فترة بدأت بـ " ربيع البربر " ١٩٨٠ واستمرت من خلال انتفاضات قسطنطينية عام ١٩٨٦ ، تمثل في الواقع وصول جيل جديد إلى مرحلة البلوغ السياسي ، جيل جديد لا يتعرف على نفسه في نهج الحكام السياسي ، ويطالب ، من خلال معارضة النظام القائم ، بفرصة أعدل في آليات التوزيع . وسواء كانت انتفاضات قسطنطينية وسيتيف في نوفمبر سنة ١٩٨٦ التي ارتكب فيها الطلاب عمليات نهب رهيبية ، ترجع في الأصل إلى التنديد برداءة الطعام (طبق عدس كان الشرارة التي اندلعت بسببها المظاهرات) ، وسواء كانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨ مسبوبة بحالات فقر ويؤس لم يسبق لها مثيل ، فإنها لم تكن مجرد انتفاضات عادية ، ولكنها تدل في واقع الأمر على إرادة المهمشين في التخلص من نظام متسلط وعاجز في الوقت نفسه .

بينما كان العديد من قطاعات الاقتصاد في حالة إضراب منذ أواخر شهر سبتمبر ، وكانت بعض السلع الضرورية تنقص في الأسواق ، راجت شائعات بإضراب عام كان سبباً في الانتفاضة الشعبية التي اندلعت ليلة الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٨ في الجزائر العاصمة . ففي خلال ساعات محدودة شرعت جماعات من الشبان في باب الواد تهاجم السيارات الفاخرة والمحلات العامة (وبخاصة تلك التي تنتمي إلى الحزب الوحيد) ومتاجر الدولة ، وبشكل عام كل ما يرمز إلى النظام الحاكم . كما هوجم المركز التجاري المعروف باسم " رياض الفتح " (وسيصبح كذلك هدف الجماعات الإسلامية المسلحة صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢) وتحولت الحركة إلى عصيان حينما أطلق الجيش النار وأصاب العديد من المتمردين بجروح . وفي اليوم التالي ، إذا بالاضطرابات التي انضم إليها عدد من طلاب المدارس الثانوية المضربين منذ الثالث من أكتوبر ، تمتد إلى جميع أحياء العاصمة ، ثم إلى الغالبية العظمى من البلاد . وبالرغم من صدور قرار بوقف إطلاق النار منذ السادس من أكتوبر ، وتحذير الآباء من قبل القيادة العسكرية بعدم السماح لأبنائهم بالخروج ، زادت الحالة سوءاً مع مرور الأيام ، حينما راحت مجموعات الشبان يتصنون للعربات العسكرية بأيديهم الفارغة من أي سلاح ويصيحون مطالبين بالعدالة وهم يهتفون مرددين : " شاذلي قاتل " (١) .

(١) إذا كانت الأرقام الرسمية تشير إلى ١٥٠ قتيل و ٥٠٠ جريح ، فإن الجمعية الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان تقدر عدد القتلى بـ ٥٠٠ ، كذلك فقد نددت الجمعية باستعمال التعذيب .

اندلعت المظاهرات أولاً بقيادة زعماء الأحياء، ولم تلبث أن تولي قيادتها الزعماء الإسلاميون . وكانت الدهشة الشديدة لأن الحركة كانت ذات طبيعة مختلفة عما تعودت عليه الجزائر حتى ذلك اليوم ، فقام بعضهم على وجه السرعة بعمل " خلية أزمة " تولت مهمة الوساطة بين السلطة وبين المتظاهرين . وفي السادس من أكتوبر صدر بيان من " الخلية " ويتوقع من الشيخ أحمد سحنون (أحد قدامى جمعية العلماء وهو متشدد مع السلطة ، ومن ثم فهو يتمتع باحترام كبير لدى جماهير الشعب) يعلن أن الأزمة ترجع أسبابها وبوافعها إلى موقف عام متردٍ بسبب سياسة البذخ والتسيب والهيمنة على حساب مصالح الأمة العليا ، ولا يمكن حلها إلا " بالعودة إلى الإسلام كشرعية ومنهج ، بعد فشل النظم الفاسدة المفسدة " ومع كل فإن نداء الشيخ سحنون لم يحدث في أول الأمر أى تأثير ثم توالى المواجهات . وبعد أن أعلن "فقد إسلامي" مكون من على بن حاج والهاشمي سحنون وكامل نور (ثلاثة دعاة يتزايد حجم جمهورهم باضطراب في الأحياء الشعبية) في اليوم السابع من أكتوبر ، عن نيته في القيام بزيارة لسلطات الشرطة، وأدى سقوط العديد من الضحايا يومي الثامن والتاسع من أكتوبر إلى صدور نداء آخر بالتظاهر من على بن حاج في اليوم العاشر من أكتوبر في مسجد كابول (بلكور) ولم يعرف أحد كيف ولماذا - استقراز ؟ سوء حظ ؟ فبينما المصلون في طريق عودتهم من المسجد ومرورهم أمام مبنى الإدارة العامة للأمن الوطني ، إذا بغيار نارى مجهول يطلق في اتجاه قوات النظام فيكون بمثابة إلقاء النار على البارود ، فقامت قوات النظام بالرد مما أسفر عن ثلاثين قتيلًا تقريباً .

وتدخل على بن حاج مرة أخرى . وقدم تظلمًا باسم الحركة الإسلامية في عريضة من عشرة نقاط تمثل مطالب المتظاهرين . من بين المطالب التي تقدم بها إطلاق سراح جميع السياسيين المحتجزين قبل وأثناء الأحداث ؛ وإلغاء المحسوبيات والمفاسد السياسية والإدارية ، وضمان حد أدنى للحياة لكل جزائري ، وحرية الدعوة للإسلام دون أى قيود ؛ وحرية التجمع والتعبير ونقد الدولة ؛ وإصلاح القضاء وتحسين أوضاع رجال القضاء درأً للفساد ؛ و" إصلاح " التشريع لإلغاء كل ما يعارض الإسلام ؛ وإصلاح التربية والتعليم سعياً لإقامة تعليم إسلامي ؛ ودعم الصحافة المستقلة وضمان حصانة الصحفيين لكي " تعود الكلمة إلى الشعب" ، باختصار ، ندد الزعماء

الإسلاميون بجميع المساوي التي يعاني منها المجتمع الجزائري مع إضافة بعد أخلاقي لا يمكن للمتظاهرين إلا أن يكونوا مؤيدين له . الجزائر في أزمة . وهي أزمة اقتصادية واجتماعية حقاً ، ولكنها أيضاً أخلاقية ، غذتها عدة عقود من الفساد والمحسوبية ، مما يفسر أن الانتفاضة التي يدعو إليها الإسلاميون البلاد يمكن أن تبدو للبعض الإجابة المناسبة .

دولة ظالمة = دولة كافرة

على بن حاج و «الحل الإسلامي» :

راح الشباب الصاعد يمثل القوى الاجتماعية السابق تشكيلها ، وكذلك الأحزاب السياسية التي ظهرت صبيحة اضطرابات أكتوبر . ومن خلال الجبهة الإسلامية للإنقاذ، توجّد شباب المدينة المعزول في أشخاص القادة الذين يشبهونه . وهناك رجل استطاع أن يتقمص وحده هذا الجيل بأسره . هذا الرجل هو على بن حاج .

ولد بن حاج في السادس عشر من ديسمبر ١٩٥٦ داخل أحد معسكرات اللاجئين على الحدود الجزائرية التونسية . وهو من ولاية بشار (جنوب الجزائر) مسجل في شهادة ميلاده باسم على بن محمد بن حاج حبيب بن صلاح ، ابن خيرة بن حسن ابن محمد . وفي الثاني عشر من فبراير ١٩٨٩ صدقت محكمة الجزائر العاصمة على اسمه الذي أصبح حينئذ على بن حاج نسبة إلى جده من أمه . وعلى بن حاج هو ابن " شهيد " ، ماتت أمه وهو في سن التاسعة . وقام بتربيته خاله من خريجي جامعة الزيتون المشهورة في تونس العاصمة . لدى عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال ، وعلى الرغم من قلة موارد أسرته المادية ، التحق بإحدى المدارس الثانوية في مدينة كوبة بالجزائر العاصمة حيث ظهر اهتمامه البالغ بالقضايا الدينية . وبعد مرحلة مراهقة مضطربة ، رسب في عام ١٩٧٥ في امتحانات البكالوريا . وفي عام ١٩٧٩ ، نجح في مسابقة التدريس بالمدارس المتوسطة وأصبح مدرساً بإحدى المدارس الثانوية في كوبة . استفاد على بن حاج من العلوم التي تلقاها على أيدي كل من الشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ أحمد سحنون ، وبصفة خاصة الشيخ عمر العريايي ، وهم جميعاً من

قدما أعضاء جمعية العلماء غير المرتبطة بالنظام السياسى . ومن ثم بدأ على بن حاج نضاله منذ عام ١٩٧٧ فى إطار الحركة الإسلامية وندد بالسلطة مستخدما عبارات تزداد قسوة يوما بعد يوم ، الأمر الذى كلفه العديد من " الزيارات " لمديرية أمن الجزائر العاصمة . فى سن العشرين ، بدأ على بن حاج حياته العلمية بالعمل خطيباً فى جامع العثور . فى الدائرة الانتخابية الخاصة بالشيخ **مصطفى بوبالى** (زعيم أول الأحرار أو الأدغال الإسلامية ، وذلك من عام ١٩٨٢ حتى ١٩٨٧) الذى أصدر بشأنه فتاوى تؤيد النضال المسلح . وكان تردده على المجموعة سبباً فى القبض عليه عام ١٩٨٣ وصدور الحكم عليه من محكمة أمن الدولة بالسجن ، فكرس شهور سجنه فى قراءة القرآن الكريم وأمهاث الكتب الإسلامية . وبعد أن أمضى فترة من العقوبة ، صدر قرار رئاسى بالعمو عنه ، لكنه رفض . فحددت إقامته فى ورجلا **Ouargla** عام ١٩٨٧ . ومنذ ذلك التاريخ ، قرر ، مع مجموعة أخرى من الخطباء ، أن ينشر " الكلمة الطيبة " (١) فى بعض أحياء العاصمة . كما نظموا بين صلاة العصر وصلاة المغرب ، سلسلة من المحاضرات فى موضوعات متنوعة حول المساعدات الاجتماعية ووضع المرأة فى الإسلام . وقد ساعد فى نشر هذه المحاضرات تسجيلها فى أشرطة وتوزيعها على سائر مساجد البلاد .

من صفات على بن حاج البارزة حمسه الزائد وتعمقه الشديد فى الدين ، كما أن أسلوبه واضح مفهوم يجمع بين العربية الفصحى واللهجة المحلية فى أسلوب ساخر لاذع جذب إليه إعجاب العديد من زعماء الإسلاميين فى العالم . جمع بين موهبة الخطابة وبراعة التمثيل . ينتقل بين الصوت الجهورى والرقعة والعذوبة والبكاء تارة والسخرية تارة أخرى . تصل خطبه إلى قلوب المستمعين الذين يحصلون عليها مسجلة ومعروضة فى " الأسواق الإسلامية " يوم الجمعة ، وحتى فى المكتبات المتخصصة فى باريس فى الحى العشرين والحى الثامن عشر .

فى باب الواد يلقى على بن حاج ، من فوق المنبر ، فى مسجد السنة أو " الإمام على " كما يطلقون عليه ، خطبه عن قصد أو غير قصد ، فتثير ذكرى الشهيد على بن أبى طالب ، فيزلزل الطبقة الحاكمة فى الجزائر والمسؤولين فى الغرب .

(١) هى عبارة " لا إله إلا الله " التى هى أساس العقيدة الإسلامية (المترجم) .

ولا ينفك بن حاج عن التنديد بالمؤسسات الجزائرية وإثارة قلق السلطة ، وتتتابع الصفات التي تُخلع على الرجل ، من " الفاضل " إلى " المعصوم " ، الرجل الذي لن ترتاح له السلطة الجزائرية أبداً . ويتدخل عباس مرات عديدة من أجل التخفيف من غلواء وحماسة هذا الخطيب الشاب الذي أصبح " معبوداً " للشباب البائس المهمش . ويمكن سر نجاحه قبل كل شيء في تقشفه الذي يقربه من الجمهور . ثم في الرحمة الحقيقية التي تجعله يمس شغاف قلوب الناس ويعين لهم الدواء الناجع لآلامهم . ومع انتماء بن حاج إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ منذ نشأتها ، أصبح يمثل التوجه الراديكالي في الحزب . فهو لا يقلل أى تواطؤ حول موضوعات الديمقراطية (التي يرى أنها "فاسدة " لا أمل فيها) وإقامة دولة إسلامية تقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية . وبذلك يصبح على بن حاج أبرز أعضاء الحزب وأكثرهم تشدداً . ولكنه أيضاً ، وبطريقة ما ، أكثرهم تأثيراً في الجماهير .

ومن الجدير بالذكر ، أن جمهور بن حاج راح يزداد أسبوعاً بعد أسبوع ، بل إن القوم كانوا يحضرون من الأقاليم للاستماع إليه وهو يدعو إلى إقامة دولة إسلامية . وتصبح هذه اللقاءات فرصة لمناضلي العاصمة لإقامة اتصالات مفيدة مع جميع أنحاء البلاد . كما زاد الطلب على بن حاج لكي ينتقل إلى الأقاليم ليلقي فيها الخطب . وتحت تأثير الضغط وتجربة السجن التي مر بها ، أصبح يطبع خطبه بطابع سياسي جديد . كما أن تأثيره الكبير على شباب الأحياء الشعبية ، وقدرته على تحريكه ، وكذلك في إعادته إلى النظام ، جعلت منه صبيحة أزمة أكتوبر عنصر وساطة للسلطة . وقد جعله هذا الوضع يحتل مكان الصدارة في الحزب الجديد .

وصبيحة انتفاضات أكتوبر ١٩٨٨ ، جاء خطاب الدولة يحمل آيات المديح والثناء الزائد للقضايا المتعلقة بوظيفة المؤسسات ، وذلك على حساب القضايا الاقتصادية والاجتماعية ، مما أعطى الجزائريين المهمشين الشعور بأنهم غير مقصودين بعملية " الديمقراطية " وأصبحت مطالبهم ، التي تتركز على تحقيق أفضل لآليات التوزيع ورفضهم لديمقراطية تنحصر في بعدها الوحيد التشريعي السياسي ، تجد صدى كبيراً عند الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، التي كانت تدعو إلى إتاحة الفرصة للشبان المهمشين لإعادة رسم حدود الخريطة الوطنية بمنأى عن الدولة .

ومن ناحية أخرى ، وجد المهمشون في الانفتاح الاقتصادي الذي أعلنه الرئيس شاذلي صبيحة انتفاضات أكتوبر ، وسيلة تفتق عنها خيال النظام السياسي للتخلص

من الواجبات الاجتماعية الملقاة على عاتقه منذ ثلاثين عاما . لذلك سجلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أكبر نجاح حينما حلت محل الدولة في القيام بهذه المهام . كان ذلك على وجه التخصيص بمناسبة زلزال تيباسا Tipasa في أكتوبر ١٩٨٩ . تلك الهزة الأرضية العنيفة التي أسفرت عن آلاف الضحايا في المدينة التي جعلها ألبيركامو مسرحاً لروايته " العرس " ، التي عانت من بلاء إجراءات الدولة لإنقاذها . لقد قام المجاهدون المسلمون بفضل خبرتهم الطويلة في الحركية وتقديم المساعدات ، بسد هذا النقص ، محققين بذلك كسب أصوات سكان المدينة لصالحهم .

وأخيراً كانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨ ، في نظر المهتمين ، دليلاً على أن السلطة، قادرة على كل شيء ، بما في ذلك إطلاق النار على الأطفال ، من أجل المحافظة على امتيازاتها . إن المسلمين الحقيقيين (هكذا يعرف القادة الوطنيون أنفسهم منذ الاستقلال) لا يتصرفون على هذا النحو ، فالكفرة وحدهم الذين أعرضوا عن " قيم الإسلام الحقيقي " هم الذين يتجربون على " انتهاك الحرمات " على هذا النحو . وعلى ذلك فقد أصبح القادة السياسيون الفاسدون ، على النقيض من الدعوة العربية الإسلامية الرسمية ، يوصفون بأنهم " منافقون " على شاكلة أعوانهم من الأئمة الرسميين ، الذين يوصفون منذ منتصف الثمانينيات بأنهم أئمة شيكات الحسابات البريدية (CCP) أو الخبزيين (أئمة الفتة) .

ونهج المسلمون منهج الترغيب والترهيب في علاج المفاصل التي يعاني منها المهتمون وينسبونهم إلى الدولة، وكان أحد الشعارات المعلنه في الحملة الانتخابية في ديسمبر ١٩٩١ والتي رفعها المسلمون ، شعار يقول : " صوتك ، ستكون مسئولاً عنه أمام الله " . وبذلك أصبح عدو الشعب عدواً لله .

والواقع، أنه إذا كان الفساد والظلم الاجتماعي يرجعان إلى قيام القادة السياسيين باستيراد " العادات والتقاليد المخالفة للأخلاق الإسلامية " من الغرب ، فإنه لا يقدر على إنقاذ الجزائر من طوفان الفساد إلا قادة يخافون الله . وأصبح الإنقاذ الوحيد على المستوى الفردي والجماعي هو المطالبة بتطبيق " الحل الإسلامي " . ولقد أصبح هذا البرنامج يتجلى في إعلان الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي اختارت لها شعاراً الآية الكريمة التي تقول : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ ﴾ .

[آل عمران ، ١٠٣]

العروبة والإسلام فى قلب الجدل السياسى

فى معرض اتهامها للسلطة بعدم الالتزام بنظام إسلامى ، أسهمت هى مع ذلك فى تشكيله ، لا تحاول الجبهة الإسلامية للإنقاذ الدعوة إلى إعادة النظر فى صيغة شرعية السلطة ، وإنما تنقل معركتها ، على النقيض من ذلك ، إلى قلب جهاز الحركة الوطنية .

إن نضال الجزائر من أجل الاستقلال قام ، فى واقع الأمر ، على محورين اثنين ، الأول " ثقافى " تمثله جمعية العلماء ، والثانى " سياسى " تمثله حالياً جبهة التحرير الوطنى . هذان المحوران ، إذ يجعلان من الإسلام المعبر عن الإجماع الوطنى ، فإنهما يضيفان عليه وعلى الأمة قدرات كبرى فى تحقيق الشرعية للعناصر المختلفة التى تسعى إلى كرسى السلطة .

العروبة والإسلام

دور العلماء فى تشكيل الوطنية الجزائرية

إن تكوين وعى وطنى يكون فيه الإسلام دعامة الشخصية والأمة الجزائرية وعنصر اندماج وتوحيد للشعب الجزائرى ، يجد جذوره فى كل من الحركة الوطنية الإسلامية " الخاصة بجمعية العلماء بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والحركة الوطنية الشعبية التى يدعو إليها مسالى حاج^(١) . وإثارة هذا النوع من

(١) لمزيد من التفاصيل ، انظر : محمد حربى ، أصول جبهة التحرير الوطنى : الشعبية الثورية فى الجزائر ، باريس ١٩٧٥ ، وعلى مراد ، الإصلاح الإسلامى فى الجزائر من ١٩٢٥ حتى ١٩٤٠ ، باريس ، موتون ، ١٩٦٧ .

الوطنية كان إلى حد كبير وراء وقوف الشعب الجزائري إلى جانب جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني التي وجد فيها المجاهدون الذين سقطوا في ساحة الشرف ، قانون الشهادة في سبيل الله .

ومن ناحية أخرى ، فإن المقاومة الثقافية التي تدعمها جمعية علماء الدين وتتركز حول الإسلام كتعبير عن الشخصية والوطنية الجزائريتين ، وكوسيلة لمقاومة استلاب الشخصية بسبب الخضوع للاستعمار ، هذه المقاومة الثقافية كانت حاسمة في عملية تشكيل الضمير الوطني . " الجزائر وطني ، والعربية لغتي ، والإسلام ديني " ، ذلك هو الشعار الثلاثي للجمعية ، والذي أصبحت كلماته شعار الوطنيين في جبهة التحرير الوطني .

ومع ذلك ، فإذا كانوا قد أسهموا في الماضي في دعم الحركة الوطنية الجزائرية عن طريق إثرائها ببعد ديني لم يتزعزع ، فإن عجزهم في عرض القضية الوطنية بصورة راديكالية ، قد حرم العلماء من تولى إدارة حركة آلت إلى نخبة الشباب الذي يتعامل مع قضية العروبة والإسلام بشكل متناقض .

والواقع ، أن مسألي حاج قد طبع التوجه الثقافي والديني ببعد ثوري غريب تماماً عن نضال علماء الدين ، الذين لم يكونوا يتصورون الانفصال عن فرنسا . إن جمعية العلماء مع أنها كانت تعارض بشدة كل شكل من أشكال النوبيان ظلت ترفض المطالبات الانفصالية. وكانت تقف من فرنسا موقف الولاء . هذا الموقف الغامض تجسد في فكر بن باديس في التمييز الدقيق بين " الوطنية السياسة " (النابعة من قانون سياسي لطائفة ، قد تكون استعمارية) وبين " الوطنية العرقية " (النابعة من الخصائص الاجتماعية الثقافية لطائفة) . ومن ثم فإن الارتباط بفرنسا الذي أعلنه الدعاة إلى المؤتمر الإسلامي عشية حملة تأييدهم لمشروع بلوم فيوليت^(١) ، هذا المشروع تعرض

(١) مشروع قانون يقترح منح حق المواطنة الجزائرية لبعض فئات الجزائريين دون التخلي عن قانون الأحوال الشخصية والذي وضع فيه علماء الدين جزءاً من آمالهم .

لهجوم عنيف من جانب مسالى حاج الذى احتل منذ ذلك الحين مكان الصدارة فى الحركة الوطنية الجزائرية وهكذا فإن " الحركة الوطنية الإسلامية " بدأت تتخلى عن مكانتها منذ أواخر الثلاثينيات لحزب الشعب الجزائرى - الحركة من أجل الحريات الديمقراطية . الذى حرمها فيما بعد وبشكل نهائى ، من إدارة الحركة الوطنية .

هذه الحركة التى تكونت حتى ذلك الحين تحت رعاية نخبة البرجوازية التقليدية فى الحضر ، شهدت قاعدتها وقد تحولت لصالح البرجوازية الصغيرة (الموظفين، والعمال ، والطلاب) ، من بلورتاريا العامة فى الحضر .

ومن ثم تحولت النخبة الشعبية التى همّشها الاقتصاد الرأسى الاستعمارى شيئاً فشيئاً إلى طائفة الأعيان العاجزين عن الاعتماد على الجماهير الشعبية التى يخشون من عنفها كما يخشون من جهلها . ولما كانت حاملة لخطاب راديكالى يدعو إلى القطيعة مع فرنسا ، فقد همّشت علماء الدين ، الذين وجدوا أنفسهم فى النهاية مضطرين ، فى يناير ١٩٥٦ ، إلى اتباع نهج جبهة التحرير الوطنى .

وهكذا ، انتهى الأمر بالنسبة لأعضاء جمعية علماء الدين فى أى دور توجيهى داخل الحركة الوطنية . وتحولت إدارة هذه الحركة إلى الأجيال الجديدة من المناضلين الذين كان من شأن جناحها اليسارى طبع النصوص التأسيسية للدولة المستقلة القادمة بطابعه ، كما شدد التذكير على " ظلمات " ورثة بن باديس .

ولكن إذا كان علماء الدين قد تركوا إدارة الحركة الوطنية تتحول إلى غيرهم ، فإن العديد من نظرياتهم قد كتب لها النجاح ، مما خلق على الحركة الوطنية الشعبية الجزائرية بعداً سياسياً دينياً - عربياً إسلامياً ، مازجين بذلك الأهداف الاجتماعية والثقافية والدينية .

ومنذ ذلك الحين أصبح علماء الدين " فى نظر البعض أباء الحركة الوطنية الجزائرية " وفى نظر البعض الآخر مجرد أصحاب مساهمة فى القضية الوطنية ومهتمين من قبل نصوصهم بالدفاع عن سياسة الاندماج وأخيراً ، وبالرغم من هذه الاتهامات ومن كونهم المحرضين الأساسيين على النضال الوطنى ، وجد علماء الدين دورهم فى التاريخ الوطنى الجزائرى يقوم بطرق متناقضة .

وقد عرفت المعركة تحولات جديدة على أثر تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو حزب يعلن انتماءه علناً لجمعية بن باديس . منذ ذلك التاريخ أصبح العلماء عرضة لسلسلة من الهجوم المستمر ، بينما النصوص التي أفرزتها الجماعات السرية الإسلامية كانت تؤكد منذ ربيع ١٩٩٢ أنها تواصل " الجهاد المقدس " الذي يراه **عبد الحميد بن باديس** ضد المحتل الغاصب . وأخير ، وبعد حوالي ثلاثين عاماً من المنفى ، افتتح الرئيس **محمد بوضياف** عودته إلى البلاد بخطاب يدعو فيه الجزائريين إلى مواجهة بعض الحقائق التاريخية : نعم ، لقد كذبنا عليهم طوال ثلاثين عاماً ، كلا ، إن علماء الدين لم يقوبوا حرب الاستقلال . وفي الوقت نفسه فقد أعلن **بن يوسف بن خدة** الرئيس القديم للحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر . في مقابلة صحفية مع الصحيفة الإسلامية " اليقظة " وفي مناسبة الاحتفال بالذكرى الخامس من يوليو (الذي تزامن عام ١٩٩٢ مع فتح قضية قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ) أن " حظر تكوين الأحزاب الدينية (كان) تنكراً للإعلان الأول من نوفمبر ١٩٥٤ " .

جبهة التحرير الوطني ، خلفاً للحركة الإصلاحية

كان النضال من أجل الاستقلال في نظر البعض يسمى باسم الجهاد بهدف تأسيس دولة " إسلامية " ، أو في نظر البعض الآخر ، باسم مفهوم فلسفي مأخوذ من الغرب ، بهدف تأسيس دولة - وطن على غرار نموذج القوة الاستعمارية القديمة ، ومن ثم كان النضال من أجل الاستقلال يحمل في نفسه بذور الخلاف الذي ظهر منذ انعقاد مؤتمر سومان في أغسطس عام ١٩٥٦ .

وفي حين كان الجناح الماركسي في جبهة التحرير الوطني يؤكد توجيهه العلماني ، كان **أحمد بن بيلال** يندد بمحاولة إعادة النظر في الطابع الإسلامي " في المؤسسات السياسية المستقبلية ويعلن رفضه لعلنة الدولة^(١) .

وبوضعها في مفترق الطرق بين الاشتراكية وبين التقاليد الإسلامية ، حددت جبهة التحرير الوطني اتجاهها الإصلاحي . فمنذ إعلانها في أول نوفمبر ١٩٥٤ ، حددت

(١) بنيامين ستورا ، تاريخ حرب الجزائر (١٩٥٤ - ١٩٦٢) ، باريس ، لاديكويرت ، ١٩٩٣

هدفها بأنه " تحقيق وحدة الشمالى الإفريقى فى إطاره الطبيعى العربى الإسلامى " . مع ذلك ، جعل المجلس الوطنى لجمهور الجزائر من تطبيقه للمبادئ الإسلامية إحدى أولويات المستقبل . وحينما جعلت هذه الجبهة من نفسها المدافع عن الهوية الجزائرية ، سواء فى مفهومها الدينى واللغوى أو فى مغزاها الأخلاقى ، فإنها بالتالى تتبنى معظم الصفات الثقافية الخاصة بحركة الإصلاح التى تتعلق بحدود الوطن والهوية الوطنية .

ولكن التأثير الحاسم للإصلاح يكمن فى المزج الذى تدعو إليه حركة الإصلاح الراديكالية بين الوطن والجماعة وهو مزج تركيبى فى مفهوم الجزارة . هذا الدمج كان السبب وراء إقصاء بعض المناضلين فى الائتلاف الفرنسى وحزب الشعب الجزائرى ، عشية الأزمة البربرية عام ١٩٤٩^(١) .

كما كان السبب ، وراء عملية القمع التى وقعت حديثاً فى "ربيع البربر" عام ١٩٨٠ . فبدلاً من البعد العربى - البربرى للجزائر ، تضع أسطورة الجزارة التوجه العربى الإسلامى المناقض لأى شكل من أشكال الخصوصية .

والواقع أن أيديولوجية جبهة التحرير الوطنى حاولت منذ الاستقلال " طبع الإسلام بطابع وطنى " تماماً كما قامت بطبع الزراعة والصناعة بطابع وطنى باسم مناهضة "الغرب الصليبي" . وهنا بالضبط يكمن غموض التشريع السياسى للإسلام فى الجزائر . إن الدين ، بوصفه عنصراً مشكلاً للاستراتيجية السياسية للنظام ، لقى التقدير والتجليل ، ليس لما يحمله من قيم نوعيه ، وإنما لما يتيح من بلورة الأيديولوجية الرسمية .

إن الإسلام ، وقد كان دائماً يتمثل هوية الجزائر المحتلة ، لابد له أن يلعب الدور نفسه لإقرار شرعية حكام الجزائر المستقلة وتحريك الجماهير حول مشروع البناء الوطنى والعاملين عليه .

(١) فى عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ قام أعضاء من حزب الائتلاف الفرنسى يدافعون عن الهوية البربرية ، وانتقدوا الاتجاه العربى الإسلامى للحزب . هؤلاء " البربر الماديون " كما أطلق عليهم فى ذلك الوقت ، تم استبعادهم باسم انقاذ الوحدة الوطنية .

تأثر العلماء

منذ عام ١٩٦٢ ، لم تتوقف جمعية علماء الدين وورثتها ، بالرغم من الانتقادات الموجهة إليهم ، عن المطالبة بنصيبهم في تحقيق الاستقلال .

وفي عام ١٩٦٣ ، قام التوجه الإصلاحى للسلطة الجديدة ، بدعم من المعادين للماركسية في بطلانة بن بيلال^(١) ، بتأسيس جمعية " القيم الإسلامية " بزعامة الهاشمي تيجنى ، وهو مثقف ثنائى اللغة من خريجي كلية العلوم الإنسانية بجامعة " بورديو " فى فرنسا . وعمل بالتدريس بجامعة الرباط وكان فى تلك الفترة أميناً عاماً لجامعة الجزائر . وتهدف الجمعية إلى الدفاع عن " القيم الإسلامية التى يهددها قرن ونصف من الاستعمار . وهى تعارض فى مصادرة جبهة التحرير الوطنى أن النضال من أجل التحرير " تحول " عن هدفه الأصلى وهو إقامة دولة إسلامية . وجاء عام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، اللذين ظهر خلالهما ميثاق الجزائر ، ليشهدا انتصار الجناح الماركسى فى جبهة التحرير الوطنى ، صحيح أنه انتصار مؤقت ، ولكنه غامض ، ومن ثم شعر نخبة العربيفون (ذو التكوين العربى) بالحاجة إلى معارضة " الاستيلاء " على الدولة من جانب نخبة ، تقنية ، تكمن شرعيتها فى تكوينها " الغربى " وبالذات " الفرنسى " . وجعلوا يصفون الحكومة " بالكفر " وخصوصهم بأنهم " أعداء الإسلام " . وعلى النقيض من الإصلاحيين المنتمين لـ بن باديس ، أضفت جمعية القيم مضموناً أيديولوجياً على العودة إلى مصادر الإسلام . وكان ما طالبت به الدولة هو إقامة مجتمع ، واستخدام قوتها الرادعة فى هذا السبيل ؛ ذلك ما تضمنه خطاب زعمائها . وكانت جملة الاضطرابات التى نظمته جمعية القيم من خلال مؤتمرها المنعقد فى الخامس من يناير عام ١٩٦٤ ، سبباً فى إقامة أمينها العام من منصبه فى جامعة الجزائر . فعلى نداءات " الله أكبر " حمل المجتمعون فى ذلك اليوم على البرامج الأجنبية " الفاسقة " التى يذيعها التلفزيون الوطنى ودعت إلى إغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة . وفى النهاية تم حل الجمعية فى أغسطس عام ١٩٦٦ . على أثر المعارضات التى أصدرتها بمناسبة تنفيذ حكم الإعدام

(١) وبخاتمة محمد خضير ، وكان أميناً عاماً للمكتب السياسى فى جبهة التحرير الوطنى ، وكذلك محمد صغير وعلى محساس .

فى مصر ، فى الداعية الإسلامى سيد قطب . وعلى الرغم من هذا الإجراء ، فقد استمر أعضاؤها فى معركتهم وهام طوال الستينيات فى قمة حركة النضال من أجل إقامة الشريعة الإسلامية . وكان سقوط الرئيس بن بيللا وتولى بومدين السلطة فى يونيو ١٩٧٥ فرصة لخروج الإصلاحيين من محنة المظهر . بل أفضل من ذلك ، فإن العلماء وأتباعهم راحوا يتولون المناصب الكبرى فى الدولة ويشغلون مكانة عليا فى مجال التربية . وأصبح استعمال التاريخ الهجرى فقط من أجل التعريب والنزعة الإسلامية ، وهو هدف جمعية القيم فى فترة بين الحريين العالميتين ، يمثل عقيدة " الإصلاحيين الجدد " . ولكن ، إذا كان الهدف ، قبل كل شئ بالنسبة لمناضى جمعية العلماء تحريك الموروث الثقافى لـ بن باديس ، من أجل إنكاء ناره ، فإن الهدف بالنسبة لتلاميذهم ، وصل إلى حد استرجاع موروثة الرمى من أجل تحقيق سيادتهم على الساحة السياسية .

هؤلاء الشبان المثقفون الناطقون بالعربية أو ثنائيو اللغة الذين تخرجوا فى المدارس التابعة لجمعية العلماء ، وأقاموا خلال الخمسينيات فى الجامعات الدينية فى الشرق العربى ، اجتهدوا فى احتكار موروث بن باديس ، لصالح حركتهم ، وذلك من أجل تحقيق شرعيتهم فى إطار المنافسة التى تضعهم فى مواجهة النخبة " المفرنسة " فى جبهة التحرير الوطنى .

ومن الجدير بالذكر أن انخراطهم فى حرب التحرير ، من ناحية ، وتكوينهم العربى الذى يتواءم مع التوجه العربى الإسلامى للخطاب الرسمى ، جعلهم يشغلون مكانة مرموقة فى الدولة ، ومن ثم أصبحوا ينفردون بقطاعات حقيقية داخل الوزارات المعربة كالتعليم والشئون الدينية والعدل . باختصار ، فى جميع المؤسسات المكلفة بنشر التوجهات الكبرى للنظام .

وكان من شأن الوجود المكثف لهؤلاء " الإصلاحيين الجدد " فى هذه المؤسسات أن مكنتهم من القيام بتسجيل تاريخ وطنى يخص حركة الإصلاح بالصفحات المشرفة . كما أخذوا على عاتقهم الخطاب الجماعى الخاص بحركة التحرير الوطنى ، وقاموا بتغذية أسطورة الشعب الجزائرى الموحد وراء لواء الإسلام . وجاء الوفاق بين

حركة الإصلاح والحركة الشعبية حول قيم إسلامية بدت كأنها قلعة ضد العدوان الأجنبي ، وقاعدة لاستعادة الأصولية ، حاميه مجد الحضارة العربية الإسلامية^(١) .

ووجد الاتجاهان الغالبان في الحركة الوطنية نفسيهما يقومان تلقائياً بتوحيد اهتماماتهما بشكل واضح من خلال " الثورة الثقافية " ، التي تقوم على إثارة " الوطنية الإسلامية " . ولكن إذا كان الأمر بالنسبة للرئيس بومدين يتعلق قبل كل شيء بضمان الشرعية لاختياراته الاقتصادية (المتأثرة بالموروث الفرنسي ، وهي فوق ذلك اشتراكية) بتقويتها عن طريق السعي إلى الأصولية التي من شأنها مشايعه النظرية الخاصة بالتنمية الذاتية الجزائرية ، فإن الأمر في جوهره بالنسبة " للإصلاحيين الجدد " يتعلق بإخضاع الدولة والمجتمع لعودة كاملة للإسلام .

وتحقق التعاون بين السلطة وبين الإصلاحيين الجدد بشكل جوهري من خلال التعليم الذي أشرف عليه خلال تلك السنوات أحد رموز الحركة ، وهو أحمد طالب إبراهيمي . فمن خلال توليه لوزارة التربية الوطنية في عام ١٩٦٥ ، وبعدها لوزارة الاستعلامات والثقافة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٧ لعب إبراهيمي دوراً حاسماً في نشر "تعليم أصولي" يهيئ لخريجيه شغل المناصب الكبيرة في خدمة الدين وكذلك داخل التعليم الابتدائي والثانوي . في الوقت نفسه قامت المساجد التي تشرف عليها الوزارة بنشر علوم القرآن ودروس محو الأمية . هذه الهيمنة من جانب علماء الدين على التربية ستصبح ذات أثر حاسم في عملية تقوية تيار النزعة الإسلامية من حيث إنهم سوف يكونون أعداداً ضخمة من الشباب مهية لعودة أسرع وأقوى للإسلام .

كذلك تأكدت هيمنة " الإصلاحيين الجدد " في مجال التربية والعقيدة عن طريق قنوات الدعوة للثقافة الإسلامية وهي المراكز الثقافية وندوات الفكر الإسلامي .

ولكن سياسة التعريب ، قبل أي شيء آخر ، هي التي كانت تمثل رأس الحربة بالنسبة لتلامذة جمعية بن باديس . فنتيجة لتأكيد الهوية العربية الإسلامية للجزائر

(١) لوك ويللي ، الإسلام والفكر المعاصر في الجزائر ، جريدة الأصالة ، (١٩٧١ - ١٩٨١) ، باريس ، المركز القومي للبحوث العلمية ، ١٩٩١

عن طريق علماء الدين ، ثم عن طريق جبهة التحرير الوطني ، سادت الدولة الجديدة المستقلة حملة تعريب كانت بمثابة استعادة للشخصية الجزائرية . وتولى قيادة عملية التعريب أهم العناصر حرصاً على عودة الإسلام داخل نطاق وزارة الشؤون الدينية، ومن ثم لقيت عملية التعريب أكبر الاهتمام وأصبحت تمثل مبدأ مقدساً لا يمكن التفريط فيه .

وجد الإقبال على النزعة الإسلامية من جانب القوى العامة تعبيراً عنه من ناحية أخرى في تأسيس إسلام دولة ، يتولى مهمته " رجال دين " رسميون تخرجوا في معاهد أنشئت لهذا الغرض ، وظيفتهم هي نشر وتبسيط أهداف النظام الكبرى . تجلى ذلك أيضاً في أسلمة الجو العام تحت ضغط من وزارة العقيدة (التي تطبق الشرع) التي صادفت آمالها في هذا الصدد ترجمة قانونية كلما شعرت السلطة بالحاجة إلى تأكيد شرعيتها الدينية .

هذا التوجه العربي الإسلامي المحافظ لم يحقق النجاح بشكل مطلق . فمنذ اندلاع الثورة الزراعية ، دعا بومدين الإسلام صراحة بأن يكون في خدمة المشروع الثوري . وهذا الإجراء يتناقض مع الاتجاه الإسلامي للسلطة التي تقوم على تأسيس دولة " إسلامية حقاً " وفي المقام الأول . وهكذا وحينما ركز بومدين أولاً على الثورة الثقافية والزراعية والصناعية ، وحينما رفع الاشتراكية إلى مصاف الإسلام ، أثار هذا الرئيس غضب الذين يرون ، داخل السلطة ، أن هيمنة القيم الإسلامية لا ينبغي أن تتعرض للتدمير . إن الثورة الزراعية لم تعزل عملية التعريب وحسب ، بل لقد ألغت التعليم الأصولي تماماً في عام ١٩٧٦ .

فقط ، حينما أدرك بومدين أن " حلفاءه الموضوعيين " في حزب الطليعة الاشتراكية بدءوا يثيرون القلاقل ، وأن الثورة الزراعية ستختنق ، عاد من جديد إلى الاعتماد على الجناح الإسلامي في جبهة التحرير الوطني ليجعل منه المعادل للتأثير الماركسي ، وكذلك عادت عملية التعريب مرة أخرى لتصبح عامل تعبئة وتحريك . وظل كذلك في حكم شانزلي الذي قام ، أكثر مما فعل بومدين ، بعملية تركيز وتجميع للدولة حول قيم إسلامية ، على حساب الاختيارات الاشتراكية .

الواقع أن رئاسة شاذلى تميزت بتنازلات متزايدة لصالح النظريات الإسلامية ، بصرف النظر عن القمع الذى ينزل بحركة تعد ، بحكم التزايد الهائل لاتباعها ، تهديداً للنظام .

ويسبب الضرر الذى أصاب سياسة التعريب ، نتيجة لأحداث " ربيع البربر " الذى يدعو إلى إعادة النظر فى حدود الوطن كما عرفتھا الأيديولوجية العربية الإسلامية، وجدت الدولة نفسها مدفوعة إلى تشجيع المعارضة الإسلامية على أمل الوقوف فى وجه تيارات اليسار . ولكن ، وفى الوقت نفسه تقريباً ، وجدت السلطة نفسها مضطرة لقمع بعض الأوساط الإسلامية التى تشجع على الاستيلاء على الحكم بالقوة. فى عام ١٩٨٦ أعلن شاذلى تحذيراً إلى أولئك الذين يفكرون فى استخدام المساجد "مراكزاً للأصولية" . ومن ثم لجأت السلطة إلى الإسلام الرسمى وطالبت بـ كسر شوكة المعارضة الإسلامية المهمة بالتشجيع لإسلام مزيف . وهنا أبدى العلماء الطاعنون فى السن استعدادهم لد يد العون للدولة ، غير مهتمين بفتح الباب لمن يزاحمهم على أرضهم ، وسرعان ما ندبوا بالمحاولة التى يقوم بها تلاميذهم فى الحركة الإسلامية لاحتكار الدين ؛ بل لقد بلغ بهم الأمر إلى درجة أنهم نسبوا نجاحهم إلى التدخل الأسطورى ليد ... أجنبية !

وهكذا ، وبهذه السياسة التى تقوم على الترغيب والترهيب ؛ وتشجيع الحركة الإسلامية تارة وقمعها تارة أخرى ، فإن الرئيس شاذلى قد أكسب هذه الحركة بروزاً وظهوراً جعل منها القوة المعارضة الأساسية. كما أن الضمانات الأيديولوجية والقانونية (قانون الأسرة لعام ١٩٨٤) التى قدمها شاذلى كان من شأنها أن ضمنت للمعارضة الإسلامية الانفراد بالمعارضة السياسية .

وكان لتقديم خليفة بومدين لبعض التنازلات لقادة الحركة الإسلامية فى مقابل تأييدهم لشرعية السلطة ، صدق كبيراً فى الخطة الخمسية (١٩٨٨ - ١٩٨٤) فقد اشتملت هذه الخطة على إنشاء ثلاثة معاهد إسلامية ، وبناء مائة وستين مسجداً جديداً وعدد من مدارس تحفيظ القرآن وتوفير خمسة آلاف درجة لدرسى القرآن وعلومه . كما تم الإسراع بإنشاء هيئة رسمية للعاملين فى مجال الدعوة الإسلامية .

ومن ناحية أخرى ، أدى نقص " الدكاترة " فى العلوم الإسلامية ، الذى جعل الرئيس بومدين فى الماضى يستقدم بعض الأساتذة الشرقيين ، هذا النقص جعل

السلطة تقرر فى عام ١٩٨١ استقدام داعية إسلامى مصرى وهو الشيخ محمد الغزالى من أجل تقديم ضمان دينى للدولة ، وكذلك لمواجهة وجود الإسلاميين . لذلك فإن الشيخ الغزالى ، الذى كان عضواً فى جماعة الإخوان المسلمين فى مصر ، قام بمهمته بكل حذق ومهارة ، وذلك بتوفير الضمانات لكلا الجانبين .

وهكذا فإن التأثير الهائل الذى يمارسه " الإصلاحيون الجدد " فى ظل رئاسة شاذلى ، لا يتجلى فقط فى نشر التعليم الدينى على جميع المستويات فى مجالى التربية والتكوين ، وإنما تجلى هذا التأثير أيضاً فى إطلاق حملات جديدة ضد " فساد الأخلاق " . إن التخلي عن التوجه الاشتراكي وغياب الجناح اليسارى من النظام السابق أتاح فرصة زواج الإكراه الذى تم عقده بين التقدميين الثوريين و "مؤسسى الدولة " ، وأكسب الفريق الثانى كل قوة من أجل فرض المفاهيم الخاصة بهم على قمة الدولة . ومن ثم شوهد ، منذ ذلك التاريخ ، تقارب أيديولوجى بين " مؤسسى الدولة " وبين نخب الإسلاميين الجديدة التى أدى تصاعدها فى القوة إلى النيل من الاحتكار الذى كان يمارسه حتى ذلك الحين " مؤسسو الدولة " .

وموضوع العلاقات بين الإسلام والوطن أصبح موجوداً فى قلب كل أنواع الجدل التى حفلت بها رئاسة شاذلى . فهؤلاء مؤرخو النظام الرسميون ، فى إعادة طرحهم للإشكالية الخاصة بجزور وأهداف حرب التحرير ، لا يكفون ، خلال الثمانينيات ، عن تقييم البعد الإسلامى للمعركة التى بدأها الأمير عبد القادر ثم أستأنفها بن باديس باسم " الجهاد المقدس " . وجاءت فرصة عودة الإمام خمينى فى وقتها أولاً للتذكير بالثورة الجزائرية التى يعتبرها قادة الحكم رائدة فى هذا الصدد ، ثانياً للتأكيد بأن " نموذج " الثورة الجزائرية ، الخالص من كل تأثير خارجى ، كان مكرساً للم شمل العالم الإسلامى حوله . وكانت سنوات ١٩٨٤ حتى ١٩٨٦ ، أكبر مثال على ذلك . فقد أشبعت الصحف الرسمية قراءها بالموضوعات المخصصة للأسس الإسلامية للوطن ، والدور الاجتماعى الضروري للدين . كما فتحت أعمدتها بانتظام لأكثر المتحمسين من ممثلى " حركة الإصلاح الجديد " .

المنزعة الإسلامية في الخطاب الوطني

كانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨ فرصة لنخبة الشباب الإسلاميين للتشكيك في إخلاص قادة الدولة للمبادئ المطروحة في إعلان نوفمبر ١٩٥٤ . كما استمسك نخبة الشباب الإسلاميين بالاستحواذ على الخطاب الإسلامي الوطني ورموزه .

كذلك فإن التشاحن الاجتماعي في الجزائر يجري دائماً داخل الإطار الثقافي . فبينما المناضلون الإسلاميون الذين أفرزتهم " البرجوازية التقليدية " ينددون بانتماء " برجوازية الدولة " إلى " المدرسة الأولى " ويتهمونها بالتفريط في مصالح الجزائر لصالح " الاستعمار الغربي " ، فإن " برجوازية الدولة " تشن الهجوم على الإسلاميين واصفة إياهم بالعملاء أو المرتزقة الذين يعملون لحساب إيران والسودان، بل ... وإسرائيل .

هذه الإشارة الدائمة إلى وجود عوامل خارجية وعلاقات متوهمة أو حقيقية مع الخارج ، من أجل التقليل من شأن الخصوم ، يمثل صفة مشتركة بين الجهاز التقني للدولة - التي تؤسس سلطتها على معارضة الخارج - وبين التقنية الإسلامية التي تشعر هي أيضا بحاجتها لتأكيد " جزأرتها " .

في لقاء صحفي نشر في صحيفة النهار في السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٩٢ ، هاجم رباح كبير ، الناطق بلسان الجهة الإسلامية للإنقاذ إنشاء المجلس الاستشاري الوطني قائلاً : إن إنشاء المجلس الاستشاري الوطني يبرهن على أن قيامه يدخل في إطار مشروع لتفريب الجزائر ، مناقض للخط العربي الإسلامي وبالتالي الوطني . إن المواجهة مستمرة بين الاختيارين الحضاريين . " الطابور الخامس " للقوة الاستعمارية القديمة . تلك هي النخبة " المغربية " والتي كانت تستهدف منذ ١٩٦٢ العمل على تهيئة الظروف لدخول الاستعمار من جديد .

وإذا كان قادة الانقلاب الذي وقع في يناير ١٩٢٢ هم بشكل جزئي من المستعفين من الخدمة في الجيش الفرنسي ، ثم التحقوا فيما بعد بجيش الحدود الذي كان يقوده بومدين ، ففي ذلك تأكيد لهذه النظرية : " إن وصول شاذلي للسلطة كان بمساعدة نفر من جبهة التحرير الوطني انضموا إلى الكفاح المسلح في عام ١٩٥٨ بأمر من "ديجول"

لكي يصبحوا عوناً لفرنسا بعد الاستقلال [...] هؤلاء الأشخاص هم الذين قاموا بالانقلاب ضد الشرعية الدستورية " (المنجد ، العدد ٧٣ ، ١٨ يناير ١٩٩٢) . إن الموضوع يحيل بشكل أعمق إلى حالة "التبعية" التي يعيشها المجتمع الجزائري المضطر إلى "الإذعان للضغوط المالية التي تمارسها القوة الاستعمارية السالفة" التي تقوم "برجوازية الدولة" عن طريقها بالاستمرار في تنمية الكثير من العلاقات ، هذه البرجوازية التي نعرف ، أو نرتاب ، في أنها وضعت أموالها بشكل مكثف في بنوك أوروبية أو في شراء الشقق البلجيكية والباريسية الفاخرة .

باختصار ، فإن اهتمام الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالارتباط بالخط الوطني ، يدل على أن الأيديولوجية الإسلامية بدلاً من أن تطوى صفحة الاستعمار ، تبقى عليها مفتوحة . إن الجزائر ، بعد ثلاثين عاماً من الاستقلال لم تتمكن من كبح جماح شياطينها التي تضافى على الحركة الإسلامية الجزائرية بعداً وطنياً ليس له نظير في أى مكان وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الجدل السياسى حول القضية الوطنية ما زال مطروحاً .

ومن ناحية أخرى ، فإن الحدود السياسية للوطن دائماً وأبداً موضوع مناورات كانت دائماً تتجلى من حلها حلاً جزئياً .

وإذا كانت الحركة الوطنية في الماضي تدور في حلقة مفرغة فيما يختص بطرد المستعمر الغاصب أكثر من كونها المحرض على هدف جماعى يجمع عليه أبناء الوطن ، فإن هذه الحركة قد فقدت شيئاً جوهرياً . فلم تجد الأيديولوجية الإسلامية صعوبة في السيطرة على الأساطير المؤسسة للتاريخ الوطنى تنهل من مصادرها شرعية الحكام . في هذا المفهوم ينبغي إدراك المغزى من وراء إنشاء جامعة إسلامية لأبناء الشهداء في أكتوبر عام ١٩٩٠ هدفها منازعة السلطة التعبير عن الحركة الوطنية ، وفي ذات الوقت استحواذ الحزب على إحدى أكبر القوى الضاغطة (لوبي) الجزائرية . وكان العداء الذى تبديه النخبة الإسلامية لأى شكل من أشكال العلمانية الخاصة بالحركة الوطنية وراء تقربها عشية الانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١ من البعثتين في جبهة التحرير الوطنى .

ومع حرب الخليج التي كشفت لهم عن عمق الارتباط الوطني المائل في قاعدتهم، كف الإسلاميون الجزائريون عن تعليق قطيعة عام ١٩٦٢ على الرغم من الاستمرار في الحرب التي بدأت عام ١٩٥٤ . ففي الثامن عشر من يناير ١٩٩١ ، بينما حرب الخليج ما تزال في بدايتها ، قام علي بن حاج وهو يرتدى الزي العسكري بقيادة مظاهرة أمام وزراء الدفاع ، وقام بتسليم وزير الدفاع خالد نزار الذي كان بالمناسبة يرتدى الزي المدني ، كما سلم وزير الداخلية ، مذكرة يندد فيها " بالنظم التي تقوم بشراء السلاح من أجل الحرب ثم تستخدمه ضد شعوبها " . كما طالب بفتح معسكرات التدريب وتوزيع السلاح على المتطوعين المستعدين للوقوف بجانب العراق ، والعمل فوراً على حل المجلس الشعبي الوطني . في هذه المناسبة حملت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بشكل مباشر على الجيش الذي أكدت أنه غير قادر على حماية أمن البلاد . إذن ، لقد اختار قادة الحزب الإسلامي التضحية بالعلاقات المالية التي كانوا يحافظون عليها مع الممول السعودي لأرصدتهم ، أمام حماة الاندفاع الحماسي الوطني . وبينما تجاهلت جبهة التحرير الوطني عام ١٩٨٩ الاحتفال بذكرى الثورة ، إذا بها تقيم احتفالاً كبيراً بمناسبة الأول من نوفمبر ١٩٩١ . وباسم الوفاء لذكرى موتى نوفمبر ١٩٥٤ ويونيو ١٩٩١ ، جمع الحزب في ذلك اليوم بين خمسمائة ألف ومليون متظاهر . لقد أراد الحزب حرمان القادة السياسيين الذين يرميهم بالتبعية لفرنسا ، من الاستئثار بالتعبير عن التزامهم الوطني ، كما عمد إلى المزج بين الإسلام والوطن مواصلاً أسطورة العروبة والإسلام القديمة .

عباس مدني - بين الإصلاح الجديد، والنزعة الإسلامية :

مع عودة العفو عن علماء الدين في أواخر حكم بومدين وتدعيم مكانتهم في حكم شاذلي ، أصبحت السلطة تبجل الحفاظ على صرح " اللغة الوطنية " التي عادت لها مكانتها واعتبارها ، وظلت المناصب المتصلة بالتبادلات الخارجية مقصورة على نخبة الناطقين بالفرنسية (فرنكوفون) باعتبارهم حملة المؤهلات والخبرة والحدائق . ومن ثم عمد بعض " الإصلاحيين الجدد " الناطقين بالعربية (العريفون) (أو من ثنائيي اللغة) إلى النفور من النظام الذي ازداد الارتياح فيه ، وحاولوا أن يكونوا لأنفسهم قاعدة

خاصة من شباب المناضلين الناطقين بالعربية أو من " ذوى الثقافة العربية " داخل المعارضة الإسلامية الناشئة .

وهذا بوجه خاص شأن عباس مدنى الذى كان انتماءه لجيل حرب الاستقلال من ناحية، وتكوينه الجامعى من ناحية أخرى ، قد وضعاه فى مكان وسط بين " حركة الإصلاح الجديد " وحركة النزعة الإسلامية .

ولد عباس مدنى فى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٢١ فى مدينة سيدى عقبة (من مدن الجنوب الشرقى للجزائر وبالقرب من بسكرة) وهو ابن أحد الأئمة الذى تعلم على يديه منذ نعومة أظفاره العلوم القرآنية والتردد على مساجد وزوايا المنطقة .

وفى عام ١٩٤١ ، انتقل إلى بسكرة حيث التحق بإحدى المدارس الدينية التابعة لجمعية علماء الدين ، وفى الوقت نفسه بإحدى المدارس الفرنسية حتى فصل منها بعد عامين من الدراسة .

بعد المدرسة التحق بحزب الشعب الجزائرى ثم بالمنظمة الخاصة (الفرع العسكرى للحركة من أجل شعار الحريات الديمقراطية) .

وبعد أن ناضل فى إطار اللجنة الثورية من أجل الوحدة والعمل ، فى الجزائر العاصمة، ثم فى منطقة بسكرة . شارك فى ثورة الأول من نوفمبر ١٩٥٤ وتم القبض عليه فى إثر محاولة للاعتداء على المباني الخاصة بإذاعة الجزائر ؛ وقضى فترة الحرب كلها فى السجن ، وأصبح فى عام ١٩٦٢ معلماً فى إحدى مدارس الجزائر العاصمة . كان عداؤه للتوجه الاشتراكي والعلماني فى السنوات الأولى من الاستقلال ، وراء اشتراكه فى نضال جمعية القيم الإسلامية ، حيث تندد، مع محمد خضر ، " بالضلالات " التى ترتكبها السلطة . كذلك كان ارتباطه العميق بمدرسة علماء الدين وأيضاً بمدرسة حزب الشعب الجزائرى - الحركة من أجل الحريات الديمقراطية ، التى رأينا أنفا مدى أصولها الدينية ، وراء اعتقاده بأنه لا وطنية إلا فى التوجه إلى إقامة دولة إسلامية يقوم ذوى الثقافة العربية فى داخلها بالدور الرئيسى .

كانت تجربته مع الحركة الوطنية الجزائرية تشكل ، باعترافه ، النموذج الاساسى لفكره وتوجهاته . غير أن الصعود المفاجئ لنخبة من خريجي " المدرسة الفرنسية " ، شغوفة بالقراءات الغربية قد أقنعت عباس مدني أن الاستقلال قد تم على حساب مجموعات كاملة فى حركة وطنية جزائرية ، هى حاملة لمشروع إسلامى فى المقام الأول .

فى عام ١٩٦٢ ، كان فى الواحدة والثلاثين من عمره ، فالتحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب ، ثم سجل للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة (ماجستير) فى علم النفس التربوى بجامعة الجزائر ، وعين مرشداً فى إحدى المدارس الأولية بالعاصمة . بعد ذلك حصل على منحة من الدولة للإقامة فى لندن من عام ١٩٧٥ حتى ١٩٨٧ للحصول على الدكتوراه فى التربية المقارنة حول موضوع نظم التعليم الفرنسية والإنجليزية والجزائرية دافع فيها عن التعليم الذى يستقى جذوره من التقاليد الإسلامية ولكنه يقتبس من الغرب خبراته فى الطرق والمناهج العلمية . ولدى عودته إلى الجزائر عين أستاذاً فى علم النفس التربوى بكلية العلوم الإنسانية فى "بوزاربه" بالجزائر العاصمة . وبعد عشرين سنة قضاها عضواً فى جبهة التحرير الوطنى ، وفى العشرين من مايو عام ١٩٦٩ فاز فى الانتخابات الإقليمية نائباً لولاية الجزائر .

وطوال مدة نيابته التى استمرت حتى عام ١٩٧٤ ، كان مكلفاً بمتابعة تطبيق الإصلاح الزراعى ، فى حين كان الإسلاميون فى هذه الفترة أنفسهم يعارضون هذا الإصلاح بالذات .

وفى أوائل الثمانينيات تعرف عباس مدني على بن حاج وبدأ وظيفته كداعية إسلامى . وفى البداية كان أسلوبه فى الدعوة جامعياً مما تعثر فهمه على الطوائف الشعبية من جمهوره . لكنه بدءاً من عام ١٩٨٢ ، جعل يصحح هذا المسار . وإذا كان قد اتخذ الزى السلفى بالتخلي عن بذلته وارتدى الجنود البيضاء التى تزيد مظهره ليئلاً وطيبه ، فإن هدفه لم يتغير من جراء ذلك : فينبغى قبل كل شئ العمل على تكوين نخبة داخل الأجيال الصاعدة . ولما كان عباس مدني يجمع بين شخصية المثقف "التقليدى" وعضوية الإنتليجينسا (طبقة المثقفين) الجديدة ، فى موقف وسط بين حركة

إصلاح الدولة وحركة النزعة الإسلامية المعارضة ، أراد أن يقوم بالدور الائتلافي (التحالفى) الذى قام به مسالى حاج فى عصره . والمقارنة بين الرجلين لا تقضى عند هذا الحد . بل غذاها مدنى من جانبه ، بقول أحد المثقفين القريبين من الحركة الإسلامية : " مدنى ديكتاتور صغير . ينبغى أن تراه فى حياته الخاصة كيف يتكلم . إنه متسلط . يقول كبار السن إنه يذكرهم بمسالى حاج . لقد كان كذلك . وقد ثار الجميع ضده . والرجال الذين قاموا بالثورة لم يكونوا "مساليين" . إن استغلال مدنى لانتمائه المزيج إلى الجيل القديم من المناضلين الوطنيين الإصلاحيين الجدد ، وإلى عالم المعرفة الجامعية العالمية ، مكنه أن يفرض نفسه باعتباره أحد وجوه المعارضة الإسلامية .

النزعة الإسلامية ضد السلطة

فى ظل إسلام رسمى فقد هيبته فى اضطراد مستمر قويت شوكة إسلام معارض، لا يضيق بالتقاليد، وإنما يأخذ منها بالحد الأدنى، وفيما تبقى فإنه يتعامل وفقاً لتأويلاته الخاصة .

التيارات التى انتهت بها المطاف إلى الالتقاء لتسهم جميعها فى ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ كانت فى الأصل من التباين والاختلاف بحيث كانت تنتمى إلى أوساط اجتماعية وثقافية وجغرافية غير متجانسة . ولكن فى جانب كبير من الحركة يطغى تأثير شخصية فريدة، ألا وهى شخصية مالك بن نبي .

مالك بن نبي، رائد النزعة الإسلامية «المجزأة» :

كانت الكلية المركزية بجامعة الجزائر، وهى مهد المعارضة الإسلامية فى الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٨٠، مسرحاً للعديد من المواجهات بين الطلبة الإسلاميين والطلبة اليساريين . وفى عام ١٩٦٨، افتتح طلاب مالك بن نبي مسجداً فى مباني الكلية القديمة .

ولد مالك بن نبي^(١) فى عام ١٩٠٥، فى مدينة قسنطينة فى أسرة كانت متبصرة الحال فيما مضى . وكانت الحرب العالمية الأولى نذيراً بانتهاء الأسر القسنطينية القديمة لصالح طبقة من التجار الذين أثروا عن طريق المضاربات .

(١) حول ذكريات شباب مالك بن نبي، نحيل إلى كتابه بعنوان «مذكرات شاهد على العصر»/الجزائر، دار النشر الوطنية الجزائرية .

وهذا هو جد بن نبي الذي كان ميسور الحال في الماضي ، يجد نفسه مضطراً للعمل في بيع الدخان في كشك صغير. وفي ١٩٢٠ التحق بن نبي الفتى بالصفوف التكميلية بإحدى المدارس الفرنسية ، وكذلك وفي الوقت نفسه، بمدرسة قسطنطينية العربية . وفي بادئ الأمر ، عمل بن نبي في المجال الذي كان والداه يرجوانه له ، وهو مجال القضاء الإسلامي ، الذي شغل فيه وظيفة مساعد . ولم يصرفه عمله في القضاء عن التعمق في قراءة كتب الإصلاحيين الجدد الذين بدأت مؤلفاتهم تنتشر في الأوساط المدرسية ، مما أثار عند بن نبي اهتماماً بالغاً بقضية العالم الإسلامي من حيث التدهور الذي أصابه والتجديد المنشود له ، في ذلك الوقت الذي كان فيه خريجو المدارس العربية من طبقة البرجوازيين في مدينة قسطنطينة يتسكعون في الشوارع. وقد تأثر بهم بن نبي كما تأثر بالحركة الوطنية في الوطن العربي وفي تركيا أيضاً ، التي كان صداها يدوي بين تونس وإسطنبول. وقد افتتن بن نبي بالمبدأ المذهبي الذي يعتمد عليه الإصلاحيون الجدد الذي يتلخص في الآية الكريمة التي تقول : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ . [سورة الرعد، الآية ١١]

ولقد بلغ من تأثره بهذه الآية حداً جعل منها شعاره طوال حياته . ومنذ عام ١٩٣٩ ، وهو تاريخ فشل المؤتمر الإسلامي ، ابتعد بن نبي عن جمعية علماء المسلمين التي ندد بما يغلب عليها من " انتهازية دينية " كذلك حمل بن نبي على عجز الإصلاحيين الجدد (مثل الوطنيين ونخبة المحدثين) بنهج ثقافي ، وهو الشرط الملح " لتجديد " الحضارة الإسلامية . ورأى أن الجزائر بعد أن تحررت من " المرابطين " ، لم تعد بحاجة إلى التردى في طقوس " البولوتيك " (هكذا يطلق الجزائريون على " السياسة المسييسة " وإنما الأحرى بها أن تنصرف إلى عملية تجديد وإحياء للنفس في أعماقها . كان احتكاك بن نبي بالعمال المهاجرين الذين قابلهم في مارسيليا - حيث أقام فترة قصيرة في عام ١٩٢٥ . ثم في عام ١٩٣٧ - الفرصة التي بدأ فيها يتساءل عن الشروط الواجب توافرها من أجل نهضة الحضارة الإسلامية ، كانت اللامبالاة التي تبديها النخبة الجزائرية المفتونة بالأيديولوجيات " المتحضرة " المزعومة ، حيال مصير هؤلاء العمال يزيد من حدة بغضه للبرجوازية " المغربة " ، واقتنع بضرورة العودة إلى

القيم الإسلامية من أجل إنقاذ المجتمع الجزائري من "الخطر الاستعماري". وعلى أثر عودته إلى باريس في عام ١٩٣٠، تابع بن نبي دراسته الجامعية التي توجهها في عام ١٩٣٥ بالحصول على دبلوم في الهندسة الكهربائية. وكانت فترة الحرب العالمية الثانية التي قضاها في مدينة درو Dreux (التي كان مورييس فيوليت حاكم الجزائر السابق - عمدة لها) فرصة أتاحت له تنفيذ مشروعاته الأدبية. ففي عام ١٩٤٦ ظهر له كتاب: الظاهرة القرآنية، تلاه بعد عامين كتاب: شروط النهضة.

وفي القاهرة التي التجأ إليها بين ١٩٥٦ و ١٩٦٣ واصل تحرير مؤلفه الذي ظهرت أهم عناوينه باللغة الفرنسية. أسس بن نبي منهجه على مفهوم "الاستعمارية" الذي يطبع المجتمع الإسلامي، "الذي أفسده الطغاة الذين استولوا على السلطة بعد الخلفاء الأربعة"، وذلك المجتمع "الذي تخلى عن مهمته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". ويدافع بن نبي عن المشرق الإسلامي "المستعمر" و السائح على الغرب "المادي المستعمر". فبالنسبة له، وقد كلفه ذلك عداوة الإسلاميين في الشرق الأوسط لا يأتي الشر من الغرب بقدر ما يأتي من الشرق وانقياده للاستعمار. وهنا، دعا بن نبي إلى إعادة تسليح معنوي جماعي يحمل الصحة الحضارية، وهو المنهج الذي يذكر بمنهج "إرنست رينان" الذي دعا إليه الفرنسيين صبيحة هزيمة عام ١٨٧٠. كان بن نبي شديد الانجذاب نحو الدعوة الوهابية السعودية التي يرى فيها الإنجاز للمجهود الروحي والمادي الذي يريجه للجزائر والمسلمين في مصر. ومع ذلك، ففي عام ١٩٥٤، قطع صلته بجمعية الإخوان المسلمين المصرية التي أخذ عليها تحويلها إلى "أداة سياسية، خالية من الطابع الحضاري الذي كان ينتظره منها في البداية" واستثمارها للدين من أجل "تحقيق أهداف سياسية عاجلة". ولدى عودته إلى الجزائر عام ١٩٦٣، عين بن نبي مديراً للتعليم العالي، وندد بالتكلم في تحرير البلاد. فبعد تحرير الأرض، ينبغي العمل على تحرير ما هو أهم وأخطر، ألا وهو تحرير النفوس. وفي عام ١٩٦٦، ظهر على الملأ لأول مرة، وذلك حينما قام بإلقاء درس ذي مغزى سياسي في مسجد الجزائر الكبير. ومنذ ذلك الوقت حدث استقلال تم الحصول عليه "بالتخفيض"، بضمان استمرار الاستعمار الذي لم "يغير سوى المظهر".

وعلى أثر هزيمة ١٩٦٧، اقتنع بن نبي بعدم جدوى الأيديولوجيات "السلفية" أو الوطنية، وبضرورة طرح أيديولوجياته الشخصية على نخبة المستقبل في البلاد. وعلى ذلك،

فقد توقف عن نشاطاته الوظيفية عام ١٩٦٧ لكي يكرس حياته ، حتى موته في عام ١٩٧٣ ، لحلقات الدرس والندوات التي كان يعقدها كل أسبوع في منزله . وكان يحضر حلقاته طلاب المدارس الثانوية والجامعات الذين انخرطوا فيما بعد في النضال الإسلامي . كان بن نبي يعلمهم أن الإسلام يمثل السلاح الرئيسي الذي تحتاج إليه الجزائر لكي تعوض تخلفها التقني وتواجه " المادية الغربية " . وإذا كان بن نبي لم يدع إلى إقامة دولة دينية ، فقد رأى أن العودة إلى القيم الإسلامية " الحقيقية " ، هي المحرك للانتفاضة الثقافية والمعنوية التي يريدها للبلاد . كذلك غرس في عقول تلاميذه عداءً للسامية لم يتخلصوا منه أبداً .

مايو ١٩٦٨ ؟ مؤامرة يهودية تروتسكية ، في رأى بن نبي ، حيكت من أجل حزب ديجول وجعله يدفع ثمن مواقفه المؤيدة للشعب الفلسطيني !

إن موروث بن نبي ، ذلك المفكر الجديد والذي كان يعرف نفسه بأنه " ثوري سياسياً ومحافظ نفسانياً " هذا الموروث من مؤلفات ونظريات لم يجد له صدق إلا عند دعاة الجزائر من الجبهة الإسلامية للإنقاذ . ولعل ذلك يفسره عداء بن نبي لجمعية علماء الدين ، ثم جمعية الإخوان المسلمين ، ثم قربه من الضباط الأحرار ومن عبد الناصر وبومدين وإعجابه بالقذافي ، ومن ثم كان تأثيره الضعيف على السلفيين في الجزائر . ولكن ، يبدو كذلك أن الإهمال الذي أصاب مؤلفاته يرجع إلى عامل لغوي . فالواقع أنه كان يكتب ويتكلم معظم الوقت بالفرنسية ، في حين أن قادة الحركة الإسلامية في الجزائر اليوم وكذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ بنوع خاص ، باستثناء حاملي الشهادات العلمية ، يتكلمون العربية بشكل رئيسي .

مولد أسطورة : الجزائر

كان مسجد الكلية الرئيسية بجامعة الجزائر عام ١٩٦٨ ، ملتقى العديد من زعماء الحركة الإسلامية في المستقبل ، ولم يكونوا في ذلك الوقت يرتدون "الجنسورة" وإنما كانوا يرتدون زي "القطعتين" كما يحلو لهم أن يطلقوا على الزي في الأوساط الطلابية الجزائرية . وأمام المثالب الناشئة من نقص طاقات القبول في الجامعة ، وبالذات عدم

وجود فرص العمل بعدها ، لحق بهم الطلاب العريفيون أو نور الثقافة العربية ، وفي عام ١٩٧٣ وقع أول حادث ، صدام بين الطلبة الإسلاميين والطلبة اليساريين ، وكان ذلك على أثر حريق في المسجد .

وعلى أثر مواجهات أخرى بين الطلبة البربر أو اليساريين والطلبة الإسلاميين ، انتهت بمقتل أحد الطلاب وهو كامل أمزال في حرم جامعة بن أكتون في العاصمة ، قررت السلطات إغلاق مسجد الكلية الرئيسية . فقام عباس مدني والشيخ سحنون والشيخ سلطاني بتوقيع العريضة من أربع عشرة نقطة ، وكان من بين ما طالبوا به: تطهير سلطات الدولة من " العناصر المعادية للإسلام لحساب الاستعمار " ، تطبيق الشريعة ، وخاصة في المجال الاقتصادي ومراعاة قواعد عدم الاختلاط . وفي الثاني عشر من نوفمبر التالي ، كان هناك حوالي خمسة آلاف يستمعون إلى عباس مدني وهو يندد بالنظام . وبعد مظاهرة الثاني عشر من نوفمبر عقد اجتماع مصغر جمع حول على بن حاج وعباس مدني عناصر الجزارة الرئيسيين ، وهو الاسم الذي أطلقه محفوظ تهنّاح من الإخوان المسلمين على هذا الاتجاه الإسلامي الوطني .

وهو لفظ يستعمل لأغراض جدلية من جانب الخصوم الذين لا يتورعون عن وصفها بأنها طائفة من المبتدئين نوى الفروع المتعددة وعلى علاقات غامضة مع السلطة . والجزارة في الواقع جماعة بلا هيئة تتكون من مجموعة من خريجي الجامعة من نوى الثقافة الفرنسية من حاملي دبلوم التعليم العلمي ، أصلهم من مدينة تلمسان . ولعل طابع الجزارة السري والاختياري هو الذي جلب عليها عدواه جانب كبير من بقية الحركة الإسلامية التي تسعى إلى تشبيهها بإحدى الفرق الماسونيه . وإذا كانت الجزارة تثير الكثير من اللغط والمشاعر والتهويمات ، فإن مرجعه أيضاً يعود إلى أن عدداً من قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ارتبطوا بها عن طريق الخطأ ومن ثم فهم متهمون بإقحام جماعة ثقافية داخل إدارة الحزب هدفها الاستيلاء على السلطة على حساب بقية الأعضاء . إن التيار بصفة جوهرية فرنكوفوني وعلمي ، وهو يحتاج إلى جانب عريفيوني وديني . وهما هو ذا محمد سعيد العريفيوني الحاصل على دبلوم في الآداب عام ١٩٧٦ ، بالإضافة إلى ثقافة دينية عالية ، يسد هذا النقص ويصبح الشخص المطلوب . ولقد عرفت الجزارة تشكيلاتها الأولى بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٨٤ ،

وهي السنوات التي كانت تعارض فيها التأثير "العالمي" الذي يمارسه محفوظ نحناح ، زعيم الإخوان المسلمين الجزائريين، وبصفة خاصة منذ ١٩٨٤ ، على أثر إطلاق سراح محمد سعيد (الذي ألقى القبض عليه في نوفمبر ١٩٨٢) حينئذ لم تجد الجزائر صعوبة في فرض نفسها بين الأوساط الجماعية . وباستيلانها على الكلية الرئيسية بالتعاون مع مدني ، ونشرت فروعها بين المعلمين والطلاب . وتهدف هذه الجماعة المرتبطة برباط وثيق " بالخصوصية الجزائرية " إلى بلورة خطاب وطني ومستقل عن الخبرات والتجارب الأجنبية .

ومن الجدير بالذكر ، أن الموقعين على عريضة نوفمبر ١٩٨٢ تم القبض عليهم بعد نشر هذه العريضة مع العديد من الطلاب " الجزائريين " . وإذا كان الشيخ سحنون والشيخ سلطاني قد وُضِعَا تحت الإقامة الجبرية لكبر سنهما ، فإن مدني لم يفلت من السجن . وفي خضم هذه المعركة ، توجد لعبة لا تخفى على أحد تتمثل في المعركة على الزعامة . فهناك محفوظ نحناح الخارج من خمس سنوات قضاها في السجن بسبب قيامه بنشر بوابة إلكترونية بالمنشأ تعبيراً عن معارضته لميثاق ١٩٧٦ . غير أن مجموعة من الجزائريين يحاولون منعه من تحقيق أي نوع من الزعامة على حركة جامعیه غيرة على الاستقلال الوطني . ومن ثم فهي لا يمكن أن تفوض أمر مصيرها إلى زعيم " يتلقى أوامره من الخارج " لذلك فإن الجزائر تعلن بكل قوة انتسابها لجمعية علماء الدين بزعامة بن باديس وتختار لها أباً روحياً هو الشيخ سحنون .

أما الشيخ أحمد سحنون ، فقد ولد عام ١٩٠٧ . وتمكن منذ صغره من التفقه في علوم الدين مما جعل منه أحد الأعضاء المؤثرين في جمعية علماء الدين . وبالرغم من دخوله السجن مرات عديدة لتلفظه عبارات معادية للاستعمار من فوق المنبر في مسجده في سانت أوجين (حالياً بولونيين) ، لم يكف الرجل منذ الاستقلال عن التنديد بالتوجهات الاشتراكية للسلطة الجديدة . واستقال من وظيفته كإمام في مسجد تابع لوزارة الشؤون الدينية في عام ١٩٦٨ . ومنذ ذلك التاريخ جعل من نفسه بوقاً يشارك أيضاً في تكوينهم ويمارس عليهم تأثيراً أدبياً عالياً . وبداية بمسجد دار الأرقم في العاصمة حيث يلقي خطبه بالتناوب مع عبد اللطيف سلطاني وهو نموذج آخر في الإصلاح الإسلامي الجديد ، يقوم أحمد سحنون بالتدريس لمئات الشبان ،

أصبح بعضهم فى رئاسة الجبهة الإسلامية للإنقاذ . السلطات الجزائرية ، حددت إقامته على أثر أحداث الكلية الرئيسية عام ١٩٨٢ . كذلك فقد كان سحنون المحرض على أزمة ١٩٨٨ ، وفى فبراير عام ١٩٨٩ ، أسس رابطة الدعوة الإسلامية ، وهدفها التوحيد بين مختلف جماعات الحركة الإسلامية .

وفى الثانى عشر من نوفمبر ١٩٩٠ ، وفى الذكرى السنوية لأحداث عام ١٩٨٢ ، ضمت الجزائر إليها هيئة جديدة هى " الجمعية الإسلامية للبناء الحضارى " التى قام عباس مدنى بإلقاء خطاب حار تحية لقيامها .

مناضلو الشرق :

تعد حركة النضال الإسلامى فى شرق الجزائر أقل عنفاً منها فى العاصمة ، غير أنها منذ السبعينيات أصبحت تتضمن بعض أوجه الشبه لما يعبر عنه شباب الجزائريين فى العاصمة . وعموم التجربة هذه قد لعبت دوراً هاماً فى تثبيت أقدام جيل واع بنفسه على نحو عميق ، وجلّ نوى الخبرة فيه سنجدهم جنباً إلى جنب فى صفوف الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

ومدينة قسنطينة ، مدينة ريفية من الصعب ألا يعرف فيها المرء ، وخاصة إذا كان مناضلاً من مناضلى الدعوة . فى هذه المدينة . توطدت علاقات الأخوة والصداقة وتكونت الروابط الوثيقة . فهذا عيد الله جاب الله طالب فى الحقوق ، "أخ مسلم مستقل" كما يحب أن يعرف نفسه . وقد بدأ فى تشكيل جماعة صغيرة سرية من الطلبة هى "الجماعة الإسلامية" سوف يناضل فى صفوفها العديد من زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى المستقبل : رياح كبير ، وعبد القادر بوخمخام وعلى جدى وعبد القادر حاشانى .

أما حاشانى الذى سيصبح عضواً مؤسساً فى الجبهة ومسئولاً عن المكتب التنفيذى الوطنى للحزب على أثر القبض على عباس مدنى وعلى بن حاج ، فقد ولد عام ١٩٥٦ فى سكيكدا . وهو ابن إبراهيم حاشانى العقيد فى جيش التحرير الوطنى ، وشقيق بوباكور حاشانى الذى قتل عام ١٩٦٣ خلال " حرب الرمال الصحراء "

ضد مراكش (المغرب) (وقد كتب أبوه ديوان شعر يمدح فيه شجاعته ويعبر عن أمله لفقد " أفضل أبنائه ") وقد بدأ يناضل في صفوف الحركة الإسلامية بجامعة قسطنطينة . وكان متخصصاً في هندسة البتروكيماويات ، وعمل تسع سنوات في هذا التخصص قبل أن يتولى التدريس بالمعهد الجزائري للبتترول في بوميردس . وفي عام ١٩٨٠ شغل منصب مهندس في سكيكدا وكلفته جماعة الجامعة حينئذ بتنظيم بعض الشبكات في ولاية سكيكدا .

على النقيض من الأجيال السابقة ، كان هؤلاء المناضلون على دراية تامة بالقضايا الثقافية التي يضطرب بها العالم . وكانت إقامة معارض الكتاب الإسلامي الأولى فرصة لاحتكاكهم بالكتاب الإسلاميين في المشرق .

ومع ثقتهم بأن ثمة خطراً يهددهم ، هو الشيوعية ، قرر هؤلاء المناضلون في مطلع عام ١٩٨٠ ، في إثر عودتهم إلى مدنهم بعد انتهاء دراستهم ، تشكيل منظمة أصبحت " منظمة النهضة " عام ١٩٩٠ ، وعينوا رئيساً لها عبد الله جاب الله .

ومن الجدير بالذكر أن الأحداث التي وقعت في العاصمة عام ١٩٨٢ كان لها صدى كبير في قسطنطينة . وفي تلك المناسبة ، قام عبد الله جاب الله بتلاوة وثيقة عباس مدني المؤلفة من أربع عشرة نقطة من فوق منبر مسجد الجامعة ، وقام بتوزيعها بمختلف أماكن العبادة في الضواحي المحيطة . ولكن في عام ١٩٨٧ ، تفجرت أزمة داخل إدارة حركة جاب الله . إن صراعات الأشخاص والخلافات حول توجه الحركة هي من سمات تاريخ المنظمات السرية التي يقوم بإدارتها مناضلون تحت سن الثلاثين لا تقف طموحاتهم عند حد .

عصر الوعاظ :

إذا كانت مظاهرة نوفمبر ١٩٨٢ هي شهادة الميلاد الشكلية للجزارة ، فإنها تمثل أيضاً ، لنخبة الشبان الدارسين ، نهاية الاحتكار الذي يمارسونه في مجال التعبير الإسلامي . وبينما كان المناضلون الأوائل وهم في معظم الأحوال من الفرנקوفون (ذوي الثقافة الفرنسية) قد سافروا لإكمال دراستهم في فرنسا أو إنجلترا أو الولايات المتحدة ،

وبينما توفي بن نبي في عام ١٩٧٣ ، تولى لواء النضال الإسلامي العريفيون (أصحاب الثقافة العربية) الذين حلوا محل الفرنكوفون في الكليات وبدءوا ينتشرون في الأحياء الشعبية وضواحي العاصمة . وبذلك تحول مركز جاذبية الحركة الإسلامية .

واعتبر المناضلون الجدد أنفسهم أصحاب رسالة هي : نشر الإسلام الذي أهمله، علماء الدين الرسميون . وامتزجت الحركة الإسلامية بالدين الذي تدافع عنه . ومن ثم نجد جذور هذه الحركة في " عدم قيام الدولة بواجبها نحو الإسلام فهي منذ عام ١٩٦٢ لا تهتم به كما ينبغي " ذلك ما جاء على لسان أحمد ميراني ، أحد خطباء مدينة القصبة الذي أصبح مسئولاً عن لجنة الشؤون الاجتماعية في الجبهة الإسلامية للإنقاذ . إن " الخطأ " يقع على كواثر وزارة الشؤون الدينية . ومن ثم فهو يركز نقده(*) في محيط الوعظ ووعاظ " الإصلاحيين الجدد " : " إن تدريس الإسلام لا يلقي العناية الواجبة والمناسبة لحاجة المجتمع في مجال التربية الإسلامية ... لكي نصبح كواثر في المجتمع ، لابد من الإلمام بعلوم الإسلام " (لقاء مع أحمد ميراني في الجزائر العاصمة من يناير ١٩٩٢ حتى فبراير ١٩٩٣) .

وهكذا نضع يدنا على قلب الإشكالية الإسلامية في الجزائر : من الذي يرتفع إلى مكانة " الكواثر في الوطن " في بلد يتنافس فيه شكلان اجتماعيان متميزان ؟ إن التقسيم الاجتماعي للعمل يقضي بأن يتولى نخبة الفرنكوفون في الحزب الواحد المناصب الاقتصادية والسياسية المهمة ، وكان من الطبيعي أن يستعين المثقفون العريفيون ذوو التكوين التقليدي ، بعلماء دين من نوى التكوين " التقليدي " من حيث الشرعية .

وبينما قام غالبية أعضاء جمعية علماء الدين بمساندة الانقلاب الذي قام به بومدين وانضموا إلى جهاز الدولة ، في محاولة لنشر أفكارهم ، إذا بفريق من الإصلاحيين الجدد المتشددون المؤمنين بأن حصّة الدين التي يقدمها الإصلاحيين الجدد للسلطة ، لا قيمة لها ، يأخذون على عاتقهم نشر الدعوة التي تقول بأن الدولة " كافرة " وبالتقاء حركة الإصلاح الجديد والحركة الإسلامية الوليدة ، المتمثلة في علماء الدين الذين لا يورون في فلك الدولة ويؤمنون بأنه لن يكون لهم نصيب في ذلك بسبب " طغيان " الفرنكوفون ، ما دامت معايير التوظيف الحكومي هي المعرفة " الحديثة "

و "النشاط الاشتراكي" ، ومن ثم فقد راح علماء الدين هؤلاء يتددون باختيارات الدولة . وأبرزوا إسهامها في تسرب " الممارسات الغربية الفاسدة " وأنكروا على القادة فقدانهم للصفات الأخلاقية اللازمة لقيادة مصائر الوطن كما عارضوا الشكل الإسلامي للصيغة السياسية التي تعلنها الدولة . وشددوا في مطالبتهم بالالتزام بتطبيق الشريعة . ذلك هو موقف كل من الشيخ أحمد سحنون والشيخ سلطاني والشيخ صحرأوى .

أما عبد اللطيف سلطاني المولود في عام ١٩٠٢ في مدينة القنطرة ، فهو أحد الوجوه البارزة في الحركة الاشتراكية في جهاز الدولة . في عام ١٩٢٩ ، وبعد أن قضى في جامعة الزيتونة بتونس سبع سنوات ، حصل على الدبلوم العالي . ورفض أن يتعلم اللغة الفرنسية باعتبارها لغة الكفار ، ثم لم يلبث أن أصبح عضواً بارزاً في جمعية علماء الدين التي كلفته بالدعوة لحركة الإصلاح الجديدة في قسطنطينة ، وعينه فيها عام ١٩٤٦ مراقباً إقليمياً ، ثم ، وفي عام ١٩٥٠ ، رقيباً بمعهد بن باديس في قسطنطينة . بعد ذلك أصبح أميناً لصندوق الجمعية ومديراً لمركزها الرئيسي في العاصمة عام ١٩٥١ . ثم عين إماماً لمسجد النور في الجزائر العاصمة ، وذلك حتى عام ١٩٦٠ . وبعد أن عين رئيساً لمسجد كتشاوا في عام ١٩٦٢ ، فصل من منصبه في مارس عام ١٩٦٥ لاعتراضه على المشروع الحكومي الذي يقضى بمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية . وحينما عاد إلى وظيفته على أثر الانقلاب الذي قام به يومدين ، عزل مرة أخرى لاتهامه بالتلفظ بأقوال خارجة . ولما أصبح واعظاً في أحد مساجد القصبة ، اضطرت للتحلي عن وظيفته لامتناعه عن قراءة خطبة قام بتحريرها الموظفون في وزارة الشؤون الدينية . وحتى عام ١٩٧١ ، وهو تاريخ انتقاله إلى المعاش ، كرس حياته للتدريس في إحدى المدارس الثانوية ، مع إلقاء الخطب في المساجد " الحرة " في قوبا وشوفاللي . وهو كمعارض متشدد ، كتب مؤلفات جعلت منه واحداً من أبرز الكتاب المؤثرين في الحركة الإسلامية الجزائرية . في كتابه بعنوان " المزدكية أساس الاشتراكية" ^(١) ، وفي كتابه الآخر الأكثر جرأة بعنوان " سهام الإسلام " عمد سلطاني

(١) المزدكية نوع من البدع الإلحادية ظهرت في فارس في القرن الخامس الميلادي وكانت وراء العديد من الثورات .

إلى تنفيذ الأسس التي تقوم عليها شرعية السلطة . كما عارض ، مع سحنون ، الميثاق ودستور عام ١٩٧٦ . كما شبه اشتراكية بومدين بالمزدكية واتهم النظام باستيراد مبادئ غربية عن الإسلام ، كما أعلن أن الجزائريين الذين ماتوا في حرب الاستقلال ماتوا من أجل تجريب نموذج سياسى " مستورد " فى الجزائر ، وهاجم القواعد الأيديولوجية والاقتصادية للثورة الجزائرية .

كان الهدف الأساسى من الإصلاح الزراعى فى تقدير الطبقة الحاكمة الجديدة ، هو تصفية طبقة الفلاحين التقليديين والحيلولة دون أن يقوم المجتمع الريفى بتكوين طبقة مستقلة من شأنها أن تعيد النظر فى ارتقاؤها إلى السلطة .

وطبقة علماء الدين "التقليديين" كانت تتكون تاريخياً من عناصر من البرجوازية الحضرية وأيضاً العقارية ومن ثم فإن معارضة رجال الدين هؤلاء للإصلاح الزراعى تدل على التنافس بين نظامين للسلطة والشرعية متعارضين يزعمان حق الرقابة الاجتماعية على المجتمع الريفى . وبعد أن ندد علماء الدين المستقلون بالأضرار التى لحقت الملكية الخاصة ، أصبحت البرجوازية العقارية تميل أكثر فأكثر إلى إنفاق "زكاتها" على المساجد الحرة والجمعيات الخيرية التى تديرها الحركة الإسلامية . وكان من شأن موقف الشيخ سلطانى أنه أكسبه تعاطف المهاجرين القرويين الذين اضطروا فجأة إلى الانتقال إلى الأحياء الشعبية فى التجمعات السكانية الحضرية . وفى أواخر عام ١٩٧٠ ، وبخاصة فى أوائل الثمانينيات ، كان أبناء القرويين من ضحايا الثورة الزراعية هم الذين حملوا لواء المعارضة الدينية .

لشدة بغضه لرجال الدين الرسميين فى جهاز النظام ، عمد سلطانى إلى أن يوجه إليهم اتهاماً صريحاً فى أحد فصول كتابه " المزدكية أساس الاشتراكية " بعنوان "العلماء ضمير المجتمع" حيث أخذ عليهم قسملهم فى مهمتهم النقدية للسلطة . وحينما حددت إقامته على أثر أحداث الكلية الرئيسية بجامعة الجزائر عام ١٩٨٢ ، والعريضة التى وقعها مع سحنون ومدنى ، توفى سلطانى فى أبريل ١٩٨٤ ، وكانت جنازته التى ضمت أكثر من عشرين ألفاً من أبرز الأحداث فى الحركة الإسلامية فى الثمانينيات .

ومن بين الشيوخ المتشددین أيضاً نجد الشيخ عبد الباقي صحراوي ، وقد مارس هو أيضاً تأثيراً بعيداً على الأجيال الشابة وكان في عام ١٩٨٩ أحد مؤسسي الجبهة الإسلامية للإنقاذ . ولد عام ١٩٠٨ في قسطنطينة . وفي سن العاشرة التحق بالمدرسة الإسلامية في بسكرة ثم بالمدرسة الابتدائية الفرنسية التي تخرج فيها عام ١٩٢٥ . وبين ١٩٢٥ - ١٩٢٧ أتم دراسته الثانوية في المدرسة الثانوية بقسطنطينة وفي عام ١٩٣٠ ، انتقل إلى الجزائر العاصمة . ومنذ عام ١٩٣١ بدأ يناضل في المدارس الإسلامية الأهلية التابعة لجمعية علماء الدين التي أصبح أحد أعضائها البارزين وقام فيها بتدريس العربية طيلة أربعة عشر عاماً . في ١٩٣٩ ، التحق بالفرقة السابعة للرملة الجزائريين في الجيش الفرنسي حيث كان بدرجة صف ضابط . اشترك في حملة تونس قبل أن يعود إلى الجزائر حيث واصل نشاطاته الإصلاحية في الاتحاد الديمقراطي للإعلان الجزائري بجوار فراصات عباس .

خلال حرب الاستقلال ، كان صحراوي ينتقل بين العاصمة وباريس حيث أصبح ، من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٢ ، أميناً لمكتب شمال إفريقيا للقوة العمالية . وعلى أثر الاستقلال عاد إلى الجزائر حيث قام بتدريس العربية حتى تقاعده في عام ١٩٧٧ . وخلال تلك الأعوام كان إماماً مع أحمد سحنون لمسجد سانت أوجين ومن عام ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ اشترك في النضال مع المعارضة الإسلامية التي أصبح واحداً من أبرز قادتها . وحينما تم القبض عليه في " قضية بويالي " واعترف بأنه قدم إليه " النصيحة " مثل أمام محكمة أمن الدولة بتهمة " تكوين منظمة سرية " وعدم الإبلاغ عن المجرمين استوجب الحكم عليه بالسجن حتى عام ١٩٨٣ . خلال تلك الفترة كان الشيخ يشارك في النضال ضد إجراءات الإصلاح الزراعي التي أضرت بالملك الريفيين من رجال الدين التقليديين .

كان الشيخ يعد نفسه ضحية النخبة التقنية والفرنكوفونية ، لذلك فقد كان يشك في وطنيتهم : " حينما تجد شخصاً يدعو إلى الاشتراكية ولم يقرأ شيئاً في اللغة العربية ، فقد جاءه ذلك من الروس أو الفرنسيين " .

ومن الجدير بالذكر ، أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ضمت إليها الشيخ صحراوي لتدعيم الجانب الديني والتاريخي في صفوفها ، وقام الشيخ بالقاء الكلمة التي يعلن فيها

عن ميلاد الحزب وذلك في مسجد السنة بباب الواد في مارس ١٩٨٩ . ولدى عودته إلى فرنسا عام ١٩٨٩ ، تولى وظيفة الإمام في مسجد خالد بن الوليد في المقاطعة الثامنة عشرة بباريس. وبسبب معارضته للإضراب العام الذي دعا إليه مدني في يونيو ١٩٩٠ ، تم استبعاده بالتدريج من اجتماعات الإدارة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ . واعتماداً على القوة التي يضمنها له سنه وكونه المؤسس التاريخي للحزب، حاول بعد إلغاء انتخابات الجزائر ، أن يفرض نفسه زعيماً لفرع المعارضة الإسلامية في فرنسا . وأيد النضال المسلح ، مع إعلان احترامه لعدالة الجمهورية الفرنسية . وكان يعارض إقامة " جبهة ثانية " في أوروبا ، أدان محاولات الاغتيال التي ورطت فرنسا أكثر وأكثر في الصراع الجزائري . ولعل هذه السياسية كانت وراء اغتياله في باريس في يوليو ١٩٩٥ .

إن أجيال المناضلين من الشباب الجزائري المسلم يرون ، أياً كان الأمر في "سلافهم الأتقياء" ومنهم صحراوي ، روادهم في معركتهم . ومن ثم فإن هذه الشخصيات الرمزية تعد منذ تلك الحين " آباء " الحركة الإسلامية الجزائرية . يرجع ذلك أيضاً إلى أنهم بارتباطهم بالإصلاحيين الجدد من ناحية وقادة المعارضة الإسلامية ، فهم يكونون همزة الوصل بين علماء جمعية الشيخ بن باديس ومناضلي الحركة الإسلامية الوليدة المجتمعين على هدف راديكالي حول مشروع التعريب وحول الإخلاص لمبادئ السلفية .

أصول السلفية :

تضم السلفية مجموعة من العناصر المأخوذة عن مؤلفات ابن تيمية - الذي تأثر به الحنابلة الجدد والوهابيون وعناصر مأخوذة من " الإصلاحيين الجدد " في القرن التاسع عشر ، وكذلك مؤلفات سيد قطب ، بالإضافة إلى ذلك تعتمد السلفية الجزائرية على إعادة قراءة سياسية ودينية لعصر الرسول ﷺ . والحقيقة أن النسب الذي يزعمه السلفيون الجدد بين ابن تيمية وبين علي بن باديس من الصعب إثباته . فهم في واقع الأمر يقتبسون من جميع التقاليد . ومع ذلك فهم " يقطعون الجسور مع موروث

الإصلاحيين الجدد الذين يتهمونهم بالتواطؤ مع الفكر الغربي ويتشويه مبادئ الإسلام بهدف تكيفها مع متطلبات العصر " .

والحركة الإصلاحية الجديدة تدعو إلى التقليد الحرفي لحركات الرسول ﷺ في الوقت الذي تحاول فيه أن تعيد الاعتبار لصورة العالم السلفي . فإطلاق اللحية وارتداء الجلباب واستعمال السواك وتقديم اليمين عند دخول المسجد أو المنزل ، وكلها رموز تضمن لهم السيادة السلفية التي ينازعهم عليها غيرهم من وجوه الجرائر الضرية . واعتماداً على الدعم الموجه بالمقام الأول من الإخوان المسلمين ويقوم على " برنامج عملي " أكثر من الركون إلى التفكير الفلسفي ، كانت النخبة المكونة تكويناً تقليدياً ، وكذلك خريجو التعليم المهتم الذين يهدفون إلى إقامة المجتمع الإسلامي على أساس من الشريعة ، هم الذين يديرون الحركة السلفية الجديدة في جوهريها ، وذلك تجنباً للتأثيرات المأخوذة من الغرب .

لتحقيق ذلك ، فهم يرون أن على الجماعة الإسلامية اللجوء إلى " الاجتهاد " بإشراف علماء دين مؤهلين لهذا الغرض ويجعلون من أنفسهم حراساً على العقيدة والسنة . وتدعو النظرية السلفية الجديدة لضرورة تنقية العقيدة مما شابها وشرعية النخبة الشابة من عامة الشعب الذين يهتدون إلى خطر المؤسسة الدينية الرسمية وظهور طبقات جديدة من المثقفين ثقافة دنيوية . ومن ثم فهم يعارضون النخبة " المغربية " وعلماء الحركة الإصلاحية الجديدة . ومن ثم فإن رفضهم للتقاليد يأتي مصحوباً برفض آخر للأفكار السياسية والفلسفية الخاصة بالتقنية الغربية ، مما يقودهم إلى صياغة مشروعاتهم السياسية في صيغ إسلامية في جوهريها . فمن الناحية السياسية، كان من الطبيعي أن يسعى السلفيون الجدد إلى إقامة دولة إسلامية على غرار التعريف الذي أورده الباكستاني المودودي والمصري سيد قطب ، وإعادة نظام الخلافة ، بوصفه الضمان للحاق الإسلام بالعصر ، بل ولتفوقه على الغرب . ومن ثم يدعون إلى إقامة حكومة تعتمد على الشورى والإجماع الذي يضمن للعلماء السلفيين التفوق على السلطة التنفيذية التي فوضها الله إلى الخلفاء . وبذلك فهم يرفضون النظم السياسية الحالية وفي مقدمتها الشيوعية التي يشبهون بها النظام الجزائري . كما يطالبون بإقامة عدالة اجتماعية تعتمد على احترام تعاليم القرآن التي ينبغي أن تحكم الجماعة . ومن الجدير بالذكر ،

أن السلفيين الجدد بما لديهم من مساجد وجمعيات خيرية، هم الذين رفعوا لواء الحركة الإسلامية حتى أصبحت منذ عام ١٩٨٨ عنصراً أساسياً في الحياة السياسية الجزائرية .

«ملحمة» بوبالي :

بعد أن قطع مصطفى بوبالي المناضل القديم في الولاية الرابعة صلته بالحركة الإسلامية ، التي كانت تعتمد حتى ذلك الحين على طريق الدعوة بشكل جوهري ، انخرط الرجل بكل قوته في حركة مسلحة ضد " الدولة الكافرة " باسم " الجهاد " .

ولد مصطفى بوبالي في السابع والعشرين من يناير عام ١٩٤٠ في " دراريا " في أسرة من أصل قبائلي . وهو مجاهد قديم . خاب أمله في الاستقلال الذي اعتقد أنه تحقق باسم الجهاد من أجل إقامة دولة إسلامية ، وشعر أنه مهمش من دولة يهيمن عليها " جنود الساعة الحادية عشرة " من " جيش الحدود " على حساب مناضلي الداخل . عمد بوبالي إلى معارضة ميثاق تريبولي حصيلة زمرة أحمد بن بيل الماركسية . وإذا بمشهد تقسيم المناصب الأوروبية الشاغرة بين " مناضلين " متأخرين، أو ليس لهم من النضال سوى الاسم ، يقضى على كل أمل عند بوبالي ويجعله مقتنعا بوجوب قطع صلته بهذا " النظام " .

ولأول مرة في عام ١٩٦٣ ، يعلن معارضته للنظام بالانضمام إلى " جبهة القوى الاجتماعية " . وفي أوساط جبهة التحرير الوطنية التي كان مسئولاً محلياً فيها لفترة، التقى بمناضلين آخرين من الداخل كانوا مثله يحملون بدولة إسلامية . غير أن انقلاب ١٩٦٥ جاء إعلاناً بالانتصار النهائي " لجيش الحدود " وحدا به إلى الالتجاء إلى بعض الدوائر التي تدعو إلى إسلام معارض وشعبي يقوم على مرجعية الحركة التأسيسية التي ترجع إلى أول نوفمبر ١٩٥٤ . ورفض بوبالي الاعتراف بالنصوص التأسيسية لجمهورية تستوحى فلسفتها من الاشتراكية ، ومن ثم كان عداؤه الشديد للميثاق الوطني المعلن عام ١٩٧٦ ، وبالتالي فقد طالب بتطبيق الشريعة تطبيقاً كاملاً . وفي عام ١٩٧٧ ، اضطر لترك إدارة فرع جبهة التحرير الوطني في شيراجا ، والتحق بالعمل

بإحدى الشركات العامة وهي الشركة الوطنية للكهرباء ، حيث تولى مهمة الأمن فيها . ثم أقام فيها مصلى قبل أن يصبح رئيساً للجنة مسجد العشور . كانت الخطب التي يلقيها بوبالي تفتن جمهور المستمعين الذين خرجوا على نطاق السرية التي فرضت عليهم في البداية بسبب عمليات القمع السياسي ، مقتنعين بضرورة العمل المسلح . ومنذ عام ١٩٧٩ ، عمدت جماعة مسجد العشور إلى جمع وشراء السلاح . وكانت سلسلة من أحداث العنف التي استهلت بها ملحمة بوبالي .

حول مسجد السلام في سيدي بالعباس ، قام الشيخ عثمان منذ عام ١٩٧٩ بتكوين جماعة . وحدث أن فجر جماعة من المجاهدين متجرّاً للخمور في الواد . وفي شهر أكتوبر التالي كانت لاغوات مسرحاً لمصادمات دامية بين قوات النظام والمناضلين الإسلاميين . هذه الجماعات المتأثرة بمؤلفات سيد قطب والمعارضة لتوجهات الإخوان المسلمين في شخص محفوظ نحناح الذي كانوا يتهمون بالتعاون مع السلطة ، عمدت إلى الانتشار في مركز غرب البلاد حيث بدءوا يدعون إلى " الجهاد في سبيل الله " . في تلك الأثناء كان الاتحاد السوفيتي قد قام بغزو أفغانستان وسافر أوائل المتطوعين إلى "بشاور" . ولم يتأخر الرد على الحركة الإسلامية في مجملها ، فبدأ بجماعة بالعباس الذي مثل أمام محكمة أمن الدولة عام ١٩٨١ . ونجح مصطفى بوبالي في إقامة اتحاد بين مختلف الجماعات في غرب الجزائر وفي العاصمة وكان في تلك الفترة يرأس "جماعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وحاول تشكيل حركة إسلامية جزائرية يكون أميراً لها ، ويكون هدفها مكافحة " المصائب الاجتماعية " وفي مقدمتها الإسراف .

لم يكن الهدف يعد هو الاستيلاء على السلطة بالقوة ، ولكن مجرد الضغط على الدولة لدفعها إلى القيام بمشروع للتهذيب السياسي والاجتماعي . من هذا المنظور نظم بوبالي هجمات ضد بعض محلات بيع المشروبات الروحية أدت إلى القبض على بعض رفاقه . ومع ذلك فلم يتوصل إلى توحيد حركة إسلامية تتخللها تناقضات داخلية عميقة . وإذا كان محفوظ نحناح وآخرون وعدوه بالمساعدة ، فقد رفضوا تدعيم مشروعه بتنظيم مسيرة بمناسبة الفاتح من مايو ١٩٨١ . كان بوبالي يخطط لاستراتيجية تستهدف الاستيلاء على الحكم بالقوة .

وكان على أمير مسجد العشور أن يتحمل مضايقات الشرطة والأمن العسكرى وزياراتهما المتكررة . وإذا كان قد تمكن فترة من الزمن من خداعهما بمساعدة بعض رفاق السلاح القدامى فى جبهة التحرير الوطنى ، فقد ثبت عجز هؤلاء عن حمايته . وفى عام ١٩٨١ تم القبض عليه ، ثم أطلق سراحه .

وفى عام ١٩٨٢ انتقل بويالى للعمل السرى بشكل نهائى ، بعد أن حاولت قوات الأمن القبض عليه وقتلت أخاه مختار . وأصبح مصطفى بويالى عدو الدولة رقم واحد . ولجأ إلى الاختفاء فى أحراش بليدا والأربع حيث قاد منها بعض العمليات المسلحة بهدف تزويد أنصاره ببعض الوسائل التى يحتاجونها فى حالة استيلائهم على السلطة .

كانت أول مواجهة دائمة بين المجموعة والشرطة أثناء حالات منع التجول فى بين أكتون فى شهر نوفمبر عام ١٩٨٢ . قام مصطفى بويالى بقتل أحد رجال الشرطة . بعد ذلك تم ضرب نفر من المجموعة ، وتأكدت السلطات أن بويالى يقود تنظيماً سرياً يهدف إلى " النيل من أمن الدولة " . أما الجماعة التى أصبحت منذ شهر يوليو ١٩٨٢ تدعى الحركة الجزائرية الإسلامية المسلحة واختارت بويالى أميراً لها فى شهر أغسطس التالى ، فقد كانت فى الحقيقة تتكون من العديد من الدوائر المتورطة بشكل أو بآخر فى العمليات المسلحة . أما الفرع السياسى فكان يضم المناضلين الذين لا يستعملون السلاح ، ولكن يزودون الحركة بالجانب الدينى والأيدىولوجى وكان هذا الفرع مكلفاً بتنبيه الرأى العام العالمى عن طريق إرسال تحذيرات إلى هيئات التمثيل السياسى وبنوع خاص سفارة الاتحاد السوفيتى الذى " يطالبونه بالتخلى عن الأراضى الجزائرية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية الجزائرية كما فعل مع أفغانستان " أما الفرع العسكرى الذى يسميه بويالى " المتطوعون فى سبيل الله " والمشكل من مجموعة العاصمة الساحل ، ومجموعة ميتيجا ، فكان يضم النواة الرئيسة المحيطة برئيسها والمكونة من عشرة أمراء معظمهم من أقارب بويالى وكل منهم يحكم منطقة ، بينما كانت هناك دائرة أوسع تضم الأنصار الذى يقدمون الدعم والتمويل للنواة الأساسية . ويعد أن اعترف بشرعية نشاطه كل من الشيوخ عبد الباقي صحراوى وعبد اللطيف سلطاني وعلى بن حاج ، راحت الجماعة تمشح مدن ميتيجا بلا رادع .

وفى مارس ١٩٨٥ ، وعلى أثر مشروع اغتيال رئيس الوزراء أحمد عبد الغنى ، واختطاف الأمين العام لجبهة التحرير الوطنى شريف مسعديه والهجوم بالقنابل على فندق أوراسى ، ومقر الاتحاد النسائى الجزائرى ، ومطار هوارى بومدين ، ودار القضاء بالعاصمة ، تم تقديم عقدا بويالى الأوائى أمام محكمة أمن الدولة مع مائة وثمانية وخمسين متهما آخرين . وصدر الحكم بإدانة ثلاثين ، منهم بويالى نفسه الذى حكم عليه بالسجن المؤبد .

وسرعان ما أعادت الجماعة تنظيم صفوفها بأنصار جدد واستأنفت أنشطتها التى بلغت ذروتها فى الواحد والعشرين من أغسطس ١٩٨٥ بالاستيلاء على رواتب العمال فى إحدى الشركات العامة فى عين نجمة ، وفى السابع والعشرين من الشهر التالى ، بالهجوم على مدرسة الشرطة فى سمعة (تم الاستيلاء على مائة وعشرين قطعة سلاح وقتل أحد رجال الشرطة) والتى شارك فيها مساعدا بويالى ، وهما عبد القادر شيبوتى (وهو تاجر من مواليد ١٩٥٦) ومنصورى مليانى (سائق يعمل فى شركة وطنية من مواليد ١٩٤٥) .

ولما تبين فشل السلطة أمام هذه " الحفنة من الرجال " ، لم تتردد السلطة فى اللجوء إلى الوساطة . فقام وزير الشئون الدينية بمقابلة بويالى بلا فائدة . ولما فشلت الاتصالات مع رئيس الشرطة خضيرى ، كلف الجنرال شيلوفى بمهمة المفاوضات . غير أن قضية بويالى أصبحت موضوع منافسة كبيرة بين مختلف أجهزة الأمن . وفى حين أعلن شيلوفى أنه حاول إقامة الجسور لاتفاق مستقبلى ، اتهم الأمن العسكرى بأنه " تدخل بغير علمه " بقتل بويالى فى الثالث من فبراير ١٩٨٧ . وتم القبض على أواخر المتشددى فى الحركة بعد عدة أسابيع ، وتم محاكمتهم أمام محكمة أمن الدولة فى يونيو التالى . وصدرت الأحكام بإعدام أربعة ، وعلى مائة وثلاثة وثمانين بالسجن مدداً تتراوح بين العام والمؤبد .

لقد أصبح بويالى " بطلاً " رومنتيكياً . فحتى إذا كان بعض الدعاة مثل عباس مدنى يدينون أعماله ، فإنه يستحوذ على إعجاب عدد كبير من شباب الإسلاميين مثل على بن حاج . إن نجاحه فى تحدى الدولة طيلة ما يقرب من الخمس سنوات ثم سقوطه فى ساحة الشرف ، جعل منه " الأخ الشهيد " الذى يجمع على احترامه سائر

الإسلاميون الجزائريون . ومع ذلك ، فقد كانت تجربة بويالى وراء انقسام الإسلاميين الجزائريين ، على شاكلة إخوانهم الكبار فى مصر على أثر مقتل سيد قطب ، وذلك فيما يتعلق بالوسائل العملية فى الاستيلاء على السلطة . ففى حين يستمسك رفاق مصطفى بويالى القدامى بضرورة استعمال العنف لضرب النظام وإقامة دولة إسلامية مكانه ، فإن شباب المناضلين من خريجي الجامعات يفضلون استراتيجية متدرجة تستهدف عدم الاصطدام بجيش هو دائماً على أهبة الاستعداد لقمع أى شكل من أشكال المعارضة بكل قوة وعنف .

أزمة الحزب الواحد

وميلاد قوة سياسية جديدة : الجبهة الإسلامية للإنقاذ

تم تفكك الإدارة في السلطة الحاكمة بشكل بطيء ، بدأ بمناسبة تعيين شاذلى خلفاً للرئيس بومدين ، مما أدى في أكتوبر ١٩٨٨ وعلى أثر بعض المظاهرات ، إلى صدمات عاصفة على مستوى قمة الدولة . وقد جاء ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ في هذه الظروف .

شقاقات داخل النظام :

لم يكن تشكيل تآلف المستعربين " داخل إطار الحزب متزامناً مع تولى العقيد شاذلى للحكم . وإنما بدأ مع إطلاق الثورة الزراعية وتكون الاتجاه اليسارى . بعد ذلك قوى هذا التشكيل على أثر إلغاء التعليم الأصولى " ووقف عملية التعريب " الذى قرره بومدين عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ بمناسبة الجدل حول الميثاق الوطنى . هذا الجدل الذى استبعد " الإصلاحيين الجدد " كشف عن الغموض والالتباسات الخاصة بالوضع السياسى للإسلام فى الجزائر ، من حيث إنه يلح على ضرورة تهذيب الحياة العامة عن طريق العودة إلى الأصولية الإسلامية مع استبعاد أشد أنصار الأصولية تزمناً . فى ذلك الحين بدأ الحديث عن " انحراف " جبهة التحرير الوطنى عن مبادئها المعلنة فى الأول من نوفمبر ١٩٥٤ . (أى " إقامة دولة جزائرية ديمقراطية ذات سيادة فى إطار المبادئ الإسلامية) . والحقيقة أن وقف التعريب " حرم الإصلاحيين الجدد " من مجال تحركهم الرئيسى . ولكن المعارضة الإسلامية اتخذت نهجاً ومضموناً دينياً ابتداءً من التجديدات التى حدثت داخل الحزب على أثر تعيين خلف لهواري بومدين . وظهرت

بالتالى توجهات إسلامية داخل تشكيلات جبهة التحرير الوطنى الجديدة ، وينسبة أقل ، داخل صفوف الجيش ، بعض كبار الضباط من نوى التكوين العريفون والدراسة فى جامعات وأكاديميات الشرق الأوسط (وبخاصة العراقية منها) خلال الخمسينيات عمدوا إلى معارضة التقنيين الفرنكوفونى داعين إلى " حركة بعثية " خالية من المضمون " العلمانى " . ومارس بعضهم تأثيراً حقيقياً على الأجيال الصاعدة من العسكريين العريفون الذين تضرروا فى مجال ترقياتهم بسبب وجود ضباط فرنكوفون داخل إدارة الجيش .

وأصبح هناك اتجاهان يتنازعان خلافة الرئيس بومدين . اتجاه " بعثى " اشتراكى أوسطى يدعمه فى ذات الوقت حزب الطليعة الاشتراكى وبعض الوطنيين الإسلاميين ويمثله محمد صلاح ياحياوى (عقيد قديم ذو تكوين إصلاحى جديد قام بإدارة أكاديمية تشرشل العسكرية فى أوائل الثمانينيات) واتجاه يجند نوعاً من " الانفتاح " السياسى والاقتصادى ، يمثله عبد العزيز بوتفليقة الباقى الوحيد من جماعة Oujda التى أوصلت بومدين إلى السلطة . فى تلك الأثناء ، وبمناسبة المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطنى فى يناير ١٩٧٩ ، قرر الجيش التصويت لصالح العقيد شاذلى بن جديد (أقدم ضابط فى أعلى رتبة) مما أدى ، أثناء المؤتمر غير العادى عام ١٩٨٠ ، إلى استبعاد كبار المؤيدين لبومدين . منذ ذلك التاريخ انخرطت الرئاسة فى سياسة انفتاح اقتصادى مع التحقيق مع " بارونات " النظام المتهمين بمسئوليتهم عن وضع الأزمة وتكوين ثروات طائلة فى القطاع الخاص بفضل معارفهم واتصالاتهم فى القطاع العام .

أما العريفون أعداء الإصلاح الاقتصادى الذى قام به التقنيون الفرنكوفونيون المحيطون بالرئيس شاذلى ، فقد راحوا يتقربون علناً من قادة النزعة الإسلامية فى المجتمع والنظام .

أتاحت لهم أول فرصة بمناسبة قانون الأسرة وقانون الأحوال الشخصية . فحينما عرض المشروع للمناقشة على مجلس الشعب الوطنى فى سبتمبر ١٩٨١ ، أعطى المجال لمطالبات فى صالح تطبيق الشريعة ، مما دفع شاذلى إلى سحب المشروع

فى يناير ١٩٨٢ . كان مقتنعاً بأنه إذا قدم المشروع للمناقشة فى جلسات الحزب البرلمانية ، فإنه سيعزل أنصار النزعة الإسلامية الأشداء ، لذلك فقد أرجأ المشروع للدراسة . ومن سخریات القدر أن المعارضة الإسلامية - التى اعتقد شاذلى أنه قد أمنها بتصرفه - لم تكف عن جعل القانون الجديد أحد أهدافها الرئيسية ! ومنذ ذلك الحين ، وقد أدلت الثورة الإيرانية بدلوها ، أصبح موضع إقامة الدولة الإسلامية يزداد إلحاحاً داخل إطار الحزب نفسه . فبعض أعضاء اللجنة المكلفة بالإعداد لمؤتمر جبهة التحرير الوطنى عام ١٩٨٦ برئاسة أحمد طالب إبراهيمى ، طالبوا بإقامة دولة إسلامية ، مما أدى إلى استبعاد بعضهم ، ومنهم الجنرال الهاشمى هجرس ، من صفوف الحزب .

فى عام ١٩٨٨ ، جاء ترشيح الرئيس شاذلى لفترة رئاسية ثالثة عاملاً على زيادة حدة الصراع القائم منذ ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ، بين "الإصلاحيين الجدد" و " المحافظين " داخل الحزب . كانت الرئاسة تسعى من جانبها إلى استمرار سياسة الانفتاح الاقتصادى وتحتاج من أجل ذلك إلى جبهة تحرير وطنى مجددة عن طريق تعاون عناصر تنتمى إلى جيل التقنيين الجدد . وكان بعض " بارونات " الحزب على استعداد لعمل أى شىء من أجل المحافظة على مصالحهم الاقتصادية ، من خلال احتفاظهم بالاحتكار الذى يمارسونه على التجارة الخارجية ذلك الموضوع الذى كان ينسب " الإصلاحيين الجدد " طرحه للمناقشة . وكان " المحافظون " زيادة على ذلك ، لا يتراحون لترقى نخبة من التقنيين الموظفين بغير الطريق التقليدى ، أى جدال سياسى معارض غير وارد ، فلم يكن هناك بد من أجل حل الخصام من أزمة داخل النظام . لذلك فقد عمد المحافظون فى جبهة التحرير الوطنى بالتعاون مع جانب من قوات الأمن ، فى خريف ١٩٨٨ ، إلى تشجيع الإضرابات الكثيرة فى القطاع العام .

فى هذه الظروف ، وبعد أن انتشرت الشائعات (وهى منسقة مع خصوم الرئيس ، بتورط أسرته فى قضايا الفساد) ، قام الرئيس شاذلى بإلقاء خطابه التليفزيونى فى ١٩ سبتمبر ١٩٨٨ . وقد حمل ، فى هذه المناسبة ، على أولئك الذى يعرقلون من داخل الحزب الإصلاحات الاقتصادية كما هاجم الفساد وإهمال الإدارة العليا والحزب

الواحد . وانتشرت الإضرابات وشائعات الإضراب العام في قمة أزمة اجتماعية لا تنتظر سوى الانفجار . وأخيراً اندلعت الثورة ليلة الخامس من أكتوبر . أما الرئاسة (وعلى رأسها الأمين العام الجنرال لاربي بالخير) فقد اختارت في بداية الأمر عدم التدخل وترك الأمور (هذا إذا لم تكن قد قامت بتشجيع المتمردين) وذلك لاستدراج الجيش للتدخل ، على أن تقوم بعد ذلك بالرقابة والانتقاد . وقد انتهز شاذلي هذه الفرصة التي أتاحتها له " الأحداث " فقام في العاشر من أكتوبر التالي بالإعلان عن القيام بإصلاحات سياسية تخضع للاستطلاع الشعبي .

وفي التاسع والعشرين من أكتوبر تم فصل محمد شريف مساعديه ومدير الأمن الحربي الجنرال لإلصاح آيات . وفي الثاني والعشرين من ديسمبر ، أعيد انتخاب شاذلي للمرة الثالثة رئيساً للجمهورية ، وفي الثالث والعشرين من فبراير تم التصديق على دستور جديد بطريق الاستفتاء وبذلك يبدأ عصر تعدد الأحزاب .

ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ :

كان شاذلي يفضل أن تكون المعارضة التي تواجهه معارضة ، إسلامية معروفة بأنها " غير شرعية " في نظر أصحاب الدعم المادي الغربيين ، وبالتالي من الممكن قمعها مع الوقت - في حين أن مما يسبب له الحرج أن يترك الحبل على الغارب لمعارضة ديمقراطية تتمتع بتعاطف الرأي العام العالمي - ومن ثم فقد قام بتشجيع إقامة أحزاب معارضة إسلامية . ففي العاشر من أكتوبر ، استقبل وفداً إسلامياً يتألف من علي بن حاج ومحفوظ نحناح وأحمد سحنون ، قاموا بتقديم قائمة بطلباتهم إليه . وكنوع من التكريم ، فقد أتاح هذه المقابلة للزعماء الإسلاميين فرصة اكتساب شرعية سياسية على حساب جميع المعارضين الجزائريين ، وشغل دور الوسطاء الوحيدين بين السلطات العامة والشعب . واستغلالاً لإجراءات الانفتاح السياسي التي سرت صبيحة الانتفاضات ، تستطيع الحركة الإسلامية بسط شبكة أعمال الخير التي تتبعها كما تريد . ونظراً لقدمها ومرونة تراكيبها ، تتمكن بسرعة من تكوين منظمة تدعمها .

فى الثامن عشر من فبراير ١٩٨٩ أعلن نفر من زعماء الحركة الإسلامية عن تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى العاشر من مارس التالى ، أعلن عن ميلاد الحزب . أما طلب الموافقة على الجبهة المقدم فى الثانى والعشرين من أغسطس ١٩٨٩ ، فقد قبل فى السادس من سبتمبر التالى^(١) طبقاً لبنود قانون الجمعيات ذات الصبغة السياسية المقترح عليه فى الخامس من يوليو ١٩٨٩ من جانب مجلس الشعب الوطنى . والأعضاء المؤسسون للجبهة الإسلامية للإنقاذ هم : عباس مدنى وعلى بن حاج وعلى جدى وأحمد ميرنى وعبد الرزاق رجم وكمال جيمازى وعشور ربيحى وابن عزوز زبده ومحمد لربى معريش وعبد الله هموش ومختار إبراهيمى وأحسن نواى . وسعيد مخلوفى وعثمان عيسانى ومحمد كرار ، وهم يمثلون مجموع الأجيال والاتجاهات والاعتبارات الجغرافية . هذا البعد الأخير فى تناسق الحزب سيتحقق أيضاً فى تشكيل لجانه الإدارية . فمن بين الخمس والثلاثين عضواً الذين يمثلون مجلس الشورى ، تسعة عشر عضواً من منطقة الوسط وتسعة من الغرب وسبعة من الشرق .

كل شىء فى أواخر عام ١٩٨٩ كان يبتسم للرئيس شاذلى . فالجيش انسحب رسمياً فى الرابع من مارس من اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطنى . ولكن الذى كان يدور فى عقل القيادة العليا ، هو الاحتفاظ بالجيش بمنأى عن " عملية تطبيق للديمقراطية " لا يريد أن يتحمل نتيجتها فى حالة فشلها . ولم يكن ذلك يدور فى خلد شاذلى الذى شرع فى تقليص نفوذ جبهة التحرير الوطنى عن طريق تنظيم انتخابات محلية وتشريعية . هذه الأخيرة تسمح له بتجميل صورته وتأكيد سلطته عن طريق توسيع قاعدة طبقة النظام بالنخبة الإسلامية الجديدة . غير أن أحداث حرب الخليج وإضراب مايو - يونيو ١٩٩١ أكدا محدودية الاستراتيجية الرئاسية . فهذه الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا تهاجم الرئيس وحده وإنما أيضاً الجيش . وبذلك تهدم طموحات "الانفتاح المراقب" الذى انتهجه الرئيس^(٢) . وإذا كان لابد من انتظار يناير ١٩٩٢ لى يتدخل الجيش ، فذلك قبل أن يقع الانقلاب الذى يطيح بشاذلى .

(١) فى حين أن مثل هذا الطلب الذى تقدم به "اتحاد المغرب العربى" رفضته حكومة المغرب التى لم تعترف بالحركات الإسلامية .

(٢) لمزيد من المعلومات اقرأ : ريمى ليفو ، السيف والعمامة . مستقبل المغرب ، باريس ، فرنسوا بوران ،

الباب الثاني

اختيار الشرعية

﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النمل ، آية ٢٤]

الغواية المزدوجة لنخب الإسلاميين

منذ أزمة الخليج ، تبين عجز النخبة الإدارية للحزب الإسلامي عن السيطرة على التوترات المصاحبة للطبيعة المزدوجة للجبهة الإسلامية للإنقاذ . إن شعور الاحترام والاندماج الدستوري عند زعماء الحزب وبخاصة باشتراك الجبهة في الانتخابات البلدية في يونيو ١٩٩٠ ، والانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١ ، كان يصطدم في واقع الأمر بالقطيعة التي تطالب بها القاعدة . إن جزءاً من هذه القاعدة بتشجيع من بعض المرءوسين في الحزب من المهمشين بسبب استراتيجية الانتخابات ، عمد إلى تزويد الجماعات المسلحة بكتائبها الأولى . فبدلاً من صوت الانتخابات الذي " يكمه " الجيش ، حل صوت السلاح الذي أصبح في نظر الفئات الراديكالية المتشددة الإسلامية يمثل " شرعية " جديدة ، الاستراتيجية التي بدأها مصطفى بوبالي .

الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مواجهة السلطة بين التساهل والتشدد :

إذا كان الأمر في نظر عدد من مؤسسي الحزب عند إنشاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا يعدو في البداية سوى تكوين منظمة شرعية تتميز من هذه الناحية ، عن بقية الجماعات الإسلامية السابقة ، فإن الوضع يختلف بالنسبة لعباس مدني ، الذي أعلنها قائلاً : " لقد رأينا ، أنه لكي نواجه ازدياد حدة الأزمة الحالية ، لا ينبغي أن نفصل بين الجانب الثقافي وبين الجوانب الأخرى الاقتصادية والسياسية مما يقنعنا بأن رجل الدعوة الذي لا يهتم بالقضية السياسية والقضية الاقتصادية مصيره الفشل في مهمته [...] إذن ، يصبح من الواضح أن الدعوة الإسلامية لا يمكن لها ، منذ أحداث أكتوبر ، أن تظل

بمنأى عن السياسة والاقتصاد ، وإلا ساء وضعها ^(١) . إذن هناك مفهومان متعارضان فيما يتعلق بعمل الحزب . فبعض المؤسسين يرون أن مجلس الشورى ينبغي أن يعمل طبقاً للمبادئ التقليدية للإجماع والشورى . وإذا كان عباس مدني هو المتحدث الرسمي ، وورد اسمه في طلب الموافقة باعتباره رئيساً للحزب فإن العديد من الأعضاء لا يرون في ذلك سوى مجرد اختيار أحدهم ليتكلم باسم المجموعة . غير أن عباس مدني ، رغبة في تطعيم الجبهة بوسائل عمل حديثة وكذلك رغبة في خدمة طموحاته الرئاسية ، أقدم على التصرف بشيء من الحرية مع القواعد المنظمة للحزب . هذا التصرف كان لابد أن يصطدم بالاختيار الخطابي لرفاقه خاصة وأنه جعل من التعبئة الشعبية "الذراع المسلحة" لطموحاته .

ومن أجل إشباع مشروعاته الرئاسية ، كلن عباس مدني محتاجاً في واقع الأمر ، لحزب قوى . فعمد إلى تحويل الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى "شوكة ضاغطة" تقض مضاجع الدولة ومن يمثلونها . كان هدفه الرئيسي هو الاستيلاء على جميع المستويات والرتب السياسية التي تؤدي إلى الدولة : أولاً البلديات ، ومجلس الشعب الوطني (المنتخب قبل أكتوبر ١٩٨٨) - الذي لم يكف منذ فوزه في الانتخابات في يونيو ١٩٩٠ ، عن مطالبة الرئيس شاذلي بجله ، وأخيراً الرئاسة .

ومنذ عام ١٩٩٠ ورئيس الجمهورية في مواجهة معارضة متصاعدة داخل نفس الحزب الوحيد السابق ، ولكنه لما كان يريد أن يتجنب تدخل الجيش ، فقد كان يتعامل بحكمة مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وفي مقابل ذلك تبنت الجبهة استراتيجية تقضى بقبول التنازلات المقدمة من السلطة ، وفي الوقت نفسه ، بالضغط عليها من أجل الحصول على تنازلات أخرى . واستطاعت الجبهة أن تحصل من شاذلي على وعد بأن يعلن في العشرين من يوليو ١٩٩٠ إجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها في الثالث الأول من العام التالي .

إلا أن أزمة الخليج قضت على الاتفاق المؤقت المنعقد في صمت بين السلطة وبين الإسلاميين بعدم الاعتداء ، فهذه هي الجبهة الإسلامية للإنقاذ أمام وجود قاعدة مؤيدة للعراق ، تجد نفسها مضطرة لنهج سياسة أكثر عنفاً نحو السلطة . ولم يمنع ذلك

(١) مقابلة مع عباس مدني ، نشرت في صحيفة آفاق في الثالث من يناير ١٩٩٠

الرئيس شاذلى ورئيس وزرائه مولود حمروش مرة أخرى من محاولة تقديم ضمانات للجبهة الإسلامية للإنقاذ من أجل استئناف السيطرة على جبهة التحرير الوطنى والتعهد ، من أجل ذلك ، بإقامة الانتخابات التى تطالب بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ منذ عدة شهور .

وبالتوازي مع نشاطه الدستورى ، قام رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ ببذل الجهد، مستخدماً التفاهم تارة والتهديد تارة أخرى ، التفاوض والتأمر ، بالإضافة إلى العنف . وكلها وسائل كانت تشكل فى ذلك الوقت الملامح التكنيكية فى استراتيجية أوسع من أجل الاستيلاء على السلطة ، مع الأخذ فى الاعتبار حجم الضغوط التى على الساحة .

غير أن مهام بن حاج كرئيس للحزب لم تمنعه من الاستمرار فى تفضيل الجهاد كوسيلة للاستيلاء على السلطة . فقد ظل طيلة الفترة الشرعية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بين الوفاء لاختياراته الأولى واحترام ضرورات الوقت الراهن .

فى الثالث من سبتمبر ١٩٩١ ، أى بعد شهرين من القبض عليه ، أصدر بن حاج "رسالة من وراء القضبان" بعنوان : "الصاعدة الفتية من وراء السجون العسكرية" يعرض فيها الدروس المستفادة من خبرته فى رئاسة الحزب ، وبخاصة فترة "الإضراب السياسى" فى مايو ١٩٩١ . وهو فى الواقع يدعو إلى الجهاد المقدس ، ويعود فى ذلك إلى تجربة الإخوان المسلمين ، وبالأذات سيد قطب . ويعتبر أن ما تعرض له الحزب من مصائب إنما هى من قبيل الابتلاء والاختبارات .

فبعد النصر الذى تحقق فى الانتخابات فى يونيو ١٩٩٠ ، أراد الله أن يمتحن الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالقمع الذى تعرضت له فى يونيو ١٩٩١ . وعرج بن حاج على الشهادة فى سبيل الله وذكر الآية الكريمة التى تقول " ﴿ ولا تحسبن الذى قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ . وحذر بن حاج الأمة من "العلماء المزيفين الذين لا يفهمون المعنى الصحيح من آيات القرآن والسنة ، ويظنون أن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تكون مطلوبة إذا كان الوضع يتطلب اتقاء الفتنة ، متعللين فى ذلك بالآية الكريمة ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ .

وفى يناير عام ١٩٩٣ عاد بن حاج ونشر "فتوى شرعية" موجهة إلى القضاء العالى واللجنة العليا للدولة بعنوان "فصل الكلام فى مواجهة ظلم الحكام". مذكراً أن "النضال ضد النظام العسكرى والمادى المتعاون مع الاستعمار هو فريضة مقدسة على جميع المؤمنين الالتزام بها". من أجل الدفاع عن "حرية اختيار الجزائريين" وهو بذلك يشير إلى الانتصار الذى تحقق فى انتخابات ديسمبر سنة ١٩٩٢. وأعلن أنه لو كان مطلق السراح لعمل جنديا تحت إمرة عبد القادر شيبوتى (أحد قادة الجماعات المسلحة فى ذلك الوقت) ثم تعرض لفلسفته فى ممارسة السلطة وتنظيم السلطات فى الدولة الإسلامية.

وفى الفصل الثانى من الرسالة تعرض بن حاج لقواعد النظام السياسى فى الإسلام فى اختيار الحكومة. وعدّد صفات الدولة الإسلامية التى تعتمد فى شرعيتها أولاً على مبدأ الشورى، التى يعدّ التعدى عليها موجباً لعقوبة القتل الذى يستحقه "حكام البلاد العربية الذين استولوا على السلطة أحياناً بالمكر والدهاء، وبالقوة فى أغلب الأحيان". وانتهى بن حاج إلى الإشارة إلى النظام السياسى الجزائرى حيث الإدارات مراقبة، وحرية الصحافة غائبة، وتصفية الخصوم السياسيين عن طريق ترويع الشائعات شىء عادى.

وواضح أن البعد شاسع بين هذه التحليلات وبين أحاديث عباس مدنى الذى يحاول دائماً أن يطمئن الرأى العام عن نوايا الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى حالة استيلاء الحزب على السلطة.

ومع ذلك فإن التقشف الذى كان يدعو إليه بن حاج يتعارض مع البذخ والرفاهية عند مدنى. فبينما يعلن مدنى عن مظاهر الثراء الذى يعود إلى ما يتلقاه الحزب من دعم مادى من المساندين له، ينتقل بن حاج فى سيارة قديمة بالرغم من محاولة خلصائه أن يوفروا له سيارة حديثة. والحقيقة أن الرجلين كان يحاول كل منهما أن يقوم بالدور المنوط به والذى يتواءم مع اتجاهاته وميوله، فبينما يقوم مدنى بدور اللطف بما فى ذلك مع العالم الخارجى، يقوم بن حاج بإثارة الجماهير وبخاصة فى موضوع استقلال المجتمع الجزائرى عن الخارج. وهذا ما تجلّى بوضوح خلال حرب الخليج.

حرب الخليج :

حينما اندلعت حرب الخليج فى السابع عشر من يناير ١٩٩١ ، بدأت مباراة (برادى فير) ، (رست) تجرى بين الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبين السلطة . فالحزب الإسلامى أدرك أن وضعه غير المريح حيال الصراع يضعف موقفه كثيراً . لذلك فقد دعت الجبهة إلى مقاطعة البضائع التى تنتجها دول التحالف (إعلان فى السابع عشر من يناير ١٩٩١) وطالب مناضلوها بالقيام بالتدريبات العسكرية والاستعداد لعمليات الإنقاذ والتبرع بالدم . وكان موضوع التبرع بالدم مادة لجدال عاصف بين الجبهة وبين الصليب الأحمر الجزائرى الذى اتهمه عباس مدنى ، بغير حق ، بأنه نقل إلى فرنسا كميات الدم التى جمعها من أجل العراق ... ومن ناحية أخرى ، فقد اتهمت الجبهة الإسلامية الحكومة الجزائرية بـ " بيع البرامج التليفزيونية " غير اللائقة بالظروف " وتصدير البترول والغاز " إلى البلاد المتواطئة فى الاعتداء على الأمة الإسلامية " (إعلان الثامن عشر من يناير ١٩٩١) .

كان ثمة ثلاثة توجهات متعارضة داخل إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ : فإذا كان بعض الأعضاء يميلون إلى إعلان حياد حذر ، فقد كان الآخرون ، على النقيض من ذلك ، مصريين على مساندة العراق ، كما ينادى بذلك غالبية الرأى العام الجزائرى الذى يرى فى صدام حسين صورة جديدة من صلاح الدين يتقدم للاستيلاء على بيت المقدس ؛ أما الفريق الثالث ، الذى كان حريصاً على عدم فقدان العون السعودى ، فقد كان ينادى بإدانة الغزو العراقى من جانب صدام الذى وصف بأنه " هدام " . أما عباس مدنى فقد أعلن فى بداية الصراع موقفاً معارضاً للعراق . ففى حديث صحفى له مع جريدة " المسلمون " أعلن قائلاً : صدام حسين طاغية ، وعلية أن ينسحب من الكويت . ونحن نرفض الربط بين احتلال الكويت وبين القضية الفلسطينية ومع ذلك ، فقد ظهر فريق من إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ أعلن الاستعداد للقيام بدور الوساطة فى الصراع وتعهد بمساندة العراق بعد نزول القوات الأمريكية فى السعودية .

وأضطر عباس مدنى ، الذى جاءت تصريحاته المناهضة للعراق لتضعه فى موقف حرج مع القاعدة السياسية فى الحزب ، إلى تغيير موقفه بالتدريج وخاصة عندما أعلن

قرار مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم ٦٧٨ تفويض دول التحالف باللجوء إلى القوة لتحرير الكويت . وتلقى الجزائر بذعر شديد خبر القصف الأمريكي للعراق الذي وصفته الجبهة الإسلامية للإنقاذ بأنه " جريمة ضد الأمة الإسلامية جمعا " .

وفي اليوم الثامن عشر من يناير ١٩٩١ ، ارتدى على بن حاج الزي العسكري وذهب إلى وزارة الدفاع وسلم وزير الداخلية عريضة يهاجم فيها " النظم التي تشتري السلاح لكي تحارب الشعوب " وطالب بفتح معسكرات التدريب وتوزيع السلاح على المتطوعين للدفاع عن العراق ، وكذلك حل مجلس الشعب الوطني على الفور . وبذلك نجد موقفاً راديكالياً في خطاب الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي تهاجم السلطة مباشرة وتعلن عدم شرعيتها ، وتحمل على الجيش الذي تؤكد أنه عاجز عن تأمين سلامة البلاد . وسرعان ما جاء رد الرئيس شاذلي من خلال خطاب أمام البرلمان في الثالث والعشرين من يناير ١٩٩١ ، يندد فيه بتصرفات الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفي اليوم الحادي والثلاثين نظمت الجبهة مسيرة ثانية - رداً على الخطاب الذي أذاعه التلفزيون للرئيس شاذلي ، وهاجم فيه أولئك " الذين يناولون من سيادة الجزائر " . وخلال المسيرة ، سمعت الهتافات التي تقول . شاذلي عدو الله ! وتدعو إلى إقامة دولة إسلامية .

ولم يحصل قرار مساندة العراق على موافقة أغلبية أعضاء مجلس الشورى في الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وكذلك بالنسبة لإرسال متطوعين جزائريين إلى العراق . وسافر عباس مدني وعلى بن حاج منذ الأيام الأولى للأزمة إلى السعودية ثم إلى العراق ، ويبدو أن على بن حاج في تلك الأثناء أوقف قرار إرسال المتطوعين . وبصفة عامة ، فإذا كان بعض المتطوعين قد سافروا إلى حدود العراق استعداداً للتدخل ، فعندما انتهى تدريبهم ، كانت الحرب قد وضعت أوزارها .

الإضراب المقدس ، مايو ويونيو ١٩٩١

يأخذ " المؤسسون التاريخيون " للجبهة الإسلامية للإنقاذ على عباس مدني أنه يريد أن يضم إلى اللجان الإدارية للحزب عناصر شابة من المتعلمين ممن يعتنقون نظرياته وأراءه . وقد بدأ التوتر الأول في يونيو ١٩٩٠ خلال المؤتمر الثاني للدعوة

(نُظِّمَ تحت رعاية الرابطة) . وكانت سنة ١٩٩٠ قد بدأت بعلاقات ساخنة بين الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبين الجزائر. ففي فبراير قام الشيخ سحنون ، رئيس فرع الرابطة ، وهي جمعية في أغلبها " جزائرية " بإعلان بيان يدعو فيه الجبهة إلى إلغاء المسيرة التي حددت لها يوم العشرين من أبريل . وفي يونيو تحسن المناخ . وبحثاً عن دماء جديدة من الدعاة من نوى الخبرة السياسية ، وكذلك لديهم الاستعداد للوفاء لشخصه وفلسفته ، عمد عباس مدني إلى طلب توسيع مجلس الشورى في جميع توجهات الرابطة . فرفض كل من عبد الله جاب الله ومحفوظ نحناح . أما محمد سعيد فقد قبل مع توجيه النقد العلني لطريقه العمل " الفوضوي " في الحزب ، وكذلك فقدانه لبعده النظر والتطلعات المستقبلية . هذه الجراة من جانب محمد سعيد أثارت ضده عباس مدني ، ولكن ذلك لم يمنعه من الاشتراك في لجان الحزب الإدارية . لكن الصعوبات جاءت من ناحية أخرى . فقد تقدم تسعة أعضاء من مجلس الشورى ، يمثلون أغلبية المكتب التنفيذي للجبهة الإسلامية واعترضوا على دخول الجزائريين .

وكان إضراب يونيو ١٩٩١ ، الذي لم يكن الجزائريون مبرئين منه ، شرارة الأزمة التي تستعر منذ شهور . أما التسعة المعترضون ، فقد اتهموا مدني بأنه يريد أن يمهّد الطريق للجزيرة . ورأى " المنشقون " ، فضلاً عن ذلك ، أن الالتجاء إلى الإضراب الذي كان هدفه الرئيسي ، في نظرهم ، تدعيم طموحات مدني الشخصية، يهدد في حالة المواجهة مع السلطة ، بتدمير شعور التعاطف الذي تكنه الجماهير للحزب .

في هذه الظروف ، لم يكن خلاص مدني ليتحقق إلا في ظل الدعوة إلى انتخابات رئاسية قبل الموعد ، وهو القرار الذي أصرّ على انتزاعه بأى ثمن من الرئيس شاذلي .

وتحدد يوم الثالث والعشرين من مايو موعداً للإضراب العام ، بعد اجتماع عاصف لمجلس الشورى ، ولم يسمح لرئيس الحزب إلا بثلاثة أيام إضراب .

واعتماداً على المبدأ - الخطأ - بأنه بعد محنة أكتوبر ١٩٨٨ ، لا يمكن للجيش أن يسمح بفتح النار مرة أخرى على الجماهير ، كانت الخطة بسيطة : تأكيد تصميم الحزب واختبار ردود فعل العسكريين ليتبين إلى أى مدى يمكن الذهاب بعيداً . كان هناك فريق من قوات الأمن يشجع مدني في هذا الطريق ، مزيئاً له أن الرئاسة

باتت قريبة منه ، وهم بذلك يدفعونه إلى الخطأ ، وفي الوقت نفسه تجريد صلاحيات رئيس الوزراء .

وظهر الإضراب في شكل العصيان المدني مما أدى إلى مصادمات بين المتظاهرين الإسلاميين وقوات النظام . وإذا كان الإضراب لم يجد صدًى في بادئ الأمر في صفوف العمال ، فإن تعطيل الأعمال لم يلبث أن أصاب بالشلل جانباً من النشاط الاقتصادي في العاصمة الجزائرية . وبينما زعماء الحزب يكررون الدعوة إلى الهدوء ، وبينما مدنى يحاول كبح جماح المناضلين الشبان ، اتجهت المظاهرات وجهة أخرى وجعلت من الجزائر العاصمة ساحة معركة . فقد تدفق على ميدان الشهداء جماهير من البسطاء الهائجين دفاعاً عن الدولة الإسلامية . وبدأ أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ أصبحت مهيمنة على المدينة ، في حين أن السلطة أعطت الشعور بأنها أصبحت شاغرة على حين فجأة . وبدأت الوساطات الطيبة . وقامت الرئاسة والحكومة والجيش بإرسال مبعوثيهم من أجل التفاوض والاتفاق على خروج " مشرف " لمختلف أطراف الحكومة .

وفي التاسع والعشرين من مايو التالى استقبل مولود حمروش كلاً من عباس مدنى وعلى بن حاج اللذين طالبا ، بالإضافة إلى إلغاء قانون الانتخابات ، بعقد انتخابات رئاسية مبكرة فى أقرب فرصة ممكنة . وتم الاتفاق شفاهة على السماح لمناضلى الحزب الإسلامى باحتلال أربعة ميادين عامة فى العاصمة . وفى الوقت نفسه ، بدأت تسمع أصوات أقدام فرق الجيش ، ولم يغب ذلك عن مدنى الذى هدد الجيش ، فى حالة حدوث انقلاب ، أن يعلن الجهاد . وجاء نور عبد العزيز بلخادم رئيس الاتجاه الإسلامى فى مجلس الشعب الوطنى ، بالقيام بدور الوساطة بين رئاسة الجمهورية والجبهة الإسلامية للإنقاذ . وتم عزل مولود حمروش ليلة الرابع من يونيو وتعيين سيدى أحمد غوز . وأعلنت حالة الطوارئ .

وبدأت قوات النظام تتدخل بعنف من أجل تفريق المتظاهرين . وعاشت العاصمة ليلة عصبية . وسقط العديد من القتلى والجرحى . ولم تستلم ميادين الشهداء وأول مايو إلا بعد مقاومات شرسة . وانتصر الجيش . وتلاحقت الأحداث واتخذت وجهة فى منتهى العنف .

وطبقاً لبيان رسمي أسفرت المصادمات عن ٨٤ قتيلاً و ٤٠٠ جريح . أما الجمعية الجزائرية للدفاع عن حقوق الانسان ، فقد أحصت ٥٠٠ قتيل . وقام مدني وأعضاء مجلس الشورى المخلصون له بتحرير بيان من اثنتين وعشرين نقطة يتضمن مراحل التمرد العام . فبعد فشل سياسة التفاهم ، تحول مدني ورفاقه إلى استراتيجية العنف ، ودعوا المتظاهرين إلى خرق قرار وقف إطلاق النار وتنظيم صفوفهم في الأحياء من أجل مقاومة قوات النظام ، وإقامة متاريس على الطرق ومداخل مدينة ، والاعتراض بالقوة على القبض على المناضلين . كما طلب منهم في حالة القبض على إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، باختطاف شخصيات مهمة وتشكيل جماعات تقوم بمهاجمة " النقاط الاستراتيجية للعدو " ، ثم الالتجاء إلى الأقاليم المحيطة والتحصن في الأحرار . وفي السابع من يونيو ، توصل رئيس الوزراء الجديد إلى اتفاق مع عباس مدني وعلى بن حاج يقضى بأنه في مقابل الوعد بإقامة انتخابات تشريعية " نظيفة وشريفة " وتنظيم انتخابات رئاسية قبل الموعد ، يدعو الزعيمان إلى وقف الإضراب . وأدرك مدني بعد ذلك أنه خدع وأن قوات الأمن لن تفتح له أبواب الرئاسة ، وهدد بالدعوة إلى الجهاد . ودعا على بن حاج إلى خرق وقف إطلاق النار . وسقط الجرحى الذين تدفقوا على المستشفيات . وفي الخامس والعشرين من يونيو وفي بث مباشر للتلفزيون ، أعلن ثلاثة من إدارة الحزب إدانتهم لتصرفات رئيسهم . هذه " الإهانة " أودت باثنين منهم إلى الإقصاء عن الحزب . أما الثالث فقد تجمدت نشاطاته في مؤتمر الباتنة . وفي الثامن والعشرين من يونيو ، وبتشجيع من القاعدة ، أعلن مدني إنذاراً إلى الجيش بالجلء عن المدن في ظرف أربع وعشرين ساعة . وانتهت المهلة ، فأعلن الجهاد . وفي النهاية ، وفي ظروف غامضة ، تم القبض على بن حاج وعباس مدني مع خمسة أعضاء آخرين من مجلس الشورى .

ويرى البعض أن أحداث مايو ويونيو ١٩٩١ ما هي إلا تجربة (بروفة) عامة لانقلاب يناير ١٩٩٢ . فإذا كان القصد منها هو دفع الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الوقوع في الخطأ لقمعها بعد ذلك ، فقد كان من المفيد أيضاً التخلص من رئيس وزراء مزعج ورئيس دولة ثبت أنه عاجز عن التعامل مع " التهديد الإسلامي " .

مؤتمر باتنه (٢٥ - ٢٦ يوليو ١٩٩١)

«ثورة مآذن»

حينما أصبح عبد القادر حاشاني مسئولاً عن لجنة الشؤون السياسية في الحزب ، بعد القبض على مدني وعلى بن حاج ، قرر في مطلع شهر يوليو ١٩٩١ الدعوة إلى مؤتمر وطني بهدف دعم الجبهة الإسلامية للإنقاذ بإجراء مؤقت والعمل على ألا يقع الحزب في أيدي ذوى الاتجاه المعادي لمدني .

وفي إعلان موقع من اللجنة السياسية للمكتب التنفيذي الوطني بتاريخ ٢ يوليو ١٩٩١ ، أكد حاشاني أنه مع محمد سعيد مستودع توجيهات عباس مدني قبل القبض عليه . وطبقاً لتعليمات مدني ، فإن على الجبهة مواصلة عملها وهو المنافسة السياسية " بطريقة شرعية وعلنية " . بالإضافة إلى ذلك يرجو مدني في " وصيته " أنه في حالة القبض على الرئيس أو قتله ، فإن على رؤساء المكاتب التنفيذية الإقليمية وأعضاء مجلس الشورى (الأوفياء منهم) أن يجتمعوا لاختيار إدارة جديدة . وقد ألقى الموقعون بمسئولية أحداث مايو ويونيو كاملة على النظام الذي يحذرونه من " مواصلة القمع الذي سيجعلنا عاجزين عن ضبط النفس وكنم غضب تخشى نتأجه على البلاد " .

وفي الثالث من يوليو ، وفي مسجد وادي قريش طمأن محمد سعيد القاعدة التي ظلت وفية " لخط " مدني ، بأن كل شيء في الجبهة سوف يستمر كما كان في الماضي . وتحدد السابع من يوليو موعداً لعقد مؤتمر الباتنه .

وفي نفس اليوم السابع من يوليو ، وبعد القبض على محمد سعيد ، تولى عبد القادر حاشاني مهمة تطهير الحزب . ورغم حداثة معرفة القاعدة به فقد أصبح مألوفاً لها ، كما أصبح المسئول الوحيد عن التفاوض مع السلطات .

في العشرين من يوليو ١٩٩١ حمل حاشاني على موقف النظام الذي " لم يتردد في نشر بذور التفرقة والشقاق بين من تبقى من إدارة الجبهة " . والتلميح واضح ، ويقصد أعضاء مجلس الشورى الذين استسلموا لفتنة تصفية الحسابات تحت أنظار السلطات وبموافقتها . والحقيقة أن سعيد جيشي ("مؤسس تاريخي" والمعارض الأساسي لمدني)

حاول أن يجمع المنشقين أو الخارجين في المجلس الاستشاري المعادين لعباس مدني ، الأمر الذي أفقدهم أسهماً أكثر في نظر المناضلين . ودعا حاشاني إلى تأكيد " الثقة " في أعضاء مجلس الشورى الوطنى وأعضاء المكاتب الإقليمية الذين سيجمعون في الخامس والعشرين من يوليو في باتنه .

وتمكن حاشاني بمهارته السياسية من تسوية بعض المشكلات في الجبهة والتوفيق بين بعض الأعضاء . وبعد التغلب على هذه المشكلات ، أصبح كل شيء جاهزاً لانعقاد المؤتمر . وتم تعيين حاشاني متحدثاً بلسان الجبهة .

وبصفة عامة فتح مؤتمر باتنه مرحلة جديدة في تاريخ الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهى الإجماع على تأييد عباس مدني بالرغم من سجنه ، وذلك بفضل مجموعة من الحرس الشبان ، " أطفال السياسة " كما سيمسهم أحد المؤسسين التاريخيين ، والذين سوف يعبرون عن طموحاتهم السياسية بكل حرية من الآن فصاعداً .

طريق صناديق الانتخابات :

ولكن لابد من جعل الحزب يقبل المشاركة في الانتخابات التشريعية المقرر عقدها في أواخر ديسمبر ١٩٩١ . وقرار المشاركة في الانتخابات لم يحصل على إجماع الإدارة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ التى لجأ بعض أعضائها إلى المقاطعة .

وقام رئيس الوزراء الجديد سيدى أحمد غوزالى ، بدعوة الأحزاب السياسية للقاء يعقد يومى الثلاثين والحادى والثلاثين من يوليو ١٩٩١ ، بهدف الإعداد للانتخابات التشريعية .

هذا اللقاء كان يرمى في تفكير الحكومة إلى التقليل من تأثير الجبهة الإسلامية للإنقاذ وذلك عن طريق اللعب بالانشقاقات التى حدثت فيها خلال الأعوام الماضية . وقامت إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ التى أسفر عنها مؤتمر باتنه بتنظيم اجتماع فى التاسع والعشرين من يوليو للنظر فى جدوى المشاركة أو عدم المشاركة فى اللقاء . البعض رأى الامتناع بسبب القبض على قادة الجبهة فى حين رأى الآخرون أن الإدارة التى أسفر عنها اجتماع " بليدا " هى المؤهلة وحدها لتمثيل الحزب . بينما اقترح فريق

ثالث حضور اللقاء دون الكلام . ثم الانسحاب . وفى النهاية أيد مجلس الشورى قرار المقاطعة . وبالرغم من هذا القرار ، فقد ذهب بعض المنشقين بصفة شخصية إلى اللقاء .

وعشية اللقاء الثانى بين الحكومة والأحزاب فى الثانى والثالث والعشرين من أغسطس ، تعرضت وحدة الجبهة الإسلامية للإنقاذ للاختبار مرة أخرى . فبينما رأت الإدارة الجديدة عدم المشاركة ، فإن أبو بكر بلقايد ، الوزير المفوض فى علاقات مجلس الشعب الوطنى والأحزاب ، أعلن بعد استقباله لبعض الأعضاء المؤسسين للجبهة ، أن الحزب قرر المشاركة بشكل أو بآخر فى اللقاء .

وتم عقد لقاء ثالث بمبادرة من وزير الداخلية فى أكتوبر عام ١٩٩١ . وكان عبد القادر حاشانى قد تم القبض عليه ، ولذلك قررت إدارة الجبهة عدم المشاركة .

وقد حاول أعضاء مجلس الشورى المستبعدين استئناف المبادرة بين يونيو ويوليو ١٩٩١ ، ولكن بدون جدوى . غير أن هذه السياسة تحطمت تماماً بعد القبض على عبد القادر حاشانى وأسرع رياح كبير الذى خلفه ، بعقد مؤتمر ثان للبلديات الإسلامية . وعقد المؤتمر فى الثانى والثالث من أكتوبر ١٩٩١ . ومنذ أول اجتماع للجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد رفع حالة الطوارئ ، فى الرابع من أكتوبر ، انهالت القاعدة عليهم بالصياح والهتاف : " الخونة ! الخونة ! " . وتبخرت آخر آمال المنشقين حينما تمكن نائب رئيس المكتب التنفيذى بعد بضعة أيام من المفاوضات ، من الحصول من العديد منهم على وعد بالمصالحة والعودة إلى صفوف الجبهة .

واستحكمت القطيعة حلقاتها نهائياً مع اقتراب المشاورات الانتخابية التى أيدت دخول نخبة التقنيين للحزب . وفى التاسع عشر من ديسمبر . قام " المؤسسون التاريخيون " بنشر إعلان يدعون فيه إلى مقاطعة الانتخابات التشريعية ، ويدعون المؤمنين إلى الأخذ برأى علماء الدين " حتى لا يتغلب الجانب السياسى على الجانب الدينى " .

وعندما تم إطلاق سراح عبد القادر حاشانى فى أواخر أكتوبر ١٩٩١ ، بعد شهر فقط من الحجز ، حاول الرجل التوفيق بين مختلف الاتجاهات منعاً لأية أزمة أخرى

يمكن أن تضعف الجبهة الإسلامية للإنقاذ أثناء الانتخابات التشريعية . لذلك اجتهد أن تكون قراراته بموافقة الجميع . دليل ذلك الطريقة التي حسم بها الجدل حول مشاركة الجبهة في عملية الانتخابات . والحقيقة أن اقتراب الانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١ ، والسيطرة المزعومة للجزيرة على إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان موضوع معارضة مفتوحة . لأنه إذا كان الجزائريون يؤيدون المشاركة ، فإن "المؤسسين التاريخيين" ، على النقيض من ذلك ، يميلون إلى المقاطعة . خاصة وأنهم يأخذون على الإدارة أنها استبعدتهم من القوائم الانتخابية لصالح " التقنيين " . وفي النهاية ، تمكن عبد القادر حاشاني من الحصول على موافقة الجميع ، بالرغم من وجود قاعدة مناضلة طالبت في الاجتماعات : " بدولة إسلامية بلا تصويت " ، ولم يكن ذلك قبل الضغط على السلطة لإطلاق سراح القادة المسجونين .

في الرابع عشر من ديسمبر ١٩٩١ ، قرر مجلس الشورى الاشتراك في الانتخابات التشريعية ، وقبل أيام من بداية الانتخابات ، تلقى حاشاني تأكيدات من الرئاسة تقول: " نعم ، سنحترم نزاهة الانتخابات ؛ ولكن ، لن يتنازل شاذلي عن ترشيح نفسه " . واعتماداً على ثقتهم بأنفسهم التي بلغت حد السذاجة ، تعهد حاشاني ورفاقه بعدم المطالبة بانتخابات رئاسية مبكرة بشرط التصديق على امتياز مرشحهم بعد الاقتراع . لن تتاح الفرصة للرئيس شاذلي ! ... لقد عزل الجنرالات الرئيس شاذلي عن قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو العزل الذي يفسر الحرج الذي وقعت فيه إدارة الحزب على أثر الانقلاب .

وفي السادس والعشرين من ديسمبر بلغت الأصوات التي حصلها الحزب ثلاثة ملايين ومائتين ، أي بنسبة سبعة وأربعين في المائة من الأصوات المشاركة في الانتخابات ، وهو بذلك يقترب من الأغلبية المطلقة بحصوله على مائة وثمانية وثمانين مقعداً من بين الثلاثمائة والثلاثين مقعداً . وبدأت إدارة الحزب تطمئن الرأي العام الوطني والعالمي عن نواياها المستقبلية ، وذلك بالرغم من التصريحات المثيرة التي كان يعلنها محمد سعيد يدعو فيها الجزائريين والجزائريات إلى " الاستعداد لتغيير عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بالملبس والمأكل " .

وفى الثانى عشر من يناير ، التقت إدارة الحزب الشابة بعبد العزيز بلخادم رئيس التوجه البربرى فى جبهة التحرير الوطنى الذى أبلغ حاشانى ورفاقه بكل مجلس الشعب الوطنى . وتبخرت آمال الذين كانوا يعتقدون أنهم سيصلون بسلام إلى رأس الدولة . ولم تسفر عن شىء محاولة عبد القادر حاشانى الالتقاء بكل من حسين على أحمد (جبهة القوى الاجتماعية) وعبد الحميد مهرى (جبهة التحرير الوطنى) بهدف تجنب لجوء الجبهة الإسلامية للإنقاذ صبيحة الانقلاب الذى وقع فى الحادى عشر من يناير . إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ صبيحة الانقلاب الذى وقع فى الحادى عشر من يناير . وفى السابع عشر من يناير أذيع بيان يدعو الجيش لحماية " المشروع الإسلامى " وهذا يعنى بالنسبة لعبد القادر حاشانى أن يودع السجن مرة أخرى . وكان من الطبيعى أن يرأس رباح كبير الحزب وأصبح المتحدث بلسانه . ولكن رئاسته لم تدم طويلاً ، حيث تم القبض عليه هو أيضاً فى مطلع فبراير .

كان القبض على حاشانى وكبير مبعث سعادة لخصومهما فى الحزب الذين كانوا يعارضون اختبارهما وتصرفاتهما . لكنه أيضاً أَرْضَى " صقور " السلطة الذين وجدوا الفرصة مناسبة للتخلص من الفئة التى من المحتمل أن تتولى السلطة محلهم ، وذلك بالتخلص " شرعياً " من المعارضة الإسلامية .

التيوقراطيون (الحكومة الإلهية) أو ثورة التطهير

بعض الكوادر في الجبهة الإسلامية للإنقاذ منها ما ينتمى إلى قطاعات تقليدية أو بعض فئات مهمشة من المجتمع كانوا يشعرون بحقد دفين نحو " التقنيين " الذين حصلوا على نصيبهم في الترقى الوظيفى فى الوقت الذى كان الحزب يسعى فيه إلى الاستيلاء على السلطة عن طريق الانتخابات . وهم إذ يرفعون لواء شرعية حصلوا عليها فى الغالب داخل سجون الدولة ، حتى لو لم يكونوا جميعاً أهملوا دراستهم الجامعية ، إلا أنهم يعبرون عن حركة إسلامية عامية أو سوقية مؤمنة بضرورة إقامة الحكومة التيوقراطية . وفى رأيهم أن المقدرة على سياسة الناس تقاس بدرجة الإخلاص للجماعة ، أكثر مما تقاس بالمؤهلات والاستعدادات التقنية الخاصة .

والتيوقراطية ودعاة الحكومة الإلهية فى الجزائر يصفهم بعض التقنيين بأنهم حلف المعدمين وهم يستخدمون عناصر ، هى فى الواقع غير متجانسة ، إلا أن ما يربط بينها هو الريبة المشتركة وعدم الثقة فى النخبة التقنية التى تمكنت شيئاً فشيئاً من السيطرة على جهاز الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وهى لا تنفك تغذى حقدتها على هذه الطبقة لتواطئها المستتر مع النظام الذى اهتم منذ عام ١٩٨٨ بتوسيع قاعدته بنخبة المهمشين من خريجي المعاهد . والتيوقراطيون ، إذ يتألقون من " مؤسسين تاريخيين " للحزب ، وفى الوقت نفسه طائفة من الجيل الجديد من المناضلين ، فهم يشكلون " طليعة " نذرت حياتها لإقامة دولة إسلامية يكونون حراساً عليها .

«المؤسسون التاريخيون» للحزب :

أكبرهم سنًا يتميزون بأنهم ولدوا بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ وينتمون بالتالي إلى الجيل نفسه في جبهة التحرير الوطني ، الذين شاركوا في إقامة الدولة - الوطن الجديدة . وهم إذ يفتقرون إلى ما يؤهلهم للدخول في جهاز الدولة الذي تحتكره نخبة " المتغربين " المطعنين بعلماء الدين الرسميين ، ينددون دومًا بالطابع الأجنبي المستورد الذي يغلب على المؤسسات والقوانين ، ويدعون إلى تطبيق كامل للشريعة الإسلامية .

وهم إذ تأثروا بالحركة الاشتراكية على المستوى السياسي في إطار وطنية يرون أنها حادت عن هدفها الأساسي ، فقد بادر المؤسسون التاريخيون في الجبهة الإسلامية للإنقاذ مبكرًا بتنظيم مقاومتهم للنظام الجديد . وإذا كانوا لا يعارضون وجود الدولة - الوطن في ذاتها ، فهم في المقابل يحملون على إطارها التاريخي واختياراتها الاشتراكية . من ذلك أن أحدهم ، وهو أحمد ميرني ، يرى أنه لكي تفهم الحركة الإسلامية " ينبغي أن نتذكر أن " الشعب الجزائري مسلم وأن الحركة الإسلامية ظهرت عام ١٩٣١ مع بن باديس ، ثم اختفت عام ١٩٥٤ ، والتحقت بجبهة التحرير الوطني ، ثم ظهرت عام ١٩٦٣ بإنشاء جمعية القيم ، لأن الجزائر قامت بثورتها لكي تصل إلى دولة جزائرية تقوم على الإسلام " . ومع ذلك فإن " الدولة الجزائرية بعد الاستقلال أصبحت عاجزة عن القيام بهذه المهمة ، وذلك بسبب الإهمال الذي أصاب الإسلام . إن الدولة لم تعمل شيئًا لكي تعلم الشعب الجزائري تعليماً إسلامياً " ، ومن ثم كان " ظهور أناس يعرفون العلوم ويريدون أن يعلموا الناس ما هو الإسلام " (١) . لذلك فهم يتوجهون بمطالبهم إلى الدولة التي كانوا ينتظرون منها أن تعلم الناس قيم الإسلام ، وأن تتخلى عن " البلايين المستوردين " وهما الشيوعية والعمالية . وعلى شاكلة وعاط جمعية الإخوان المسلمين المصرية ، جعلوا من الخطبة الأداة المثلى للبناء الأخلاقي للناس .

وإذا كان بعضهم قد اقتصر على الخطبة والعمل الاجتماعي ، فقد حاول البعض الآخر القيام بأعمال أكثر راديكالية . لذلك فقد انضموا إلى قادة الجيل الجديد ،

(١) مقابلات صحفية في الجزائر العاصمة بين يناير ١٩٩٢ وفبراير ١٩٩٣

مما يفسر أنه منذ إلغاء عملية الانتخاب حاولوا التوسط بين النظام وبين الجماعات المسلحة . وإن مساعيهم في هذا الصدد لتدل على اهتمامهم الدائم بانتحالهم صفة علماء الدين . وبهذه الصفة دأبوا عدة مرات على إصدار بيانات ونداءات من أجل المصالحة الوطنية .

أدت العجلة التي يتحرك بها عباس مدني في سباقه للاستيلاء على السلطة ، بأى شكل ، إلى الاصطدام بالاختيارات الخطيبة والتدرجية ، ومن ثم كان صدامهم قبل مؤتمر باتنة ، ثم أثناء المؤتمر ، بالحرس الشبان وإقصائهم من جانب الحزب .

ويعد أحمد ميرني ممثلاً لهذا الجيل بفضل الطريقة التي مزج بها بين العمل الخطابي والعمل الاجتماعي ، وكذلك المسؤوليات التي مارسها زمناً في قيادة الحركة الإسلامية للإنقاذ . وينتمي أحمد ميرني إلى الجيل الأول من الوعاظ السلفيين المؤسسين للحزب الإسلامي . كان أجداد ميرني الأربعة من القبائل في مدينة ياكورين (مقاطعة تيزي - أوزو) حيث ولد عام ١٩٤٨ . كانت نشأته البربرية وراء اعتزازه بنفسه الذي جعل منه مدافعاً صعب المراس عن " الأمازية " . غادر مسقط رأسه عام ١٩٥١ إلى العاصمة الجزائر ليشب فيها ، وحيث كان أبوه يعمل في تجارة الفواكه والخضراوات . وكان قد استقر بها قبل الحرب العالمية الثانية . وحتى عام ١٩٥١ ، كانت أمه تنتقل كثيراً بين العاصمة وبين ياكورين . وقررت العائلة في تلك الفترة الاستقرار في العاصمة . وكبرت الأسرة وأصبحت تضم ثمانية أبناء كانوا يلعبون في حارات تلملي . غير أن القصة بأزقتها هي التي كانت مصدر سعادة أحمد ميرني . وإذا كان يحدد أصله بمدينة ياكورين ، فإن القصة في الجزائر العاصمة هي التي أحسنت استقباله بحيث أصبح وإلى الأبد ، أحد أبنائها . من سن الخامسة حتى العاشرة كان يتردد على المدرسة الإسلامية في الحي ، حيث كان يدرس القرآن وعلوم العربية من الخامسة حتى الثامنة مساءً بما في ذلك يوم الأحد . ومن سن العاشرة حتى العشرين ، لم يتلق أحمد أى تربية إسلامية خاصة ، وانقطع عن المسجد كرهبة والده إلا في القليل النادر . ولم يعد إليه إلا في سن العشرين . يقول في ذلك معتذراً : " كانت تلك فترة المراهقة . كنت كغبرى من الشبان ، أدور في دوامة الشباب . أرتكب

الحماقات التي يرتكبها أمثالي . وعلى حين فجأة ، عدت إلى رشدي ، وقلت في نفسي . إن هذا الطريق لا يفيد وينبغي أن أغيره . وعاهدت نفسي على إقامة الصلاة (١) .

وأصبح أحمد ميرني مزوداً بحصيلة ضخمة من علوم الدين من دروس المساء في المساجد الأهلية . وفي عام ١٩٧٢ ، ألقى أول دروسه في مسجد وادي قريش في القصبة . وفي العام نفسه لقي أحمد ، مع صديق له تاجر في الحي ، بعض الحجاج القادمين من المغرب وباكستان وسوريا . وتعلما منهم سنة الرسول (ﷺ) والتوحيد . وخرج أحمد وصديقه مع هؤلاء الحجاج وتنقلوا في المساجد وعادوا من جولاتهم مقتنعين بأن الخروج للتبليغ قد ولد في الجزائر (٢) . ومع ذلك فإن تمسك أحمد ميرني بالتبليغ لم يتجاوز عام ١٩٧٦/١٩٧٥ حيث حدثت القطيعة التي لم يكن من الممكن تجنبها .

يقول أحمد ميرني : " كنت في الدروس التي أقوم بإلقائها أوجه النقد للسياسة ، ولم يكن ذلك يروق لجماعة التبليغ . فخيروني ، فتركت جماعتهم وانفصلنا " .

هذه المحنة تفسر ضعف عدد المقلبين على التبليغ في الجزائر . ومنذ عام ١٩٧٠ وعلى أثر ظهور جماعات من الشباب مزودة بحصيلة من علوم الدين (صحيح أنها قليلة ، لكنهم يرون أنها كافية لمطالبة النظام بتطبيق كامل للشريعة) ، تم تهميش جماعة التبليغ المتمسكة بالانصراف عن السياسية وعدم الخوض فيها .

فيما يختص بالدراسة ، لم يكن أحمد من المتفوقين . وقد ظل يذهب إلى المدرسة حتى السنة الرابعة المتوسطة . ثم انصرف عن الدراسة في سن الثامنة عشرة . وفي عام ١٩٦٧ بحث عن وظيفة وعمل في الشركة الوطنية للنقل . وسرعان ما تركها كما ترك ثمانى شركات أخرى عمل فيها بالتوالي بعد ذلك . ولما كان أحمد من نوى الثقافة العربية ويتحدث بالفرنسية كما يتحدثها أبناء جيله أصبح في عام ١٩٨٥ يشغل أحد

(١) مقابلات صحفية في الجزائر العاصمة بين يناير ١٩٩٢ وفبراير ١٩٩٣

(٢) الخروج هو إحدى ممارسات جماعات التبليغ . وهي عبارة عن "خروج" أو تجوال بطول أو يقصر ، يتخلص خلاله المريد من مشاغله المادية ليكرس حياته تامة للعقيدة والدعوة لها . وقد تم حل هذا التنظيم صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢

الكوادر في معهد باستور بالجزائر العاصمة . لكنه ترك هذه الوظيفة التي لم يعد نشاطه السياسي يسمح بشغلها بسبب الضغوط التي تمارس على صاحب المعهد وعمليات القبض التي كان يتعرض لها دائماً . وبذلك لم يعد أمامه مستقبل في القطاع العام ، فأنصرف إلى التجارة ، وسرعان ما أصبح من كبار تجار المجوهرات في القصبة ، مما ساعده على إنشاء جمعية لتجار المجوهرات الذين كان عدد منهم يقوم بتمويل الأنشطة الدينية في الحي ويمولون ، فيما بعد ، الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وقد ترك له عمله الجديد الوقت الكافي للانشغال بالسياسة . وبالتعاون مع نور الدين بولقوب ، (أحد مؤسسي الجبهة في المستقبل) ، ومنصوري ميلاني ، (أحد المجاهدين القدماء والذي كان يعمل ميكانيكياً) أسس أحمد ميرني جمعية سرية باسم " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " وقد اكتشفت الجمعية وتم القبض على العديد من أعضائها منهم ميلاني . وبعد إطلاق سراحه انضم ميلاني إلى جماعة مصطفى بويالي . أما أحمد ميرني فقد سافر إلى مكة والمدينة والتحق بالجامعة الإسلامية التي درس فيها عاماً واحداً . ولدى عودته كان بومدين قد مات ، وبدأ الرئيس شاذلي حكمه بشيء من التريث . وقام أصدقاء ميرني القدماء بالاتصال به ، لكنه رفض الانضمام للمشروع المسلح الذي كان يعد له بويالي ، وهو يقول في ذلك : " لا ينبغي أن أظل مكتوف اليدين ، ولكن كان لابد من إعطاء الأولوية للدعوة فالدعوة أجدى وأنفع من الكلاشنيكوف " .

وسعيًا وراء الانضمام " لعائلة " سياسية جديدة ، تردد ميرني على عباس مدني الذي لقيه في أحد الاحتفالات في القصبة عام ١٩٨٠ . وعلى أثر أحداث نوفمبر ١٩٨٢ ، ألقى القبض عليهما معاً . وبعد أن أطلق سراحه بعد تسعة أيام كرس وقته للخطابة ، ومع ذلك فقد تم القبض عليه واحتجز لمدة ثمانية أيام عام ١٩٨٣ لأنه ترجم إلى الفرنسية ووزع بيان نوفمبر ١٩٨٢ المكون من أربع عشرة نقطة ، ثم تم القبض عليه مرة أخرى لمدة أطول عام ١٩٨٤ ثم في عام ١٩٨٥ بسبب إلقائه " خطباً ضارة " - حيث تنبأ بأنه بالرغم من عمليات القبض والاحتجاز ، فإن الإسلام سينتصر في النهاية - وأخيراً قبض عليه واحتجز عام ١٩٨٦ من الأمن العسكري بتهمة تكوين جمعيات غير قانونية

والاعتداء على أمن الدولة . فى ذلك العام ، قامت انتفاضات فى حى القصبة ، وتأكد لجهاز الأمن أن الأمر لا يخرج عن عمل إحدى المنظمات التخريبية. وخلال فترات الإفراج عنه ، كان أحمد ميرنى يقوم بتحريك الجمعية الخيرية التى كان قد أنشأها عام ١٩٧٦ .

وبذلك أصبح أحد الوجوه البارزة فى حى القصبة . ومكنته شهرته من التعاون مع التجار وصغار الصناع فى جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها وحقق سمعة طيبة فى مجال عمل الخير .

كذلك مارس أحمد ميرنى عمليات التطبيب والعلاج بالقرآن . وكان يعالج بعض المسوسين واشتهر بذلك بين العامة . ولما كان ميسور الحال ، فقد كان يفعل ذلك لوجه الله .

على أثر أحداث أكتوبر ١٩٨٨ ، شارك أحمد ميرنى جنباً إلى جنب مع عباس مدنى فى إنشاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وأصبح المسئول عن لجنة الشؤون الاجتماعية فى الحزب الجديد .

فى عام ١٩٩١ ، وبعد أن هاجم عباس مدنى فى التلفزيون ، فصل ميرنى من الحزب . ومنذ ذلك الحين وهو يدلى بالأقوال الصحفية التى يحمل فيها على " الأطفال " الذى استولوا على الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وهو يرى أنه بعد انقلاب يناير ١٩٩٢ ، لا يمكن للجبهة أن تنقذ نفسها إلا بتجديد إدارتها لتصبح فى "أيدى رجال أكفاء شرفاء ، يتمتعون بخبرة سياسية ودينية ، لكى يقدموا صورة مشرفة عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ " .

وأثناء ربيع ١٩٩٢ ، عين أخيراً " مستشاراً للشئون الدينية والاجتماعية والسياسية " . فى وزارة سيدى أحمد غوزالى ، وهى المهام التى ظل يمارسها رسمياً حتى عينه رئيس الوزراء ، على أثر اغتيال محمد بوضياف ، سفيراً للجزائر فى باريس .

«تيوقراطية، ثورية»

إن الدور السياسى لمجموع " أنصار التيقراطية " يحيلنا إلى موضوع المكانة المخصصة للنخبة التقليدية ، وموضوع الدور المتطور لشباب نخبة الفرنكوفون داخل النظام الإنتاجى فى الجزائر المستقلة .

إن عبارة " أنصار التيقراطية أو التيقراطيون " تقودنا إلى التساؤل : هل فى الإسلام بطبيعته حكومة إلهية ؟ إن هذه العبارة تطلق عادة على بعض رجال الدين الدنيويين أو العلمانيين الذى يستهدفون احتكار تنظيم شؤون الآخرة وكذلك جانباً من شؤون الدنيا .

وبينما " التقنيون " يميزون بين " الوطنية السياسية " التى هى شغلهم الشاغل وبين " الوطنية الأخلاقية " التى هى اختصاص " أنصار الحكومة التيقراطية " ، الذين يعارضون مثل هذا الفصل ، فهم يرفضون المبدأ المستورد من الغرب الذى يقول بـ " الدولة - الوطن " ويجعلون مكانه " الأمة " حيث المواطن هو مجرد مؤمن ، وحيث الدولة تستمد شرعيتها من خضوعها وطاعتها للتوجيهات الإلهية وقدرتها على ضمان الاحترام لهذه التوجيهات من قبل المجتمع .

ومن هنا ، كان حرصهم على الإشراف على الأنشطة الدنيوية أو بمعنى آخر مراقبة التصرفات الحكومية التى يديرها " التقنيون " . وبذلك يلحون على وجوب قيام الحكام باستشارة علماء الدين . وبصفة عامة ، بينما أنصار الحكومة التيقراطية يرجعون كل شئ إلى الدين ويتهمون " التقنيين " بأنهم أهل سياسة ، فإن التقنيين يأخذون على الفريق الأول جهلهم بأمور السياسية . ومن ثم يأخذ محمد كرار على الجزائريين أنهم قوم يشعرون بنوع من التفوق المرضى فى حين أن السلفية تهتم بالجوانب الروحية فى الأشياء . وقد زادت حدة الخلاف بين الفريقين بمناسبة انتخابات يونيو ١٩٩٠ . وبذلك وجدت لجنة الإعداد للانتخابات البلدية والإقليمية نفسها أمام فريقين متعارضين . فالأول يريد أن يقصر الترشيح على المناضلين القدامى ، أما الآخر فيريد أن يفتح الباب لترشيح حملة الشهادات من خريجي التعليم العلمى ، الأمر الذى كان يخشاه الهاشمى سحنون لأنه قد " يسمح بتسرب عناصر انتهازية قد لا تعترف بزعامة الجبهة ولا تؤمن ببرنامجها " .

بعد أن كانوا " مسالمين " خلال السنوات التي كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ تشغل فيها الساحة السياسية الدينية بصورة متوازنة ، دأب أنصار الحكومة التيوقراطية بعد ذلك على الاستحواذ على خطاب الإسلام السياسى الجزائرى . وقد كان إلغاء إجراءات الانتخابات فى يناير ١٩٩٢ ، بمثابة إضافة شرعية جديدة على استراتيجية مصطفى بوبالى المسلحة . فقد رأى بعض رفاقه عام ١٩٨٩ ، أن عامل القوة ليس فى صالح الإسلاميين ، لذلك فمن الأوفق تنظيم نوع من الجبهة الشعبية تضم جميع الاتجاهات . ومع اقتناعهم بأن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعمل على ترسيخ الحركة الإسلامية فى صميم الجسم الاجتماعى تحسباً لأى مواجهة مع النظام فتتمكن الجبهة من الوصول إلى السلطة عن طريق ثورة شعبية ، كان صدامهم مع " التقنيين " الذين يساومون بقوتهم فى التوسط فى مقابل الحصول على مواقع ذات نفوذ فى قلب الجهاز الحاكم . من هنا جاء رفضهم لمشاركة الحزب فى انتخابات يونيو ١٩٩٠ . وكان حرصهم على تجنب إحداث فتنة فى صفوف الحركة دافعاً على تحفظهم الذى سيظل يلزمهم حتى يناير ١٩٩٢ . وكان عجز الاستراتيجية الدستورية فى التغلب على نظام يخفى تسلطه تحت ستار ديمقراطية هى فى الحقيقة تعمل لصالح أقلية مرتبطة بالحزب الواحد القديم ، هو الحافز لهم على المشاركة فى الكفاح المسلح .

« التقنيون » أو النزعة الإسلامية العصرية

كان التقنيون في الأصل من الخريجين الأوائل في المدارس الحديثة بعد الاستقلال، وكانوا قد تمكنوا شيئاً فشيئاً من الوصول إلى قمة الإدارة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لذلك فقد كانوا يزاحمون بطموحهم كلاً من نخبة الدولة وزعماء الحركة الإسلامية الشعبية التي كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ هي المعبر عنهم . ومن ثم فقد كان التقنيون يطالبون في الوقت نفسه ، بشرعية " تقنية " وبشرعية دينية ، كما أنهم يعبرون عن مطالب فريق من الطبقات المتوسطة المهمشة .

يرجع دخول التقنيين المجال السياسي إلى عام ١٩٧٠ ، حينما كان النظام يمارس رقابة صارمة ومحكمة على الجامعات. وأمام اضطرابهم إلى العمل في السر ، عرضوا أنفسهم للإشاعات التي كان يروجها عنهم النظام وأولياؤه في الجامعات من أجل نشر الفرقة بين صفوفهم ، ذلك النظام الذي كان يريد التخلص من خصومة السياسيين باتهامهم بأنهم " عملاء مأجورين " وينشر إشاعات تنال من سمعتهم عند العامة ... والحقيقة أن هذا العمل صفة مشتركة عند جميع السياسيين الجزائريين دون استثناء .

ويعصرف النظر عن تكوينهم الديني ، فإن هؤلاء المناضلين حصلوا على معظم زادهم من العلوم الدينية من كثرة ترددهم على المساجد الجامعية . غير أن تخصصهم في فروع العلوم البحتة والتجريبية هو السبب في ضحالة معلوماتهم المتصلة بالحركة الفكرية. وكانوا بصفتهم المتحدث بلسان جيل من المقهورين لم يقدم له الحزب الواحد سوى حب التآمر ، لذلك فقد كان ما لديهم من معلومات عن بقية العالم لا يعدو معلومات ريفية ساذجة .

وجدير بالذكر أن " التقنيين " ، من خلال معركتهم ضد " الشيوعيين " من أعضاء جبهة التحرير الوطني أو المدافعين عن قضية البربر ، يواصلون نضالهم الذي بدأ منذ عصر الاحتلال الفرنسي على أيدي أسلافهم من الإصلاحيين الجدد ، وهم يرددون خطابهم المنتشدد . ومن الطبيعي أن الجامعات هي الساحات التي تقع فيها المصادمات بين " الشيوعيين " نذُر الثورة الزراعية في المستقبل - والإسلاميين أبطال عملية التعريب والمتصددين لكل مظاهر التسيب الاجتماعي وفساد العادات والتقاليد ، تلك المظاهر التي يشجع عليها الفريق الأول .

أمين ، أو استعادة الهوية

ينتمي أمين إلى شباب المناضلين الإسلاميين الذين تحلقوا في السبعينيات حول مالك بن نبي ، وهو خريج المدارس الفرنسية لكنه ثنائى اللغة بكفاءة عالية ، فهو على النقيض من معظم أفراد الجيل التالى، فتمكن من الثقافتين الغربية والعربية الإسلامية. كان لفترة من الزمن قريباً من اتجاه الجزائريين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ . لكنه ابتعد عنهم ورفض أن يرشح نفسه في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩١ تحت لواء الحزب . ومن ناحية أخرى فإن معتقداته الأيديولوجية لم تكن أقل قوة فقد كان اتجاهه السياسى هو إقامة الدولة الإسلامية .

أما والداه ، فقد كانا من القبائل واستقرا في العاصمة في العشرينيات . كان جده لأبيه يجمع بين الحضر والريف ، حيث كان ينتقل بين ستيف والعاصمة سعياً وراء تجارته ، واستقر في العاصمة نهائياً عام ١٩٢١ . حينما كان ابنه ، وهو والد أمين ، في الثانية عشرة من عمره . أما جده لأمه ، فكان يعمل في صناعة الحلويات في القبائل ، ثم هاجر إلى قسطنطينة ، وذلك قبل أن يستقر نهائياً في العاصمة .

كانت أصول أمين القبائلية تشعره دائماً بأنه " معوق " ففي البيت كانوا يتكلمون اللهجة التامزية . أما أمين فقد كان يتحدث اللهجة العربية الجزائرية . وكان يشعر بشيء من الخجل إذا ذكره أحد بأصله ويقول في ذلك : " حينما كنا صغاراً ، كنا معقدين . لأن القبائلى كان لا ينظر إليه نظرة ارتياح في العاصمة . واعتقد أن ذلك

كان بسبب "جمعية العلماء" . لأنها جمعية لم يكن فيها سوى العرب . مع أنه كان من بينهم شيخ جليل - مات في تركيا - وكان من المنطقة التي كانت منها أمي ، هو الشيخ فضيل القارتيلاي^(١) .

في سن الرابعة والنصف أرسله أبوه لدراسة القرآن في مدرسه تحفيظ القرآن في سانتوجين حيث كان يقوم بالتدريس الشيخ سحنون .

ولقد ظلت صورة القبض على الشيخ بواسطة القوات الفرنسية محفورة في ذاكرة الطفل. ظل يدرس في هذه المدرسة ثلاث سنوات ، لكنه استمر بعد ذلك يتردد على المدرسة وانتظم حتى عام ١٩٦٣ في تلاوة القرآن ، وكان يؤم الناس في الصلاة. وكان أمين يفاخر بأنه يحفظ عن ظهر قلب معظم القرآن على النقيض من غالبية المناضلين الحاليين في " الجبهة الإسلامية للإنقاذ " .

وكانت أسرة أمين محافظة على العبادات الإسلامية أباً عن جد . وقد علمه أبوه حب الدين وكذلك فعل مع إخوته الثلاثة : " كان أبي متديناً ، ولكنه كان معتدلاً ، لم يكن متعصباً . كان يمارس إسلام العلماء . كنا نسميهم السلفيين . وقد ناضلوا كثيراً ضد الدراويش وضد الخرافات . كذلك فقد قدموا للثورة الجزائرية فرعها المقدس . كانوا مواكبين للعصر وكان أبي يرتدي البذلة ويوم الأحد كان يرتدي رباط العنق . وكان يذهب إلى المسجد بالبذلة " .

وانتقل الارتباط بالحركة الإصلاحية من جيل إلى جيل . كذلك فإن أمين ينتقد الهجوم على جمعية العلماء منذ الاستقلال : " الناس من جيلي ، يلومون على هؤلاء القوم أنهم لم يتبعوا الثورة منذ اندلاعها . لقد انتظروا سنتين . مما جعل الناس يتساءلون " .

ومع تقديره لعلماء الدين واعترافه بغزارة علمهم الذي لا ينافسهم فيه أحد ، يرى أمين أن بن باديس ورفاقه ليسوا مبرئين من النقد ، وذلك بسبب عجزهم عن استيعاب أمور السياسة . وفي رأيه أن هذه هي حال غالبية علماء الدين ، وهو يوجه هذا النقد إلى المؤسسين التاريخيين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، باستثناء عباس مدني .

(١) لقاء في الجزائر العاصمة وفرنسا بين يناير ١٩٩٢ ونوفمبر ١٩٩٤

التحق أمين بالمدرسة الأهلية التي كانت تديرها جمعية علماء الدين في نحو السابعة عشرة من عمره ، وتعلم التاريخ والجغرافيا والنحو والشعر . ويتحدث أمين عن الفرنسيين الذين كانوا يتابعون " دراسة أبناء العرب عن قرب بواسطة الجزويت " كما يتحدث عن الراهبات الفرنسيات اللاتي كن يزرن الأسر العربية في البيوت ويقدمن المساعدات. ومع استمراره في حفظ القرآن الذي حفظ منه ثلاثين سورة عن ظهر قلب ، كان أمين متفوقاً في دراسته ، إذ كان من بين الخمسة الأوائل في فرقته.

وكان والد أمين يتمتع ببعض الامتيازات ويتقاضى معاشاً بوصفه من المصابين في الحرب العالمية الثانية ، وكافأه الفرنسيون نظير خدماته ، فأعطوه بيتاً له حديقة، باعه وفتح محلاً للبقالة . ولم يحاول أن يفعل كغيره الذين كانوا يتاجرون في السلع النادرة ، بل كان يوزع الدقيق والسكر والجاز على المعوزين في باب الواد ، مما أكسبه احترام الجميع وبخاصة مناضلي جبهة التحرير الوطني التي كان عضواً فيها. وفي عام ١٩٦١ تم القبض على الرجل الذي أودع السجن ولم يطلق سراحه إلا في العام التالي . وتحت وطأة سرطان الرئة ، مات والد أمين في عام ١٩٧١ .

وبالرغم من تأخر أمين في دراسته عامين ، إلا أنه تابعها حتى البكالوريا كما التحق بالمدرسة الفرنسية . ومع انتظامه في الصلاة ، كان يتردد على المراقص ويستمتع في بيته لإسطوانات الأغاني الفرنسية التي كاد يهديها له مدرسه الفرنسيون. وهكذا جمع أمين بين الثقافتين .

ولكن أمين كان يحزن من مشهد أبناء أعضاء جبهة التحرير الوطني الذين كانوا ينطلقون في سياراتهم الفارهة يقودها سائقون خصوصيون ، مما استجلب عليهم حقد زملائهم في الأحياء الفقيرة . وسرعان ما تكون رد الفعل عن أمين : " على الفور ، كونت جماعة لمقاومتهم . كنت أجد ذلك ظلماً أثناء الحرب ، كانوا يقولون لنا إن الفرنسيين يستغلون الجزائريين ، وأنهم يعيشون في مستوى معيشة أرقى من الجزائريين ... وها نحن نجد أنفسنا وسط جزائريين يعيشون في مستوى معيشة أرقى بكثير من الفرنسيين . الفرنسيون لا يأتون جميعاً في سيارات إلى المدارس . ونحن ظللنا في الحى الذي ولدنا فيه . أما رؤساء جبهة التحرير الوطني ، فحينما جاءوا ، استولوا على جميع فيلات

الفرنسيين وسكنوا في الأحياء الرئاسية التي كانت للفرنسيين . وكنت أقول لأصدقائي : " هذا ليس عدلاً . الفرنسيون رحلوا وهم حلوا محلهم . والآن هم أسوأ . وكانوا يرفضون مناقشتنا ونحن كنا نذهب إلى المدرسة في ثياب مرقعة . كنا فقراء فشرعت في تكوين جماعات ، وكان مدرس اللغة الفرنسية يشجعنا . كان خوريا . وقد ساعدنا في الحصول على مصلى حينما كنا في الفرقة الخامسة " .

كان المصلى بالنسبة لهؤلاء المراهقين الوعاء الذي كانت تصب فيه خيبات آمالهم في الاستقلال ، وفيه يعبرون عن مواقف في الفصل من الحدة والعنف بحيث راحت تظهر في المجتمع الذي دمره الاحتلال ثم الحرب . " كنا كثيرين . كان من بيننا من لا يصلون ، ولكنهم كانوا يطلبون المصلى لكي ينتقموا من البرجوازيين الجزائريين الجدد " .

وأصبح المصلى بالنسبة لأمين هو الاستقلال الحقيقي . وكان ذلك ممنوعاً في الماضي . " لقد رأيت في المصلى حرية الإسلام " .

بالنسبة له " الإسلام هو دين العدل ، دين الجهاد . دين الشجاعة ، والكرامة ، سواء للفقير أو للغني ، يكفي أن يكون المرء كريم النفس " . وحينما كان يرى والديه يواجهان المصاعب مع محافظتهم على عقيدتهم قوية لا تتزعزع ، كان يزداد قناعة بأن الإسلام وحده يمكن أن يساعده في التكيف مع ظروف الاستقلال الجديدة .

وباحتكاكه بزملاء من مدرسة بن أكنون ، أدرك وهو في الثانية عشرة من عمره ، ضرورة مكافحة " قوم أثروا ظلماً وعدواناً ، ويمنعون غيرهم من الاقتراب من مستواهم " .

وأثناء سنوات النضج ، كان راشد بن عيسى ، وهو مدرس في مدرسة بن أكنون ، يبيت في الشباب البغض والكراهية " للشيوخيين " وكان هذا المدرس من تلامذة مالك بن نبي ويتبع أسلوبه في التدريس . وكان أمين من أشد المعجبين بمالك بن نبي الذي تأثر به كثيراً . وكان مما أخذه عنه أنه ينبغي علينا أن " نقبل الصداقة مع المحافظة على إسلامنا الصحيح " كان أمين يؤمن بتطبيق الشريعة وإقامة دول إسلامية . ومع ذلك فقد كان يجد صعوبة في تحديد موقفه من التيارات المتصارعة حوله .

فالشبيوعية صارت بغيضة إلى نفوس الشباب ، وكذلك الرأسمالية لم يجدا فيها حلاً لمشاكلهم . وثمة فريق ثالث منا يقول " الطريق الثالث ، هو طريق الإسلام . كان بن نبي يقول له : ليس تماماً . الإسلام وحده ليس طريقاً ثالثاً . الإسلام لا يمكن أن يكون طريقاً . الطريق ينبغي أن يرسمها الرجال الذين يستلهمون من الإسلام " .

كانت تلك السنوات بالنسبة لأمين هي السنوات التي كوّن فيها صداقاته الأولى والتي سوف تستمر معه في مستقبل أيامه . فعن طريق راشد بن عيسى ، الذي كان ينتقل بين المدارس الثانوية بلا كل ولا ملل يلقي " الموعظة " وينشر " الكلمة الطيبة " ، التقى أمين بالأشخاص الذين أصبحوا بالنسبة له أصدقاء إلى الأبد . من بينهم مجموعة صغيرة من تلمسان التي أنهى فيها بن عيسى نفسه دراسته .

وفي ١٩٦٦ ، أخرج والد أمين ابنه من المدرسة الفرنسية الإسلامية لإيمانه بالتعليم التقني . وكان يردد على مسامع أمين أن " المستقبل هو في التقنية . يجب أن تكون مثل الفرنسيين ، لأن الذي ينقصنا نحن ، هو التقنية " . وألحق أمين بالمدرسة الثانوية التقنية في العاصمة . " لم يكن يقول التقنية وإنما كان يقول (حديد) في إحدى سور القرآن يذكر أنه ينبغي على الإنسان أن يتمكن من تطويع الحديد . كثير من الإسلاميين يظنون أن المقصود هو التحكم في السيف . كلا ، ينبغي إتقان صناعة الحديد وصهر المعادن وتطويعها ... " (١) .

هذه الإشارة تمثل بداية رحلة جديدة في النضج السياسي عند أمين " هناك ، اكتشفت جزائريين آخرين . أبناء أرسقراطيين وجههم أباًؤهم نحو التقنية . قالوا في أنفسهم إن المستقبل في الصناعة وأن الجزائر في طريقها نحو اقتصاد السوق . لقد خاب ظنهم . نحن نسميهم " الخوافين " . كانوا على درجة عالية من الرفاهية والراحة بحيث لا يجروؤن على إتيان أى حركة في غير مكانها ، أو رفع الصوت ، أو لعب كرة القدم ، أو التدافع لركوب الحافلة " .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة رقم ٢٥ من سورة الحديد [... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ...] .

وقرر أمين أن يهتم بأمرهم . فأخذ على عاتقه تكوين فرق لكرة القدم وتنظيم مباريات بين المدارس ثم بين الأحياء . ومن بين هؤلاء الزملاء من أصبحوا زعماء الجزائريين في المستقبل . وبدلاً من استعمال القسوة لحضهم على إقامة الصلاة ، كان أمين يشجعهم بكل رفق . " حينما كان يحين موعد الصلاة ، كنت أوقف النشاط وأطلب منهم الانتظار خمس دقائق لأداء الصلاة ثم أعود إليهم . حينئذ بدأوا يصلون مثلى . كنا نصلي في الهواء الطلق . في ذلك الوقت ، كان الأستاذ مغطى بالحشائش . بعد ذلك جاء أتباع جبهة التحرير الوطني وأكلوا كل شيء " .

وحينئذ بدأت السلطات في الاهتمام بهؤلاء " المشاغبين " . وتعرضوا مراراً للقبض عليهم ولبعض الاضطهادات التي لعبت دوراً رئيسياً في تكوينهم السياسى .

في عام ١٩٦٩ ، التحق أمين بالكلية المركزية في الجزائر العاصمة بقسم الرياضيات العامة والفيزياء . ولمساعدة أبيه في أعباء الأسرة ، كان يساعد بن عيسى في تحضير نوات الفكر الإسلامى .

كان أمين حريصاً كل الحرص على الالتزام بمبادئ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " ناذراً جميع نشاطاته للدفاع عن الدين الإسلامى وحده . وكان في سنوات الدراسة الجماعية تلك لا يعد نفسه مكوناً تكويناً سياسياً . حدث ذلك في فرنسا ، حينما سافر إليها عام ١٩٧٢ لدراسة الهندسة الإلكترونية . فهناك تحقق له النضج السياسى . وحينما عاد إلى الجزائر لأداء الخدمة العسكرية ، تم القبض عليه في المطار واقتيد إلى سجن بليدا بعد أن سلبوه جهاز تسجيل غالى الثمن .

وما أن أطلق سراحه ، حتى عاد إلى فرنسا لكي يكمل دراسته ، ولم يعد إلى الجزائر نهائياً إلا في عام ١٩٨٠ . وعاد أمين من أوروبا بعلم غزير عن المجتمع الفرنسى . كانت التكنولوجيا الغربية تبهره ، غير أنه كان ينفر من " الحريات في العادات والتقاليد " . لذلك قرر أن يكرس كل وقته للدراسة مع الاستمسك الشديد بالتعاليم الإسلامية . وحصل على وظيفة في وزارة الزراعة وأصبح رئيساً لمشروع المصانع الغذائية وصار وقته موزعاً بين التنقلات في أقاليم الجزائر وبين المهمات التي كان يسافر فيها إلى السويد ، لذلك لم يبق لديه وقت للسياسة . ومع ذلك فقد كان

زملاؤه القدامى فى الكلية المركزية فى العاصمة يدعونه لمشاركتهم فى أنشطتهم السياسية . وكان أمين قد تزوج منذ فترة قصيرة .

" لذلك فقد أخبرتهم بأننى على استعداد لمشاركتكم كما أنا . لا ينبغي أن تطلبوا منى أن أطلق لحيتى . لأنهم كانوا قد بدأوا يطالبوننى بأن أطلقها ... كذلك بالنسبة لزوجتى لم تكن ترتدى الحجاب ولكنها كانت ترتدى زياً مناسباً . فطلبوا منى أن أطلقها ، فرفضت وقلت : هؤلاء مجانين . يعيشون فى العصور الوسطى . يهتمون بالمظهر لا بالمخبر . وقد تأكد لى ذلك حينما سقطت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الفخ " .

ومع ذلك فقد قرر أمين أن يشارك فى المسيرة التى نظمها أصدقاؤه فى الثانى عشر من نوفمبر ١٩٨٢ ، لكنه بعد ذلك ، ابتعد عن الحياة السياسية مع استمراره فى التردد على اجتماعات أصدقائه القدامى . وبدأ أمين يعرف مساوئ الوظيفة حينما بدأت فرص الترقى إلى الوظائف العليا . فقد تعرض لسخافات الشرطة بسبب ترده على ندوات مالك بن نبي . كما أن بعضهم تطوع بإبلاغ الشرطة عن أنشطته النضالية داخل الحركة الإسلامية حينما كان يدرس فى الكلية المركزية بالجزائر العاصمة . وشعر أمين أنه قد استبعد وأحس بمرارة حقيقية ، هو الذى كان يسكن الشقق الفاخرة ، يسكن الآن مع أبنائه الثلاثة وزوجته شقة ضيقة . هو الذى كان فى الماضى يقيم فى فرنسا مرة فى السنة على الأقل ، لم يعد الآن قادراً على تكاليف الرحلة . وتضافرت الأزمة الاقتصادية مع عدم الترقية لتحويل الشاب الطموح المليء بالأمال إلى إنسان يائس . صحيح أنه يشعر أنه أفضل بكثير بالمقارنة بالأسر التى يتكدس أفرادها الذين يزيدون على العشرة فى بضعة أمتار مربعة . كل ذلك لم يمنعه فى التفكير فى أنه لو عمل فى زمن آخر ، مع رؤساء آخرين أقل فساداً وأكثر اهتماماً بالكفاءات ، فإنه سيلقى التقدير الذى يتناسب مع مواهبه وخبراته . ولما استبد به الملل ، وبتشجيع من بعض الزملاء والأصدقاء ، ترك أمين فى عام ١٩٩٣ الإدارة التى لم تقدم له شيئاً ، وذلك لكى يدخل فى مشروع خاص .

وفى أثناء تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان أمين قد فقد الدفعة النضالية ورفض دعوة زملائه له بترشيح نفسه فى الانتخابات باسم الحزب . وفضلاً عن ذلك فقد

انشغل بتربية أولاده ، وكان يدرك الأخطار التي تتربص بالحركة الإسلامية لتتقضى عليها إن لم تنتبه لها الحركة . منذ ذلك الوقت اقتصر على دور المراقب الذكي للنظام السياسى الجزائرى . وكان حذره يمنعه من إعلان رأيه على الملأ ، اللهم إلا انتقاد المتشبهين " بالكرسى " أى السلطة . وكذلك السخرية من أصدقائه الذين انضموا إلى الجماعة السلفية حينما احتجزهم قسم الشرطة التابع للحى بسبب قيامهم ببعض الأنشطة السرية .

كان أمين يبغض العنف ويشعر ، على شاكلة الغالبية العظمى من المواطنين ، أنه تعب وسئم من حرب بين الأشقاء لا تستطيع أن تعلن عن اسمها . ومع ذلك فقد كان يأمل فى إقامة دولة إسلامية ، دون أن يعرف بالضبط ما يعنيه بذلك ، على الأقل نظاماً أكثر عدلاً .

رياح كبير

على شاكلة أمين ، كانت دروس رياح كبير الأولى فى السياسة ، حينما تعرض لمكافحة نفوذ مناضلى اليسار فى الحرم الجماعى . كان والد رياح كبير من قدامى المجاهدين ، وتوفى فى عام ١٩٨٧ بعد أن خدم فى صفوف جبهة التحرير الوطنى حتى رتبه أمباشى . وكان الأب والأم ينتميان إلى قبيلة فى أنحاء " كولو " تعرف باسم أولاد حميدش . ولد رياح كبير فى هذه القبيلة عام ١٩٥٦ . وكان فخوراً بأصله الذى يرجع إلى أحد فروع الأشراف فى الأماكن المقدسة بمكة . واستقر فى الجزائر منذ سبعة أجيال .

كان والد رياح يشعر بقربه من جبهة التحرير الوطنى حتى وصول الرئيس بومدين . بعد ذلك (طبقاً لذكريات رياح) أدرك أن ثمة " انحرافاً عن الإسلام الذى كان يؤمن به ولم يكن ممثلاً فى السلطة " (١) فى أسرة رياح التى يصفها بأنها " تقليدية وإسلامية " لم تكن التقوى كلمة تلقى على علاتها بلا معنى . فقد كان جده ، الذى توفى ورباح فى

(١) لقاءات فى الجزائر العاصمة فى يناير ١٩٩٢ ، ثم فى ألمانيا فى مارس ١٩٩٣

الثانية عشرة من عمره ، يدعو علماء الدين بصورة منتظمة وكذلك أئمة المساجد ليشاركوه الطعام في بيته . ويذكر رباح الشيخ مرزوق عضو جمعية العلماء وإمام المسجد الذي تعلم فيه مبادئ الإسلام . ثم أكملها بالتردد على الكتاب حيث درس القرآن أسوة بملايين الأطفال في سنه .

بعد الدراسة الابتدائية في أولاد حميدش ، التحق رباح بثانوية عنابه ، وهي مدينة كان يقيم فيها بعض أفراد أسرته . كان طالباً مرموقاً . وقد تلقى تهاني وزير التعليم بنفسه حسب النظام الذي كان يقضى بمكافأة المتفوقين كل عام .

وخلال دراسته الثانوية ، تشكل رباح تشكيلةً سياسياً لم يفارقه مدى الحياة : " قبل دخول الجامعة بعام ، كان كل ما يجرى في الجامعة يصلنا عن طريق الإذاعة . أما أنا ، فقد كنت أؤيد الإسلاميين الذين كنت أقرب إليهم من " الكفار " . كانت تربيتي تحظر على أن أنحاز للملحدين أو أن أوأليهم . وكنا مشغولين بما يحدث في الجامعة لأننا سوف نلتحق بها " .

وإذا كان رباح يجيد اللغة الفرنسية ، فقد كان قبل كل شيء عربى اللغة والثقافة (عربون). وعلى النقيض من المناضلين البربر الذين ، يصفهم رباح بأنهم مخطئون إذ لا ينظرون إلى اللغة إلا من خلال بعدها الثقافى ، كان رباح يخلع على اللغة العربية بعداً مقدساً يمنع من التساهل فى أى أمر يتعلق باللغة . فلنقلها بكل صراحة: العربية هى اللغة الوطنية الرسمية وأى شخص لا يتقنها ، يضع نفسه خارج الجماعة والملة .

ولكى يدافع طلاب الجامعة الإسلاميون عن مسجد الجماعة الذى افتتح عام ١٩٧٢ ضد اعتداءات " الشيوعيين " ، كانوا ينسقون فيما بينهم دوريات للحراسة ، كان رباح يشارك فيها عن طيب خاطر ، وبعد عدة أشهر ، أثبت خلالها حماسه النضالية ، بدأ رباح يلقي بعض الدروس فى هذا المسجد ثم فى مسجد " كولو " حيث كان ينظم المحاضرات للشباب خلال العطلة الصيفية . وقد أكسبه هذا النشاط تقدير واحترام رفاقه .

حصل رباح كبير على الليسانس عام ١٩٧٩ ، وأراد أن يواصل الدراسة . ولكن بسبب بعض التشريعات الخاصة من جراء النقص فى معلمى المرحلة الثانوية ، كان عليه أن يقضى خمس سنوات فى تدريس مادة الفيزياء فى ثانوية " كولو " .

ولم يكن يستطيع أن يواصل دراسته إلا بعد قضاء هذه السنوات الخمس في التدريس .
لذلك ، قام رباح وزملاؤه في الكلية بإضراب احتجاجاً على هذا الوضع ، ولكن دون
جدوى . وبعد هذه السنوات الخمس من العمل في التدريس ، كان رباح قد أصبح رب
أسرة ومشغولاً بالتزاماته الجديدة الخاصة بالنضال ، لذلك فقد أعرض عن مواصلة
دراسته . وظل يقوم بالتدريس في ثانوية " كولو " حتى عام ١٩٩١ ، حيث تم استدعاؤه
لشغل أحد المناصب العليا في إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

ومع الشعور " بخطر الشيوعية " ، قرر رباح وأصدقائه في نهاية ١٩٨٠ تكوين
منظمة واختاروا عبد الله جاب الله زعيماً للحركة .

وفي عام ١٩٨٩ ، ترك رباح كبير المنظمة الإسلامية التي يرأسها عبد الله
جاب الله ليشغل منصب نائب المكتب التنفيذي في الجبهة الإسلامية للإنقاذ في
ولاية سكيكا .

كان رباح ينتمى إلى الاتجاه الذي يؤيد عباس مدني في الجبهة الإسلامية
للإنقاذ . وفي مؤتمر باتنه عام ١٩٩١ عين مسئولاً عن لجنة العلاقات الخارجية ، وبدأ
يكتسب ثقلاً وطنياً . وخلال فترة سجن حاشاني الأولى (سبتمبر - أكتوبر ١٩٩١)
عين رباح متحدثاً ومسئولاً عن العلاقات الصحافية بالحزب . وتعاون مع حاشاني في
إقناع الحزب بقبول المشاركة في الانتخابات التشريعية التي كان من المقرر إجراؤها
في نهاية شهر ديسمبر .

وخلال الحملة الانتخابية في ديسمبر ١٩٩١ ضاعف رباح من مجهوداته ، وأصبح
معروفاً عند جماهير الإسلاميين . وقد تعاون مع حاشاني في السيطرة على الأزمة التي
فجرها الانقلاب داخل الحزب . وفي الثاني والعشرين من يناير ١٩٩٢ ، وعلى أثر نشر
بيان يدعو الجيش للدفاع عن " المشروع الإسلامي " أودع عبد القادر حاشاني السجن
مرة أخرى . وكان من الطبيعي أن يرأس رباح كبير الحزب ويصبح المتحدث بلسانه .
ومع ذلك فإن فترة زعامته لم تدم طويلاً فقد تم القبض عليه في مطلع شهر يناير التالي .
وحددت إقامته في مدينة " كولو " ولكنه تمكن من الهرب في سبتمبر عام ١٩٩٢ ،
ولجأ إلى ألمانيا حيث أصبح ، بتأييد الشيوخ المودعين السجن ، المتحدث بلسان
اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج ، ثم المسئول عنها .

عبد الكريم ، أو الدخول فى السياسة

كان عبد الكريم أصغر أعضاء المكتب السياسى فى الحزب . وكان قد تخرج فى صفوف الجزارة التى خالط أعضاها فى الجامعة ، ومع ذلك فقد كان من أنصار عباس مدنى وأعوانه مثل عبد القادر حاشانى ورياح كبير .

كانت عائلة عبد الكريم ، التى يعتقد أنها من أصل تركى ، تعيش فى تشرشل ، حيث كان مولده عام ١٩٦١ . وبعد الاستقلال كان والده يملك مصنعاً للطوب يعمل فيه حوالى اثنى عشر عاماً ، وذلك حتى عام ١٩٧١ حينما استولى محافظ المدينة على المصنع بالقوة . وباعت محاولات وشكاوى الأب بالفشل . وفى النهاية اقتنع أنه لن يستطيع شيئاً ضد " قانون الأقوى " وانتقل إلى العمل فى نقل مواد البناء . لذلك ، فعوضاً عن مساعدته الشككية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان يشارك ابنه " أماله " السياسية .

وقد ظل الأب حتى سن المعاش ، وبالرغم من الأضرار التى لحقت به بسبب الاستيلاء على مصنعه ، يكسب قوته وقوت أولاده بالطريق القويم . ويحتفظ عبد الكريم بذكرى طفولة ميسورة الحال فى الشقة المكونة من خمسة غرف التى كانت تسكنها العائلة فى تشرشل . وقد مات للأب طفلان من بين الأبناء التسعة الذين أنجبهم ، وقد أنهى الجميع ، وهم خمس بنات وولدان ، دراستهم . فالبنات الكبرى حصلت على دبلوم السكرتارية ، لكنها لم تعمل بعد زواجها وهى فى السادسة عشرة من عمرها ، من أحد قدامى اللاجئين فى الأحرار . أما الثانية ، فقد حصلت على الليسانس فى اللغة الإنجليزية وعملت بالتدريس فى الجزائر مدة خمس عشرة سنة ، وذلك قبل أن تنتقل إلى أوروبا لتقيم هناك . وأما الولد الأول ، فقد التحق بالعاصمة وهو الآن مدير الإدارة المركزية فى المجلس الأعلى للإعلان . وهو يميل لجبهة القوى الوطنية ويعارض الجبهة الإسلامية للإنقاذ . أما الابنة الثالثة فقد درست العلوم السياسية وهى تعمل الآن فى محافظة تيباسا . وهى كشقيقتها الأكبر ، لا تشارك أخاها الأصغر آراءه السياسية . وأما الرابعة ، فبعد البكالوريا ، حصلت على شهادة تؤهلها للتعليم بالمدارس المتوسطة . وعبد الكريم هو الابن السادس . وأخته الصغرى تعمل مترجمة فى وكالة الخدمة الصحفية .

والحقيقة أن آراء عبد الكريم السياسية تعد غريبة في الأسرة . " فهناك من ينتمى إلى جبهة التحرير الوطنى ، ومن ينتمى إلى جبهة القوى الوطنية . لذلك فنحن ضد رقابة المواليدين . فجميع إخوتى وأخواتى يخالفوننى . فهم ضد الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، أما أمى ، وهى بين بين ، فتحاول أن تصلح بين الجميع . ونحن نتجنب المناقشة فى السياسة حتى لا نتشاجر . ولكن بصفة عامة ، هناك ستة فى العائلة ضدى " (١) .

حصل عبد الكريم على بكالوريا القسم العلمى من مدرسة تشرشل عام ١٩٨٠ والتحق بمدرسة المعلمين العليا وتخرج منها عام ١٩٨٥ . وعمل فى التدريس من عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٨٧ . ثم دخل الجيش حيث أدى فيه خدمة مدنية وانتقل إلى إحدى المدارس فى الجنوب ودرس فيها الفيزياء والكيمياء . وبعد أن أنهى الخدمة العسكرية عام ١٩٨٩ ، عاد إلى ثانوية تشرشل حيث يصل راتبه الشهري إلى ستة آلاف دينار . وحينما طلب إجازة ليتفرغ بالكامل لمسئوليته السياسية الجديدة . كان معنى ذلك رفض طلبه واضطراره لأن يقدم استقالته .

لم يتلق أى تعليم دينى خاص . وأما تكوينه السياسى فيدين به لسنوات الدراسة بالجامعة . وباحتكاكه ببعض المناضلين من نوى الخبرة اكتسب الضمير السياسى ، وفى ذلك يقول : " منذ عام ١٩٧٨ ، شعرت بالندم على سنوات مراهقتى . إننى أنتمى إلى طائفة من الناس لم يفارقوا الإسلام يوماً من الأيام . كنت أؤدى الصلاة منذ نعومة أظفارى . وكنت أحاول فعل الخير . ولكن عندما وصلت إلى المدرسة الثانوية . كانت لى علاقات جديدة . كان ثمة جو آخر . قبل ذلك لم أقترف فاحشة على الإطلاق . بل لم أدخن سيجارة ولم أشرب قطرة خمر . ولكن كانت هناك موجة الغرب . كنا نخرج وكنا نحاول إزجاء أوقات الفراغ فى أنشطة ... لم يكن ذلك الطريق القويم حقاً . كان ينبغى علينا أن نهتم بشيء أفضل ، أن نعتنى بسلوكياتنا ، وأن ندعو لعمل الخير . أن نقوى من صلتنا بالله " .

ولكن الحدث الأكبر فى عملية النضج السياسى عند عبد الكريم وقع عام ١٩٧٨ ، بمناسبة إقامته فى مدينة بالما بأسبانيا . كانت الجزيرة آية من آيات الجمال ،

(١) لقاءات فى الجزائر ، ثم أوروبا بين يناير ١٩٩٢ وأبريل ١٩٩٥

"المتعة" فيها ترقى إلى مصاف القيم السامية . لذلك فقد تعرض هناك لغوايات لم يستطيع أن ينجو منها إلا بنوع من العودة الإيمانية والتوبة النصوح التي بعثته من جديد .

على أثر عودته للجزائر ، عكف عبد الكريم على إقامة الصلاة بنفس الحرارة التي انصرف عنها أيام إقامته في أسبانيا حيث لم يكن يؤدي هذه الفروض إلا ليلاً بعد عودته من "جولاته الليلية" . وقد عكف عبد الكريم على دراسة قواعد الدين الإسلامي . وكانت اجتماعاته برفاقه تتم في حجرات الطلبة في الحرم الجامعي ، وتجرى في جو من التقوى والورع الديني . وخلال صيف ١٩٨١ . حضر عبد الكريم الندوات التي كان يعقدها محمد بوجلخه وهو أستاذ رياضيات في جامعة باب الزوار . " كان هؤلاء الزعماء يحاولون إعداد مشروع ، وإعداد رجال لهذا المشروع ، معتمدين أساساً على الجامعات . كانوا لا يريدون أن يكونوا نسخة من الإخوان المسلمين . كانوا لا يريدون أن يخضعوا لقيادة مصر . لقد جاهدوا من أجل تكوين طلبة في الجامعات لإعداد جيل من النخبة تتسلم الشعلة من جمعية العلماء ، وكانوا يستلهمون مبادئها كثيراً . وكان غالبيتهم قريبين من مالك بن نبي . وكانوا يرون أن بن نبي هو المفكر الذي حاول أكثر من غيره أن يطبع الحياة العصرية بمبادئ الإسلام : الحفاظ على كنوز القرآن مع نظرة جديدة على العالم ، على التغيير " .

كانت أحداث الكلية المركزية في العاصمة هي ميلاد دعوة جديدة : النشاط السياسي : " كان عام ١٩٨٢ نقطة التحول . كان ذلك بالنسبة لنا بمثابة الدروس . فإذا كان القادة على علاقة طيبة بال جماهير فقد أهملوا النخبة ولم يهتموا بأمرها . لذلك فقد قررنا أن نصصح أخطاء الماضي : كان علينا الآن أن نحمل الجميع مسؤولية المشروع الإسلامي ليلتفوا جميعاً حوله . لا ينبغي مجاملة هذه الطائفة أو تلك ، وإنما يجب تخصيص المهام تبعاً للكفاءات والقدرات " .

لذلك ، فمئذ الثمانينيات ، كرس عبد الكريم حياته للنشاط الخطابي في المساجد الجامعية مع التركيز على مسجد مدينة " تشرشل " . وقد حقق له ذلك زيارة قام بها عباس مدني له خلال جولته الانتخابية في أنحاء البلاد . ومع ذلك ، ففي عام ١٩٨٩ ،

كان عبد الكريم يبدى تحفظه بشأن جدوى تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وبخصوص القادة الذين لم يكن يعرفهم . وفوق ذلك ، فإن الجزائر التي كان ينتمي إليها في ذلك الوقت كانت تحظر عليه الانضمام إلى الحزب الإسلامي . غير أن عبد الكريم اقتنع في النهاية بحديث عباس مدني الذي لم تكن تعوزه الحجة البليغة : "حينما تكلمت مع عباس مدني ، أدركت ضرورة تكوين حزب إسلامي وضرورة أن يكسب المسلمون أرضاً مع الالتزام بالحطة والحذر . ولكنني كنت أقول في نفسي إن هذه المبادرة لا ينبغي أن تضعف الحركة . إذن ينبغي على الأشخاص الذين اكتسبوا تكويناً سياسياً أن يساهموا في المشروع وأن يجنبوه أي انحراف . وكان سبب قراري هو فكرة مشاركة الجميع في المشروع ، لا ينبغي أن يقتصر اهتمام الدعوة على الطلبة كما تفعل الجزائر . كان من الواجب أن ندخل في الجبهة الإسلامية للإنقاذ بدلاً من أن نترك الفراغ يملؤه أشخاص يفتقرون إلى الكفاءة " .

بعد أن أنهى عبد الكريم الخدمة العسكرية في يونيو ١٩٨٩ - بدأ في تكوين مكتب تنفيذي للجبهة الإسلامية للإنقاذ في مقاطعة تشرشل . وكان أول مكتب يحظى بموافقة رئيس الحزب . ومن باب الحطة والحذر عمد إلى عدم ظهور اسمه في قائمة المديرين المحليين التي تسلم للإدارة . وبعد شهرين ، قرر عبد الكريم التخلي عن مسؤولياته في مدينة تشرشل ليتولى غيرها في مدينة تيباسا . فقد التحق بالمكتب التنفيذي في المدينة التي نكبت بالزلزال وأصبح رئيساً للمكتب بعد تسعة أشهر . وقبل ذلك بعدة أشهر . كان قد تعرف على على جدي الذي أصبح ، هو ومحمد بوجلخه ، من أكبر المؤثرين على فكره .

وكان من شأن صعود نجم الشاب الصغير (كان في العشرين) أن أبعد عن أصدقائه "الجزائريين" الذين كان يأخذ عليهم سعيهم إلى الاستيلاء على المناصب القيادية لمصالحهم الخاصة . " ينبغي ألا نرتكب الأخطاء الخاصة بالاستقلال ، حيث استولى فريق على المناصب العليا وعين فيها أصدقاءه وتنكر للتضحيات التي بذلها آخرون ، وذلك بدلاً من إشراك أفضل الطاقات . إننا نأخذ على معظم الجزائريين محاولاتهم توجيه جميع المساعي ، وجميع القرارات وجميع المشروعات بما يفيد مجموعاتهم . لذلك فقد ابتعدت عن الجزائر لأنني لم أحب طريقتهم في اختيار الأشخاص تبعاً لمؤهلاتهم وتعليمهم ... دون اعتبار للتضحيات الشخص في سبيل الدين " .

ومع احتفاظه بالخصائص الأيديولوجية للجزارة ، وبخاصة الوطنية ، شعر عبد الكريم أنه أصبح غريباً عن عائلته السياسية الأولى .

وبعد أن تعرض للقبض عليه ثلاث مرات عام ١٩٩٢ ، غادر عبد الكريم الجزائر ولجأ إلى أوروبا في أكتوبر من العام نفسه . وقد احتفظ من عمله السياسي مع الجزائريين بصفة الكتمان . ولكن على النقيض من التلمسانيين ، كان يبغض العنف ويرفض الاستسلام لتطرفات الجماعات المسلحة . ولكن أمام استبداد النظام ورفضه للحوار مع الإسلاميين ، اضطر عبد الكريم إلى تغيير موقفه من العنف : "في الماضي ، حاولنا ألا نتحمل مسؤولية العنف . أما اليوم فلم يعد أماننا الخيار " . وبالمثل يحاول منذ ذلك الحين أن يقرب ، على مستوى البعد التكتيكي وحسب ، بين الجماعات المسلحة وبين إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، حتى لا يواجه الحزب بالرفض من جانب المناضلين ضحايا القمع الذي يزداد يوماً بعد يوم .

أنور هدام ، أو انتقام التلمسانيين

حاولت الجزائر طويلاً أن تحتفظ بأسماء أتباعها سرّاً لا يطلع عليه أحد . وهامو ذا أنور هدام الذي لجأ إلى الولايات المتحدة لا يخفي تعاطفه مع الجزائر ويخرج على العالم ببياناته الملتهبة .

ولد أنور هدام عام ١٩٥٥ في تلمسان . وترجع عائلته ، وهي متوسطة الحال ، إلى أصول أندلسية . " أسرة قديمة جاءت من الأندلس في القرن السابع . كانت المذابح في الأندلس منتشرة على تعاقب الأجيال . ولعل ذلك هو الذي بثّ فينا الميل إلى التعايش السلمي ، ولكن دون التنازل عن مبادئنا " (١) .

كان جد هدام لوالده تاجراً غنياً في تلمسان ، في حين كان جده لأمه تاجراً مشهوراً في سعيده . وكان والد هدام أصغر إخوته الثلاثة . وكان يعمل ناظراً ثم مديراً في إحدى المدارس الثانوية في تلمسان - في الوقت الذي كان فيه عمّاه يدرسان

(١) لقاء في الولايات المتحدة في أبريل عام ١٩٩٢

الطب في الخارج . وبالإضافة إلى ذلك ، ففي الوقت الذي اكتفى فيه والد هدام "بتكوين عدد من وزراء بومدين " (هكذا يخلو للابن أن يسمى الأشياء إشارة إلى أن عدداً من الوزراء الذين عملوا مع الرئيس بومدين كانوا من تلاميذ والده) حصل شقيقاه الكبيران على مناصب خطيرة بفضل شبكة النفوذ التي تمكنا من إقامتها بين الإقليم الذي كانا تابعين له وبين دوائر الحزب الواحد في العاصمة . فقد أصبح الأكبر ويدعى "تجنى " ، وزيراً ومديراً لمسجد باريس ، وذلك قبل أن يصبح أحد الأعضاء الخمسة المكونين للجنة العليا للدولة التي تشكلت صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢ .

كان والد هدام يتسم بصرامة أسطورية مع تلاميذه ، وقد نشأ أولاده على التفاني في الدراسة والتفوق في الجامعة . حتى أنه من بين إخوة وأخوات هدام العشرة ، كان أقلهم شهادات يشغل منصب مديراً لإحدى المدارس الثانوية . صحيح أن تلمسان لها قصب السبق في هذا المجال ، بحيث إن أنور هدام ، بالإضافة لأخيه مدير المدرسة ، له أختان طبيبتان ، وأخوان مدرسا رياضيات ، وأخ طبيب جراح ، يدعى لهبيب وهو شخصيه مرموقة في الجزائر ، وأخ كيماني متعاطف أيضاً مع الإسلاميين ، وهو ميل يشارك فيه جميع أفراد الأسرة .

بدأ أنور هدام نضاله في الحركة الإسلامية وهو في السنة النهائية في المرحلة الثانوية . ولكن وعيه السياسي تبلور أثناء إقامته في الكلية المركزية في الجزائر العاصمة حيث التحق بالدراسات العليا في الفيزياء من عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٨ . تأثر كثيراً بمالك بن نبي وأصبح ثنائى الانتماء : انتماء لجمعية العلماء وآخر لحزب الشعب الجزائري "كنت في البداية متأثراً بأبي . كان قريباً جداً من بن نبي ومسالى حاج ، كان بين الاثنين . وقد علمنى مبادئ ، وعلمنى أن الإسلام شيء عظيم إذا كانت هناك دولة إسلامية . الإسلام كل متكامل . بعد ذلك ، فتشنت في الكتب . كان ذلك عام ١٩٧٠ / ١٩٧١ ، وفي عام ١٩٧٢ حضرت جلسات بن نبي في العاصمة وبدأت أنظر إلى الإسلام ليس من منظور المشكلة من أجل الوصول إلى دولة إسلامية وإنما من منظور قضية حضارية . لقد ساعدنى بن نبي كثيراً . كان منهجه علمياً " .

وفي الكلية المركزية ناضل أنور هدام منذ عام ١٩٧٣ / ١٩٧٤ بصحبة تلمسانيين آخرين . كان معه على وجه الخصوص محمد ثابت أول وهو الذي تزوج من شقيقته .

وكان اقتناع أنور هدام وزملائه أن الطليعة وحدها هي الكفيلة بتحقيق ميلاد حركة أوسع ، ومن ثم فقد قرروا " إعداد نخبة وقاعدة شعبية " ، ولعل الوصف الذي يورده أنور هدام لهذه السنوات يدخل في إطار الأسطورة أكثر من الحقيقة . على الأقل فهو يدل على حالة فكرية ويرصد الظروف التي ظهرت فيها المقاومة الإسلامية في الجامعات وفي الأحياء الشعبية " كانت لدينا مساجدنا المستقلة ، في كل مدينة يوجد فيها جماعة من الشباب لإدارة شؤون المسجد . ثم تبلورت الحركة . فأرسلنا بعضنا إلى الخارج للتخصص ، ولذلك سافروا إلى السعودية ليتعلموا الشريعة . وكان لنا مساجد رائدة في كل مكان . وبدأنا نتوغل في مجال التربية ، وفي الجامعات كنا قد درسنا ذلك جيداً . وكنا قد اخترنا طريق التغيير المتدرج . وما يجري الآن هو بسبب النظام . في حين أننا كنا نسير في هدوء . كذلك تسلسلنا داخل السلطة ومختلف الوزارات لنحصل على معلومات من الداخل . كانت منظمة وطنية وهرمية ، لا شيء يحدث في الجزائر بدوننا . كانت هناك دوائر اتصال . وفكرتنا الأساسية كما كان يقول بن نبي ، كانوا يخشون أن نجعل الفكر مكان الصنم " .

حصل أنور هدام على دكتوراه الدولة في الفيزياء كما حصل على منحة دراسية في الاتحاد السوفيتي ، ولكنه رفضها بناء على نصائح زملائه ، وقبل العمل في التدريس لمدة عامين . وفي عام ١٩٨٠ ، قرر نهائياً السفر إلى الولايات المتحدة حيث تمكن من تحويل المنحة الدراسية وهناك حصل على الماجستير فلم تسمح له ظروفه المادية بالحصول على MIT مع أنه تم قبوله فيها . واكتفى بالتسجيل في جامعة أيوا حيث واصل فيها الدراسة حتى عام ١٩٨٥ . وقد سمحت له إقامته في أمريكا بالاحتكاك بمناضلين إسلاميين آخرين والاقتناع بتفرد الجزائري . " في الولايات المتحدة ، كنت على اتصال بحركات إسلامية عالمية وكنت عضواً في حركة جمعية الطلاب المسلمين . وقد كان لذلك أهمية كبيرة في تكويني الفلسفي كما أقنعني بخصوصية القضية الجزائرية " .

في عام ١٩٨٥ ، قطع هدام دراسته حتى قبل حصوله على PHD فقد كان المناضلون الذين دخلوا السجون على أثر أحداث الكلية المركزية عام ١٩٨٢ ، قد بدءوا يخرجون من السجن وأراد أصدقائه في الجزائر تنظيم حركة . وعلى أثر عودته إلى

الجزائر حاملاً الماجستير في الفيزياء النووية عمل أنور هدام عاماً كاملاً في المركز العالي للبحوث . وقد كان هذا العمل الذي توج عدة سنوات من الكفاح ، مخيباً لآماله .

" كنا نمثل نخبة البلاد ، تخرجنا في الجامعات الأمريكية ، ولكن لم يكن هناك برنامج واضح . وقد عادت الأغلبية إلى الولايات المتحدة ، أو تقوَّعت في الجامعة . وهذا ما فعله أنور هدام حيث قرر أن يعمل في التدريس بجامعة باب الزوار . ومنذ ذلك الحين لا يكف عن التصريح بأن البحث العلمي عنصر جوهري لبرنامج الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

وفي الانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١ ، فاز أنور هدام وأصبح نائباً . وعلى أثر انقلاب يناير ، لجأ إلى أوروبا ، ثم إلى الولايات المتحدة ، حيث كان يقوم بنشر بيانات باسم " الوفد البرلماني للجبهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج " . ومنذ ذلك الحين ، لا يكف عن تشجيع الجهاد والنضال المسلح ويحاول الحصول على زعامة الحركة في الخارج . وهذا يفسر إلى حد كبير غلوه في المطالبة بتنفيذ عمليات اغتيال لا يقرها عدد كبير من إدارة الحزب .

«تقنية» مناصرة

سبق أن أشرنا إلى نظرة السخرية التي ينظر بها التقنيون للثيوقراطيين ويطلقون عليهم صفة " الدراويش " . ولفظ " التقنيون " لا يدل هنا على عناصر إدارية يستعين بها الحكام السياسيون ، وإنما يدل على أشخاص قامت الدولة على تكوينهم بهدف خدمة مشروع تنموي لا يؤيدونه الآن . ومن ثم انتظمو في " نخبة - مضادة " تسعى ، باسم كفاءتها ، إلى الاستئثار بقيادة شئون الدولة .

إذاً ، في مواجهة تقنية الدولة التي أحكمت قبضتها على القطاع الوطني ، تقف نتيجة لذلك ، " تقنية " مناصرة قادرة على منافسة السابقة في أرضها وتطالب بلائحة واعتراف سياسي متوائمين مع ما تعتقده من تميزها الثقافي وفائدتها للمجتمع . ولكن ، على خلاف التقنيين في تصور " سان سيمون " ، فإن " التقنيين " الإسلاميين يهتمون أيضاً " بحكم الناس " اهتمامهم " بإدارة الأمور " . وهم إذ يطمحون إلى ثورة

ثقافية تقنية يهتمون بضمان الإنقاذ الجماعي (الخلاص) للنفوس التي تسكن الجزائر ،
بمثل اهتمامهم بإنقاذ الجزائر من التخلف التنموي .

كان من المنطقي إذاً أن تجد معارضتهم للنظام الاجتماعي تجارباً من القطاع
التجاري الخاص . فالواقع أن صغار وكبار التجار في القطاع الموازي ، المعرضين
للاضطرابات الإدارية سوف يجدون تبريراً لصعودهم الاجتماعي في الخطاب
الاقتصادي الليبرالي للجبهة الإسلامية للإنقاذ . إنهم يستمدون منه إدارة أيديولوجية
من شأنها النيل من مكانة منافسيهم في القطاع الحكومي . وبقدر ما يصبحون الممولين
الأساسيين للحزب ، بقدر ما يصبح الحزب البشير بالليبرالية الاقتصادية ، بوضعه
إلغاء الاحتكار على التجارة الخارجية على رأس برنامجه . بل أكثر من ذلك ، ففي حين
أن الميثاق الوطني الصادر عام ١٩٧٦ يصم القطاع الخاص "بالاستغلال" ، فإن
الفلسفة الإسلامية ترد عليه اعتباره وكرامته ، وفي الوقت نفسه تسمح له بالتزود
"بالتسامح" كما تصحح وضعه في لائحة الاستثمار .

إن الانتخابات المحلية التي أجريت في يونيو عام ١٩٩٠ ، ثم الانتخابات التشريعية
التي أجريت في ديسمبر عام ١٩٩١ ، كانت بمثابة تحكيم شعبي بين . التقنيين ونخبة
الدولة . لذلك ، فبينما كان " التيقراطية " ينظرون إلى الاستراتيجية الانتخابية التي
انتهجها الحزب باعتبارها " تواطؤاً لا يغفر " مع النظام ، فإن التقنيين يرون فيها
الوسيلة لتأكيد زعامتهم : " كنا نريد انتخابات بأي شكل ، لأن الظروف هي التي تخلق
الزعماء ، وكان ينبغي علينا أن نثبت أننا نستحق هذه الزعامة . إن الشعب الجزائري
مطالب باختيار الزعماء الحقيقيين " (أنور هدام ، أبريل ١٩٩٣) . ومن ناحية أخرى
فإن حرصهم على التغلغل في أجهزة الدولة ، لا يجعلهم ينادون ، على العكس من
أصدقائهم " التيقراطية " ، بقلب نظام الحكم ؛ ولكنهم يطالبون بإصلاحه . وهم في
هذا الصدد يفرقون بين لجان قانونية حقاً - لكونها مطابقة للدستور - لكنها غير
شرعية - لأنها لا تصدر عن إرادة الشعب - وبين لجان شرعية . لذلك فهم لا يكفون
عن التنديد بعدم شرعية اللجنة العليا للدولة التي تشكلت على أثر استقالة شاذلي في
يناير ١٩٩٢ ، لكنهم لا يهاجمون المؤسسة العسكرية . إذاً فهم يسهمون في استمرار

النظام القائم . وهم بالتالى يؤيدون وجود أشكال التزام مناصرة ولا يهتمون كثيراً بالنظرية الإسلامية المصرية التى تقوم على التدرج ، وذلك بسبب الطموحات السياسية السريعة . فعلى النقيض من " الحكميين " المشايخين لسيد قطب الذين يرون أننا لا يمكن أن نبني دولة إسلامية انطلاقاً من مؤسسات "كافرة" فإن " التقنيين " يؤمنون تماماً بإمكانية التعامل مع المؤسسات القائمة وذلك بأسلمتها . وفى حين يعلن "التيوقراطية" عداؤهم للديمقراطية ، " مؤامرة الغرب واليهود لإفساد عادات المسلمين فى الأرض " ، فإن التقنيين يحاولون "تأميم" مفهوم الديمقراطية (جعلها وطنياً) الذى سبق أن نظره محفوظ نحاس باسم "التيوقراطية" . من هنا كانت التعديلات الكثيرة التى أنجزها مرشحو الحزب ، " ورق نشاف " يوضع " بتصفية أو تنقية القوانين القائمة من خلال الشريعة" (١) .

إنه تصور يعقوبى للشريعة الإسلامية ، مؤلف من اقتباسات عديدة من القوانين الغربية، هو الذى أفرز هذه الترضيات . ومن ثم كانت نية التقنيين فى حالة وصولهم للسلطة ، فى استخدام الأطر الوظيفية العاملة حالياً فى الدولة .

ويرفض التقنيون أيضاً المطالبة بإقامة دولة حكمية لأن ذلك لو تحقق فسيستبعه إعادة النظر فى معرفتهم وخبرتهم عن طريق هيئة العلماء المكلفة بالحكم على جواز أو عدم جواز قراراتهم . كل ما هناك أن التقنيين يدعون إلى تقسيم العمل بوضوح : "المهام السياسية توزع طبقاً لقدرات كل شخص . أما المتمكنون من المعلومات الدينية المحضة فيكونون مكلفين بمراقبة تطبيق الشريعة ويتولون الشؤون التعليمية والتربوية والأخلاقية فى المجتمع" . إنهم على غرار أخوالهم المصريين المنتمين لبعض العلماء ولجمعية الإخوان المسلمين فى مصر، يحاولون طبقاً لمنطلق المشاركة، تطويع الحركة الإسلامية الجزائرية للفعل السياسى الحديث . وعن طريق تجنيد دائم للقاعدة يجعلون من الجبهة الإسلامية للإنقاذ منظمة تهدف إلى تحقيق الاستيلاء على السلطة .

(١) لقاء مع أحد رؤساء المجلس الشعبى فى ولاية تيباسا فى نوفمبر ١٩٩٢

إن الوضع الطبقي للتيوقراطيين والتقنيين يفسر إلى حد كبير أنماط الفعل السياسى المختلفة المطروحة . ففي حين تتجه طموحات التقنيين إلى داخل جهاز الدولة الوطنى المحظور عليهم ، فإن التيقراطية وهم يستغلون المزج الذى تحدثه السلطة بين مفهومى الدولة والوطن، يعبرون عن رفضهم للدولة عن طريق نوع من الشك أو الريبة نحو الوطن ، ذلك المفهوم المستورد من الغرب ، فهم يرون أنه يدعو إلى التمزيق العرقى الذى يتعارض مع عالمية الإسلام . ومع كل فإن الفريقين يجتمعان على رأى واحد فيما يختص بالخصوصية الجزائرية التى يجعلونها نصب أعينهم ، وهم فى ذلك يخضعون لمتطلبات الاندماج فى الخط الذى سار عليه " أسلافهم الأمجاد " .

نخبة الإسلاميين والسيطرة على المجتمع الحضري

التمييز بين إعادة النزعة الإسلامية " عن طريق القاعدة " وإعادة النزعة الإسلامية " عن طريق القمة "، أو الفارق بين ولاة العمل الاجتماعي وولاة العمل السياسي ، كل ذلك لم يستطع أن يأخذ في الاعتبار تنوع التمثيل القائم في مختلف الجماعات المتعايشة داخل الحركة الإسلامية الجزائرية . هذه الجماعات المختلفة وبخاصة " التقنيون " ، من ناحية ، وأنصار الحكومة الإلهية (الحكمية) من ناحية أخرى ، تؤثر في الواقع على القاعدة وعلى القمة . وهي جميعاً مهتمة بالعمل السياسي والعمل الاجتماعي سواء بسواء . وكل منها أيضاً حريص على أن يجعل من التحريك الشعبي "الزراع المسلحة" لتحقيق مطالبها . وبالتالي فإن الحد الفاصل يتجلى تبعاً لطريقة تقبل الجماعة للدولة ، التي هي في نظر بعض الجماعات قابلة للإصلاح ، وفي نظر الأخرى (على المدى الطويل وفي الصورة التي هي عليها حالياً) مدعوة إلى الاختفاء .

والجبهة الإسلامية للإنقاذ ، حينما تجمع بين أساليب منظمة وشرعية ذات طابع تقليدي ، وبين أساليب منظمة وشرعية من النوع الحديث ، فهي ليست حزباً ، وليست جمعية ، وإنما هي جبهة . فعلى نسق جبهة التحرير الوطني ، فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ هي في الوقت نفسه بنية سلطة وبنية أيديولوجية تضم مجموعات سياسية مختلفة ومجموعات اجتماعية مختلفة . ولما كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ثمرة وفاق بين حزب وأطر ، وبين حزب وجماهير ، فهي مننورة بالكامل لهدف الاستيلاء على السلطة .

هذه التركيبة أو هذه التوليفة هي في الواقع ، خلال فترة شرعيته ، كانت ماثار ازدهار الحزب الذي تجاوز الحدود الجزائرية .

وعن طريق العمل على نشر تعليم " أخلاقي " ، تشغيل شبكات من التضامن وتكوين آلة سياسية فعالة إلى حد كبير ، بدت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في عيون المهتمين بوصفها المنظمة الوحيدة القادرة على تحقيق الفعاليات اللازمة للمنظمة ، والدفاع عن الفئات الاجتماعية المعارضة .

عرض سريع للسوسيولوجيا الانتخابية للجبهة الإسلامية للإنقاذ

من خلال تحليل النتائج الانتخابية التي حصل عليها الحزب في الانتخابات البلدية والإقليمية في يونيو ١٩٩٠ ، والانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١ ، يمكن أن نأخذ فكرة عن الانتشار الجغرافي والاجتماعي للجبهة الإسلامية للإنقاذ .

فالانتخابات المحلية التي أجريت في يونيو ١٩٩٠ في المجالس الشعبية البلدية ، والمجالس الشعبية في الولايات ، تمت عن طريق الاقتراع النسبي بالأغلبية . أما النتائج التي قدمتها وزارة الداخلية ، فهي لم تعرض سوى النتائج العامة التي حصلت عليها الأحزاب المتنافسة ؛ أما حجم الأصوات على المستويات المحلية والإقليمية فلم يتم إزاعته . فقط عدد المقاعد التي حصلت عليها كل قائمة متنافسة في كل منطقة انتخابية ، هو الذي تم إعلانه . وبشكل رسمي فقد حصلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على ٢٥,٥٤٪ من الأصوات الصحيحة ، محققة بذلك فوزاً كبيراً على منافسها وهو جبهة التحرير الوطني التي لم تحصل إلا على ٢٨,١٪ من الأصوات .

مع الاقتصار على توزيع المقاعد التي حصلت عليها الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فإن البيانات المعلنه تثبت أن الحركة الإسلامية ظاهرة منتشرة على المستوى الوطني بغالبية كبرى في الحضر .

ولكن باستثناء معازل جبهة التحرير الوطني (في ولاية الطرف في أقصى الشرق ، وينسبة أقل في المقاطعات الريفية في إقليم جيلما وسوق أهراس) والمناطق التي ما تزال العصبيات قوية فيها ، فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعدّ ممثلة على مستوى البلاد .

والحقيقة أن التصويت لصالح الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا يعد رفضاً للحدثة ، بل بالعكس فهو ، في مجملته ، أحد أساليب الدخول في الحدثة . فمن خلال التصويت للجبهة ، التقى الحضريون القدامى والجدد على هدف واحد وهو منازعة جماعات قادة المناطق الحضرية والمواقع الاجتماعية . وعن طريق تنفيذ ونشر بعض أساليب الهوية الجديدة (أسلوب الزي ، كتابة أسماء المدن على لوحات "إسلامية" ، ملء قارعة الطريق في أوقات الصلاة ، إغلاق دور السينما ومحلات بيع الخمر التي تحولت إلى أماكن للعبادة ، استعمال مكبرات الصوت في التبليغ) واختراع نوع من الثقافة التحتية المعارضة ، مما يهدف إلى توحيد وتدعيم عناصر متنافرة ، نجحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في إحياء وتنشيط أماكن اللقاءات القديمة (بخاصة المساجد والأسواق) لقد أعادت الجبهة للمدينة " الإسلامية " طابع المركزية التي كانت تنازعها عليها ، بالرغم من الاستقلال ، المدينة " الأوروبية " ، وأضفت على المدينة دور لم الشمل والتوحيد الذي سلبته الدولة بجعلها أداة من أدوات السيطرة والهيمنة . " لقد طلبنا من سكان المقاطعات وضع لافتات تثبت أن هذه مقاطعة مسلمة . وطلبنا تثبيت هذه اللافتات على طريق المطار . هذا أقل شيء ينبغي عمله لتبين للأخر مدى التغيير الذي طرأ . لقد أردنا أن نبرز الاختلاف بين الولاية القديمة والجديدة . هذا أقل ما يجب " .

ومن الجدير بالذكر ، أن التراجع الذي سجلته الجبهة الإسلامية للإنقاذ في انتخابات ١٩٩١^(١) لا ينبغي أن نبالغ في تقديره . أولاً ، لأنه بالنسبة لانتخابات ١٩٩٠ ، فإن انتخابات ١٩٩١ شهدت أحزاباً إسلامية لم تكن موجودة في العام السابق (مثل حركة حماس بزعامة محفوظ نحناح الذي حصل على ٣٧٠,٠٠٠ صوت بنسبة ٥,٣٥٪ من الأصوات الصحيحة) وحركة النهضة الإسلامية بزعامة عبد الله جاب الله (التي حصلت على ١٥٠,٠٠٠ صوت ، بنسبة ٢,٢٪ من الأصوات) وقد أهدرت هذه الأحزاب الجديدة عدداً كبيراً من الأصوات التي كانت ستؤول إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، في حالة عدم وجود هذه الأحزاب . نضيف إلى هذا السبب سبباً آخر ، وهو أنه في انتخابات ١٩٩٠ ، كان يحق للناخبين انتخاب أحد أفراد أسرهم ،

(١) فقد الحزب أكثر من مليون صوت بالنسبة للانتخابات في يونيو ١٩٩٠

وقد سقط هذا الحق في انتخابات ديسمبر ١٩٩١ . مما قد يكون قد " حول " بعض أصوات الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن طريقها . وأخيرا ، ففي انتخابات ١٩٩٠ ، وهي أول انتخابات حرة في تاريخ الجزائر ، كانت نسبة المشاركة الرسمية في الانتخابات ٦٥,٢٪ ، في حين أن هذه النسبة هبطت بشكل واضح عام ١٩٩١ (٤١٪ ممتنعون) . ومع ذلك ، فمع ٤٧,٢٧٪ من الأصوات الصحيحة المشاركة في الدور الأول من انتخابات ديسمبر ، و ١٨٨ مقعداً من بين ٤٣٠ مقعداً (في مقابل ٢٥ مقعداً لجبهة القوى الوطنية و ١٦ مقعداً لجبهة التحرير الوطني) استمرت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في تقدمها باعتبارها أول قوة سياسية في البلاد . يدل على ذلك الانتشار الجغرافي للحزب ، الذي استطاع ، بالنسبة لنتائجه في يونيو ١٩٩٠ ، أن يكتسح معازل جبهة التحرير الوطني (وخاصة في الجنوب) ويحقق اختراقاً في القبائل ، حيث جاء مرشحوه بعد مرشحي جبهة القوى الاجتماعية مباشرة في بعض الولايات .

وبصفة عامة ، إذا كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، في فترة شرعيتها ، أثبتت وجودها الطاغى في المراكز الحضرية الكبرى وفي المدن المتوسطة وضواحيها القديمة ، فقد كانت الجبهة أيضاً موجودة بشكل واضح في المناطق غير المأهولة بالسكان والمناطق التي قضى الاستعمار على بنيتها الاجتماعية .

كذلك فقد حققت الجبهة نتائج خففت من الفوارق بين : مدينة وقرية ، وأحياء غنية وأحياء فقيرة ، تلك الفوارق التي لوحظت في الانتخابات المحلية في يونيو ١٩٩٠ . هذا الطابع الدامج للتطبقات عند الجبهة جعلها تشعر بقوةها الوطنية ، تاکد حينما طالب بإجراء انتخابات رئاسية ، وهي السبيل الوحيد الذي يفتح لها أبواب السلطة الحقيقية .

مجمال القول ، هذه التركيبة الاجتماعية غير المتجانسة هي التي أضفت على الجبهة طابعها المزيج كحركة اجتماعية ، أي تعبير عن الفئات الاجتماعية المقهورة ، وكحزب حديث ، أداة ارتقاء نخبة تبحث عن شرعية شعبية . ومن ثم ، كان التناقض الظاهر بين الخطاب الراديكالي وأحياناً العنيف ، المفوض للتعبير عن مطالب الحركة الاجتماعية - ذلك الخطاب الذي سيمد الحركة بجانب كبير من أعوانها وشرعيتها - وبين المواقف السياسية المحددة ذاتياً والمستهدفة للمحافظة عليها داخل لعبة دستورية تضمن البقاء القانوني للحزب والوضوح السياسي للقادة .

جهاد سياسى ووظيفة قَبَلِيَّة

من الجدير بالذكر ، أن انتفاضات الأحياء التى نتجت عن انقلاب يناير ١٩٩٢ ، لم يكن عملاً منسقاً ومدروساً ، بل انطلق فى الحقيقة بعيداً عن أى توجيه من جانب الحزب . إن انتفاضات باب الواد فى فبراير ١٩٩٢ كان هدفها الأساسى فى الواقع هو الدفاع عن الحى (houma) ضد تعديات الدولة الممثلة فى " الخوذات الزرقاء " وفرق مكافحة التمرد .

وقد انتشرت ظاهرة الاهتمام بهوية الحى ، بشكل خاص من أجل الحد من أخطار تدخل قوات الأمن ، لصالح القتال المسلح الذى يقوده " أمراء " قرىنا أسماعهم بأسماء الأماكن التى يقيمون فيها : محمد ليفيللى ، جعفر جولى ، أحمد تياريه .

لقد بسطت الجبهة الإسلامية للإنقاذ سيطرتها فى المناطق التى لا تهتم بالسياسة ، أما القطاعات المسيحية والنقابات ، والمنظمات اليسارية ، والمنظمات البربرية ، فهى وحدها التى تقاوم المد الإسلامى .

واستجابة لرغبة القادة فى كسب وتحريك قاعدة شعبية، شكلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ منظمة هرمية ، تبدأ من القمة إلى القاعدة ، جاءت بنيتها على نسق الإدارة الوطنية .

أما إدارة الحزب ، فإن قراراتها تكون بالأغلبية . وهى تتكون من لجنتين : مجلس الشورى والمكتب التنفيذى .

للمادة ٣٢ من اللوائح التأسيسية للحزب ، فإن المؤتمر ، الذى لم يعقد على الإطلاق ، ينبغي أن يعقد كل ثلاث سنوات ومهمته انتخاب أعضاء مجلس الشورى الوطنى الذى يضم من بين أعضائه رؤساء المكاتب التنفيذية الإقليمية . ويوصفه اللجنة العليا للحزب ، كان مجلس الشورى لم يكن يضم ، حتى مؤتمر باتنة ، سوى خمسة وثلاثين عضواً مؤسساً . ومع ذلك فقد تم توسيعه بحيث أصبح يضم المسؤولين المحليين للحزب منذ شهر أغسطس ١٩٩١ .

أما المكتب التنفيذى ، المنبثق عن المجلس الاستشارى ، فقد كان يتألف من حوالى عشرة لجان (وهى مقسمة إلى أقسام) موزعة على أعضاء مجلس الشورى .

أما البنى المحلية الإقليمية للجهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد جاءت نسخاً من البنية الوطنية ، وتمارس وظيفة " التمثيل الجغرافي " بقدر ما هي " تمثل الوحدة الوطنية وتمثل مجموع الطبقات الاجتماعية الجزائرية " .

وكما أن قادتها المحليين يحملون ألقاباً عسكرية . وقد تمكنت الجهة سريعاً من تشكيل هذه البنى المحلية بفضل نسيج المساجد والشبكات السرية الموجودة قبل مولد الجهة .

نشر الأخلاق الحميدة :

" التصويت لصالح فيس^(١) ، تصويت ضد إبليس " هذه العبارة الرجيمة تلخص جوهر الرسالة السياسية المعلنة من الحزب بمناسبة الانتخابات التشريعية التي أجريت في ديسمبر ١٩٩١ .

والجهة الإسلامية للإنقاذ تجعل من " فساد العادات " جواد معركتها الرئيسية . وهي ترجع الممارسات " التغريبية " ، كما تسميها ، إلى الجماعات الحاكمة التي استوردتها من الخارج . ولإصلاح هذا الوضع ، تقترح الجهة نشر الأخلاق الحميدة التي تقوم على مبدأ المسؤولية . وزعماء الجهة لا يحاولون أن يعدوا الناس بجنة أرضية ، ولكنهم يركزون على أهمية العمل في هذه الدنيا . وبذلك يصبح كل إنسان أمام تحدٍ يتولى فيه أمر قدره .

وعن طريق قمع الرغبات ، وتحويل الحرمان إلى فضيلة ، فإن زعماء الجهة يجعلون من أنفسهم رسل نوع من " البروتستانتية " التي تتيح لمريديها التغلب على قلقهم واضطرابهم ، وفي الوقت نفسه تقنعهم بفائدتهم الاجتماعية . فبالثناء على أهمية العمل وعلى قيمة الإنسان ، يمكن لهذه الأخلاق الحميدة التطهيرية ، بصفة عامة ، أن تسهل عملية الانتقال من الاقتصاد الذي يعتمد على العائد إلى اقتصاد السوق .

(١) Fis الحروف الأولى بالفرنسية للجهة الإسلامية للإنقاذ .

وأياً كان الأمر ، فإن اعتناق الأيديولوجية الإسلامية ، يتيح للمهمشين تحقيق صورة مشرقة لأنفسهم . فهذه الأيديولوجية تنتزعهم من العزلة ، وتضعهم في رباط اجتماعي ، وترقى بهم إلى درجة هوية فردية . يشهد بذلك اعترافات العديد من الأفراد الذين عادوا للإسلام حديثاً ، الذين يرون أن " البعث الإسلامي ، بعد قرن من "الفوضى" (ترجع أغلبها إلى إدمان الخمر) جاء ليحقق الاستقرار الطبيعي والمتناسق : "بدأت أرتدي الحجاب على أثر حلم رأته إحدى صديقاتي . كان حلمها يمثل جهنم ، كانت تلك النهاية [...] كأنما هو يوم الحساب . قبل ذلك ، لم أفكر في هذا الأمر مطلقاً . ولكن منذ ذلك الحلم بدأت أفكر في ارتداء الحجاب " (لقاء في الجزائر العاصمة في يناير ١٩٩٣ مع ليلي ، وهي سكرتيرة مطلقة ، من مواليد ١٩٥٣ في مليانا) .

إن المتناقضات التي يعبر عنها أفراد يخضعون لازدواجية المرجعية الغربية والإسلامية يتمثل في الغالب في الشعور بالذنب وبخاصة في موضوع الجنس . لذلك فإن الخطاب القامع جنسياً الصادر عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وبخاصة الموجه للفتيات ، يتيح لهن السمو بغرائزنهن . وهن يرين في الحجاب نوعاً من الملاذ الذي يبذل شعورهن بالذنب . ذلك أنهن يعتقدن أن " غوايتهن " للأخريين شيء "مدنس" . "حينما كنت صغيرة ، كنت أرتكب الحماقات . وإذا كنت أرتدي الحجاب ، فذلك نوع من الندم " (ليلي) .

أما الفتيان الذين يستشعرون القمع الجنسي بطريقة أعنف ، فإنهم يجدون في الصلاة وفي مقاومة الاختلاط اللطيف الوحيد لتمزقهم . "في الماضي ، كنت أقوم تقريباً بما يقوم به الكفار . نعم لذلك فأنا أعتزف بأنني دخلت في دين جديد . بسبب الحماقات التي ارتكبتها ، وأطلب من الله أن يغفر لي . " (لقاء في الجزائر في يناير ١٩٩٣ ، مع محمد ، وهو سكرتير في شركة أدوية . ومناضل من الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، أعزب ، من مواليد ١٩٥٩) .

وبتحقيق طهارة النفوس ، تقترب طهارة الأجساد التي تتخلص من أدائها وخطاياها خمس مرات في اليوم طبقاً لنظام ثابت .

وكثمرة لمفهوم مثالي ، فإن الدولة الإسلامية تصبح ، منذ ذلك الحين ، وكأنها وسيلة لتحقيق وعود المساواة الخاصة بالاستقلال . " حينما يتم تطبيق الشريعة ، ستكون هناك عدالة . وهذا هو المهم . مما يسعد الإنسان أن يلتقي بأناس شرفاء .

أناس لا يسرقون . فى حين أن ما نراه يحدث الآن ، هو بحق الكارثة . فمثلا علبة السجائر التى تساوى عشرة دنانير ، البائع يطلب فيها خمسة وعشرين . هذا الرجل لو عرف حقيقة الإسلام وحقيقة الشريعة ، لا أظن أنه كان سيبيعها لى بخمسة وعشرين ديناراً " (فريد) .

إن انتشار مثل هذه الأخلاق الحميدة سيكون له تأثير كبير على تراجع معدلات الجريمة. ويسهم فى إعطاء سكان الأحياء الشعبية الشعور بالأمن والسلام المقفودين .

وإذا كانت جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقوم بهذه المهمة قبل ميلاد الحزب ، حيث كانت تحارب إدمان الخمر والمخدرات والفساد ، فإن عمليات " نشر السلام والأمن فى الأحياء ترجع بالفعل إلى أواخر الثمانينيات " . كانت الأحياء لا تختلف عن أحياء باريس من حيث انتشار الجريمة والاعتداء على المارة حتى فى شهر رمضان . والشرطة لا تستطيع شيئاً مع هؤلاء المجرمين . كانت مافيا بمعنى حقيقى . ثم جاءت جماعة الأمر بالمعروف واستخدمت مع هؤلاء العصاة أسلوب الترغيب والترهيب . فبأخذونهم بالرفق فى بادئ الأمر ، ثم يحذرونهم مرة ومرة . وفى النهاية يقولون لهم " هذه فرصتكم الأخيرة وإلا اقتدناكم إلى الشرطة " .

إن فرض احترام النظام والأمن يمكن اختصاره فى عبارة " لا يجوز " التى انتشرت على جميع مستويات الحياة فى الحضر . وهكذا فصبيحة انتخابات يونيو ١٩٩٠ قام المجلس الشعبى المحلى فى مدينة تيباسا بمنع الرجال من ارتداء الشورت فى الشوارع ، وكذلك فى حوران ، حيث منع تنظيم مهرجان للموسيقى الخلية . ومع ذلك فإن هذه الإجراءات كانت تتم بشيء من المرونة حتى لا يصدم الشباب مع استعمال القوة المفيدة ، وفى مقابل التجاوز عن بعض هفوات مافيا الأحياء فى مقابل الحصول على مساعدات مالية سخية .

وهكذا تحولت الأحياء فى المدن الكبرى إلى " جمهوريات إسلامية " صغيرة حقيقية مستقلة .

ولكن أمام التحدى الذى كان يتمثل فى عبء الانتقال من المجتمع الريفى إلى المجتمع الحضرى الذى غالباً ما يدع الفرد وحيداً مع نفسه ، فإن العديد من الجزائريين من أصول مختلفة يشعرون فى واقع الأمر بحاجتهم الملحة إلى ركائز أسرية ،

وفي الوقت ذاته تتوافق مع الظروف الجديدة التي تواجههم . إن الإسلام يقدم لهم في هذا الصدد همزة الوصل بين التقاليد والحداثة .

ويتيح لهم فرصة استكشاف حياة اجتماعية وسياسية كفيلة بتجاوز التوترات بين ما هو جماعي وما هو فردي . إن الإسلام ، إذ يقدم للمسلم قواعد جديدة للسلوك الجماعي ، فإنه يحطم عزلة النّبيّ ، ويعطى الشباب صورة مشرقة عن أنفسهم . وهو باستكشافه لبروتوكولات دينية تولى ظهرها للممارسات التقليدية العتيقة – مثل ارتداء الـ haik الخاص بالأمهات والجداوات ويجعل مكانه حجاب الفتيات – مع إضفاء الشرعية عليه ، فإن المناضلين الإسلاميين بذلك يقومون بعملية " تجديد " ديني واجتماعي أيضاً . أنهم يؤكّون من جديد الدور الاجتماعي لأشياء بطل استعمالها لكى تجارى دينامية الحياة العصرية الجديدة . هذا النوع من التفنن الذى ينعكس على ما يخص الجسد ، وبالتالي على المرأة وعلى الجنس ، يتيح للأفراد الفرصة لاحتلال مكانهم فى النظام الاجتماعي الجديد . وبذلك نجح بعض الشباب من الأجيال الحديثة فى استئناس النموذج الأبوي للتخلص منه بصورة أفضل ، فى حين التزمت بعض النسوة ، فى الظاهر ، بضغوط النظام الذكوري لكى تتحرر منه بشكل أفضل : " نعم للمرأة المتحررة ، ولا للمرأة المتمردة " (عنوان مقال بالفرنسية فى العدد الثانى عشر من صحيفة المنقذ) . وبدلاً من فرض الحجاب بالقوة ، فارتداء الحجاب قبل أن يصبح رد فعل عام ضد " تغريب " العادات ، يمكن أن يمثل إحدى وسائل التكيف مع المشكلات التى تنتج عن التحول إلى المجتمع الحضري . ففي الريف ، حيث المرأة لا تصادف فى طريقها رجالاً ، فهي لا ترتدى الحجاب . أما فى الوسط الحضري ، فإن الحجاب يسمح للمرأة بارتداء الأماكن العامة (كالجامعة ، ومكاتب العمل) لذلك ، فإن بعضهن ، بدلاً من الرجوع إلى التقاليد واستعمال الـ haik الذى كانت تستعمله أمهاتهن ، ارتدين الحجاب على الطريقة الإيرانية^(١) .

(١) فى هذا الموضوع انظر : نوايفور جول ، مسلمات وعصريات : الحجاب والحضارة فى تركيا ، باريس ، لاديكوفيرت ، ١٩٩٣ .

" أسلمة الحداثة ، لا تحديث الإسلام " هذه العبارة تدل بوضوح على أن الحداثة التي يسعى إليها الإسلاميون هي حداثة تتمسك " بالاستقلالية والتفرد " ، ولكنها لكي توفق بين الهوية العربية الإسلامية وبين التقدم التقنى ، تصادف بعض الصعوبات الجمة بالنظر إلى عنف التوترات الموجودة بين تأكيد الفردية والولاء الجماعى . إن جنوح بعض الشباب المهمش إلى العنف ، لا يدل على رفض الحداثة ، وإنما هو نتاج هذا الوضع . إن الاحتمال ضئيل فى أن يتمكن الإسلام فى يوم من الأيام من إلغاء المسافة بين مشروعه الجماعى (الذى يخص الأمة والجماعة) وبين الخفقات الفردية عند المؤمنين ، وذلك دون إقامة نظام سياسى متحكم . ولكن ، أليس العنف الذى يسم العلاقات الاجتماعية فى الجزائر يعبر عن آخر مراحل المقاومة التى يبديها المجتمع التقليدى ، قبل ظهور مجتمع حديث يبرز فيه الفرد بوصفه مواطناً ؟

طرق العودة إلى الإسلام

إن مسالك العودة إلى الإسلام ، وقد حفرت بعمق في التجارب والخبرات العائلية والتربوية والاجتماعية المتفردة ، فهي لا تمضي في اتجاه واحد ، ولهذا السبب ، فهي أيضاً لا تقرأ في يسر وسهولة إلا بالغوص في حميمية الحياة والانتظارات والتوقعات والانتكاسات والالتزامات التي مر بها من خبروها وساروا في دروبها . وحسين ومصطفى مثالان على ذلك .

استعادة الشعور بالاحترام

عاش الشاب حسين تجربة العودة إلى الإسلام وهو في سن المراهقة . ولد عام ١٩٧٠ في حي شعبي في العاصمة . كان جداه لوالده فلاحين متواضعين يفلحان الأرض ويربيان الماشية في إقليم جيجيل Jijel . أثناء حرب الاستقلال ، كانا يزودان المجاهدين بالموثني . ولد الأب ١٩٤٢ واستقر في الجزائر عام ١٩٥٤ ، بعد أن هجر قريته التي ولد فيها . عمل في البداية مرءوساً في وظيفة في القطاع العام ، قبل أن يلحق بأحد المطاعم ، ثم عمل سائقاً لسيارة أجرة . واستطاع أن يلتحق بالدراسة مساءً مما ساعده على تعلم اللغة العربية قراءة وكتابة وقشور من اللغة الفرنسية . في ١٩٦٧ وهو في سن الخامسة والعشرين تزوج من فتاة من إحدى القرى القريبة من قريته جاءت إلى العاصمة في عام الاستقلال . كان أبوها قد عاد من فرنسا بعد دراسة المحاسبة وانخرط في جبهة التحرير الوطني في مقاطعة جيجيل حيث عمل محاسباً نظراً لتمكنه من اللغة الفرنسية . في ١٩٦٨ ، رزق بأول مولود وهو طفلة هي الآن ترتدي الحجاب بعد أن انتهت من دراستها العلمية ، وهي بلا عمل بالرغم من حصولها

على الشهادة . وكان حسين المولود الثانى . وكان الثالث طفلة ولدت فى عام ١٩٧١ ، التحقت ، بتأثير حسين بالدراسات الإسلامية ، وهى ترتدى الحجاب أيضاً . ثم رزق الأب بابن ثان عام ١٩٧٢ قطع الدراسة الإعدادية ، وعمل فى قطاع صناعة الملابس قبل أن يلتحق بالجيش حيث أدى الخدمة العسكرية . وهو ، وإن لم يكن يرتدى القميص على خلاف حسين ، متعاطف مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وقد رزق الأب بعده بستة أبناء آخرين . أولهم فى عام ٧٤ ، درس الإدارة والقانون واشترك فى النضال فى صفوف الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو يرتدى القميص . أما الثانى الذى ولد عام ١٩٧٥ فقد ترك المدرسة ليلتحق بعمل فى مجال صناعة الملابس ، قبل أن يعمل فى تجارة الحقيبة (الشنطة) وهو يتمسك بانتمائه للجبهة الإسلامية للإنقاذ مع أنه لا يلتزم بالمظهر الخارجى . أما الثلاثة الآخرون الذين ولدوا فى ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٢ تباعاً ، فهم على التوالي فى الفرقة الخامسة والثامنة والتاسعة . والثلاثة يصومون رمضان . أما آخر الأبناء العشرة فقد ولد عام ١٩٨٧ وهو مصاب بتخلف عقلى ، لم يتمكن أهله من إلحاقه بمدرسة متخصصة . ويعيش أفراد الأسرة الاثنا عشر فى شقة من حجرتين استأجرها الأب منذ عام ١٩٦٢ بمائتى دينار فى الشهر . ولكن ، عائلة عم حسين ، وهى تتكون من ستة أفراد ، ظلت تشاركهم الشقة لمدة أحد عشر عاماً . وكان لابد من الصبر وقوة التحمل وأحياناً روح الدعاية لاحتمال الضجيج والإزعاج . وإذا كان البيت مزوداً بالماء الجارى فإنه ليس به هاتف بالرغم من كثرة الطلبات المقدمة . ويبلغ دخل الأسرة الشهرى بين عشرة وخمسة عشر ألف دينار حسب راتب الأب . ويتقاضى حسين راتباً بسيطاً ، ثلاثة آلاف دينار فى الشهر ، من إحدى دور النشر للكتب الإسلامية .

ويحتفظ حسين بذكرى السنوات الصعبة فى طفولته : " النشأة فى حى شعيبى ليس بالأمر الهين . كانت لنا عادتتنا وتقاليدينا ، منها أن المرأة لا تتحمل عبئاً . فكنت أقوم بنفسى - بالإضافة إلى دراستى ، بجميع المشتريات الخاصة بالبيت (١) .

وما يزال حسين يتحسر على أيام القرية التى ظل حتى سن السادسة ينتقل إليها لزيارة أجداده خلال العطلة المدرسية . وهى ذكرى تقترب دائماً بالحنين . " كل شيء نظيف ، واضح ، أصيل ، كنت استيقظ فى الصباح قبل شروق الشمس .

(١) لقاءات فى العاصمة ثم فى باريس بين نوفمبر ١٩٩٢ وديسمبر ١٩٩٤

وكان عند جدتي أبقار ، فكانت تعدّ لى أكواباً كبيرة من اللبن . وكنت أزور سكان القرية . كنا نصطاد السمك معاً . وكنا نذهب فوق البغال لإحضار الماء . وكنا نتسابق فى الطريق . وكنت شديد الارتباط بعمّتي لى كانتا تعيشان هناك . إحداهما كان لها ابن فى مثل عمرى . كنت أقوم بأشياء كثيرة فى الريف " .

والحقيقة أن عائلة حسين لم تكن مهياة لى تعيش الانقلاب الذى يمثله الانتقال المفاجئ من الريف إلى المدينة . لذلك لم يكن حسين راضياً بذلك ، وكان يحاول أن يكيف نفسه مع المحيط الجديد الذى لا يفهم قواعده وعاداته . " فى الريف ، البيوت معزولة ومتباعدة . حينما يمر المرء بالقرب من امرأة يخفض كل منهما رأسه . فلا تظهر المرأة لى أحد . لقد احتفظت القرية بالعادات الإسلامية . " ومع ذلك ، فإذا كان حسين يحتفظ بذكرى الريف ، فقد أصبح يحمل قيماً حضرية تجعله يصطدم ببعض العادات القروية . " بعض العادات الريفية ليست إسلامية . فمثلاً ، فى أفراح الزواج ، يقوم بعض العجائز بالعزف على الناي وبق الطبول ، وترقص النسوة . وهذا ليس من الإسلام فى شئ " . وعلى شاكلة إخوانهم الكبار ، أراد حسين ورفاقه أن يفرضوا بعض العادات على المجتمع الريفى الذى خرجوا منه وفقدوا الكثير من ملامحه . " منذ عام ١٩٨٥ ، انقطعت هذه العادات لحسن الحظ . فقد أصبح لجماعات المساجد نفوذ كبير فى القرى . فالآن ، الذين يريدون إحضار الموسيقيين عليهم أن يدفعوا الغرامة للمسجد . وأسرتى التى ظلت مرتبطة بالعادات ، تأثرت بالحركة الإسلامية وعودة الإسلام . وهى تعود شيئاً فشيئاً إلى الإسلام وتحاول أن تسير فى الطريق القويم " .

والتحق حسين بالمدرسة فى سن السادسة . وتعلم العلاقات الاجتماعية الخاصة بالحضر . فبدلاً من الود والصفاء فى الريف ، وجد العنف فى المدينة . وأصبح حسين زعيم عصابة . " عرفت فى المدرسة أولاداً أكثر منى قسوة ووحشية . كنت قد تعلمت القسوة . لأن فى الأحياء الشعبية هناك كبار يسرقون ويقتلون . أما أنا فكنت قاسياً تقريباً . كنت أمارس الكاراتيه فى الريف وكنت أغلب أصدقائى . وفى المدرسة صادفت من هم أقسى منى . وقد سرقوا منى قلماً فنارت ثائرتى . وكونت عصابة من اللصوص وقررنا أن نسرق . كانوا يسرقون ويحضرون لى الحصيلة . وكنا نتقاسمها فى نهاية كل شهر " .

ويذكر حسين تلك الفترة على أنها زمن "الإجرام" . في حين كانت أسرته أسرة "محترمة" . كان يرتكب الجرائم وكان من الممكن أن يظل هذا العار لاحقاً به إلى الأبد . كذلك فقد بدأ يؤمن أنه يسعى نحو الضياع . واتضح له جلياً أن عالم القرية كان من الممكن بكل تأكيد أن يحميه من مثل هذا الضياع . " في الريف ، كنت أشعر أنني في مكان آمن . كان من الصعب على المرء أن يسرق أو أن يخلق مشاكل ، لأن الناس جميعاً يعرف بعضهم بعضاً . " وجاءته الهداية على يد معلم اللغة العربية لعب دوراً رئيسياً في " تحوله إلى الإسلام . " كان المعلم إذا حان وقت الصلاة يوقف الدرس ويعلمنا الصلاة . وهذا ما ينبغي أن يكون في المدرسة الإسلامية . لقد تأثرت كثيراً لدرجة أنني بدأت أصلي " .

زودت التوبة حسين بمعايير جديدة جعلته ينظر لما حوله نظرة جديدة . أدرك أن اللصوص لديهم عذرهم . لكن كان من الممكن أن يعملوا في تجارة الحقيبة ليكونوا في سلام مع خالقهم . ثم وجد علاقة سبب ونتيجة بين حماسته الدينية ونجاحه في الدراسة . لقد أصبح الثاني على أقرانه في الفصل . وقليل ما يذكر حسين أباه . وكان يأسف لأنه لم يهتم بتعليمه أمور الدين . لكنه يتحمس وينفعل لذكرى الرجال الذين تركوا أثراً في حياته الأولى . مثل معلم اللغة العربية ، وخاله الذي كان يصحبه إلى شاطئ البحر . كان يلاحظ أن الكثير من الناس يملكون أشياء لا يملكها . وأن الأطفال الآخرين لهم إخوة كبار يحمونهم من اعتداءات الآخرين .

وعوضاً عن الإخوة الكبار ، التقى حسين " بإخوته " في سن السادسة عشرة ، فقد تعرف على جماعة من الزملاء الذين عادوا إلى الإسلام وأقنعوه بالانضمام إلى حلقة صغيرة تجتمع حول الشيخ الهاشمي سحنون " . كنت أشعر أن هؤلاء الزملاء أسمى مني بسبب أخلاقهم الحميدة . وهذا ما جذبني للانضمام إليهم . كذلك فقد كان الإسلاميون في فرقتي هم أكثر الزملاء تفوقاً في دراستهم . كنت أحب أن ألتقي بهم ، لأنهم كانوا أقوى مني " .

أصبح الالتقاء بهم يوفر لحسين نوعاً من الاحترام الذي كان يحلم به : " حينما بدأت أمارس شعائر الدين ، عرفت كثيراً من الأصدقاء ، بدأنا نلتقي في المساجد .

فى البداية كنت لا ألتقى بأحد فى الحى . كل ما هناك : صباح الخير ، مساء الخير . لذلك كان الناس يحبوننى ولا يذكرون الآخرين بسوء أمامى . حينما كانوا يروننى مقبلاً ، كانوا يخفضون صوت المذياع . بالإضافة إلى الشيخ الذى كان يدير الحلقات فى المسجد ، كان هناك المرشد العام ومدرسون شبان كانوا يعاملوننا كأخوتهم . كانت علاقتى بالشيخ سحنون وطيدة . وكنت أشعر أننى لا يمكن أن أنفصل عنه .

وكان دخول حسين فى الإسلام أشبه بميلاد جديد . وحاول حسين أن يكون مجموعة ويلقى عليها الدروس التى تعلمها لكنه صادف معارضة من إمام المسجد الذى اختاره ، لأن الرجل كان يخشى انقطاع راتبه الذى يأتية من الوزارة . فتحايل حسين ورفاقه لجمع مبلغ من المال لتعويض الرجل عن الراتب . واستطاع حسين أن يعطى الدروس . وشارك فى تنظيم رحلات إقامة على شاطئ البحر . كانوا يستيقظون فى الرابعة صباحاً ويبدءون يومهم بالصلاة وحلقة درس لمدة نصف ساعة ، ثم حفظ القرآن ومدارسته لمدة ساعتين . بعد ذلك تخصص فترة الصباح للرياضة والسباحة . وبعد الراحة يحضرون حلقات الدرس مرة أخرى ، ويدرسون علوم الدين حتى يحين العشاء . كذلك كان حسين يشارك فى أعمال الخير التى تنظمها جمعية المسجد . كان يحصى العائلات الفقيرة ويوزع عليها كل شهر جزءاً من حصيلة الزكاة .

الاندماج مع الناس والتعايش الاجتماعى

بسطة المساجد التى أصبحت تابعة للحركة الإسلامية مجال نشاطها شيئاً فشيئاً على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية فى الأحياء . فمن عقد الزواج إلى طهارة الأطفال إلى غسل الموتى وتكفينهم ونقلهم إلى المقابر ، كل ذلك يتم على نفقة الجمعيات الخيرية التابعة للمساجد .

فحينما وقع الزلزال الذى هز منطقة تيباسا فى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٨٩ ، بلغ مجموع التبرعات التى جمعت من مساجد الإقليم وحدة مليون وثمانية ألف دينار . ومع غياب الوجود الفعلى للدولة ، قامت المساجد أيضاً بجمع المواد الغذائية والأغطية والملابس التى امتلأت بها ثلاث وثمانون عربة نقل وخمسون سيارة يتبعها أكثر من

ستمائة متطوع انطلقوا جميعاً إلى القرى المتضررة . كما قدمت لجان الإعانات في المساجد مبلغ عشرة آلاف دينار (خمسة عشر لأكثر الأسر حاجة) لكل أسرة من أسر الضحايا الأربع والعشرين . في حين تم تقديم ألف دينار لكل متطوع شارك في عمليات الإغاثة .

كذلك مارس بعض أئمة المساجد عمليات فك السحر وطرده الشياطين من الأشخاص المسوسين ، وهي عادة قديمة تم تهذيبها والاستعانة فيها بأيات من القرآن الكريم . ولعل انتقال الأسر من القرى إلى الحضر لم يصحبه التكيف المناسب مع أسلوب الحياة الجديدة ، مما سبب الاضطرابات النفسية والاجتماعية ، كذلك نشأت مثل هذه الاضطرابات بسبب عدم الاستقرار العاطفي وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الجنسين . الأمر الذي ملأ مستشفيات الأمراض النفسية بالشبان المصابين بحالات المس . والكثير منهم ، بعد أن فشل علاجهم ، لجأوا إلى الأشخاص الذين يعالجون هذه الحالات عن طريق التعزيم والتعويزات . ومن الملاحظ أن المصابين بمثل هذه الحالات شبان وشابات بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين . ومن الجدير بالذكر أن تردد هؤلاء المرضى على العيادات النفسية قد انخفض بعد ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

في انتظار الدولة الإسلامية

كان حسين ، مع قيامه بالأنشطة الدينية ، يتمرّد على المدرسة الثانوية حتى رسب في البكالوريا عام ١٩٨٩ . بعد ذلك سافر إلى المملكة العربية السعودية حيث حاول التسجيل في أحد المعاهد الإسلامية حتى يعود إلى الجزائر ليقوم بالتدريس في الجامعة الإسلامية بالعاصمة . وفي مكة ، حيث أدى العمرة ، تقدم لامتحان لهذا الغرض . ولما تم قبوله ، عاد إلى الجزائر في انتظار خطاب يؤكد قبوله . لكن الخطاب لم يصل . ولعل السبب في التأخير كان ببطء الإجراءات الروتينية . غير أن حسين يصرح بأن " الجزائريين أصبحوا لا يطاقون في السعودية لأنهم متهمون بأنهم يستغلون فرصة الحج للسفر إلى أفغانستان " .

والأيأس الذى يعود على حسين لا يعود إلى هذا الموضوع وحده . إنه يشعر بنوع من الاكتئاب الذى لا يرجع فقط إلى فترة المراهقة التى يمر بها : " أحياناً ، أشعر باليأس لدرجة تجعلنى أشعر بالرغبة فى مغادرة البلاد . الحياة صعبة اليوم فى الجزائر . نشعر كأننا غرباء فى بلدنا . الحد الأدنى الذى ينبغى أن يتوافر للشخص فى بلده ، لا يوجد " .

هذا الحد الأدنى ، هو بلا شك الوظيفة والسكن اللذين بدونهما لا يكون المرء " مندمجاً " فعلاً فى المجتمع حينما يكون قد هاجر إلى الحضر حديثاً . إن رب الأسرة اليوم لا يستطيع أن يوفر الحد الأدنى لأسرته . لقد أعرض حسين عن الزواج من ابنة عمه لأنه لا يستطيع أن يفتح بيتاً . وحسين لا يحمل الجزائريين تبعه هذه الأوضاع . السبب هم " الأجانب " الذين وضعوا أيديهم على البلاد . " معظمهم من الغربيين . وبعضهم شيوعيون ، وفرنسيون . ومنذ سنوات بدأ الأمريكيون يدلون بدلهم " .

إن دمار المجتمع التقليدي فى صورة القوضى الجنسية يجعل من الحفاظ على أصالة " الشخصية النسائية " الضمان الوحيد لاستمرار النظام الأسرى وبالتالي الاجتماعى .

إن أمل حسين اليوم هو إقامة الدولة الإسلامية التى تقوم على الشريعة ، مع الأخذ فى الاعتبار جميع المستحدثات التى طرأت على المجتمع . وهو يخشى من تسلط شهوة المال . ولكى يحفظ المجتمع الجزائرى من هذا الوباء ، يرى أنه من الضرورى الالتزام بقواعد الإسلام ، فهى التى ستقرب الفوارق . والمرأة فى نظره يمكن أن تعمل ، ولكن فى المحيط المخصص لها . وبالنسبة لزوجته فى المستقبل ، فهو يريد لها " سلفية متدينة " ترتدى الحجاب . أما عن الدولة الإسلامية فهو يضيف قائلاً : " الفرق بين النظام الحالى والنظام الإسلامى هو أننى سوف أعثر على هويتى . أنا جزائرى قبل كل شئ ، وأريد أن أجد مكاناً فى بلدى . لن أكون مطالباً دائماً بالتفكير فى المستقبل . فى حين أننا اليوم لا نعرف إلى أى وجهة تمضى الدولة . ليس هناك قواعد . ليس لدينا ثقة فى الحكومة والدولة مما لا يسمح للناس بالعمل بشرف وأمانة " .

ويشعر حسين بالمرارة لاستبعاده من الحزب بعد استيلاء التقنيين على السلطة ، كما يلوم القادة على أخطائهم . " الماضي بالنسبة لي ، كان تجربة عشتها في مدة قصيرة . هي جزء من حياتي . أدركت السبب الذي أوصلنا إلى هذا الحال . إنها تجربة إيجابية بالنسبة لي (...) وهذه التجربة لن تتجمد . إنها أول تجربة سياسية للإسلاميين من الجزائر . ولقد ارتكبوا الكثير من الأخطاء . أخطاء عباس مدني . أخطاء مرشحي الجبهة الإسلامية للإنقاذ . كل ذلك جاء من فوق ، من القمة وحينما تكون القمة غير مستقيمة ، فالكل يقلدون .

" خاب أمل في الطريق السلمي " وظل حسين يترقب الفرصة المناسبة لينضم إلى رفاقه في " الأدغال " الإسلامية . ولكنه يأخذ حذره . وإذا كان مقتنعاً أن الجهاد هو الآن الرد الوحيد ، فلا ينبغي مع ذلك التسرع ويلقى بنفسه في مغامرة يكون من الصعب الخروج منها . لذلك بدأ يتعلم اللغة الإنجليزية لينخرط في محيط العمل "بزنس إيز بزنس" هكذا يقول دائماً . " لدينا تجربة أسلافنا . الطريق الوحيد للدولة الإسلامية هو الجهاد . مهما كان الطريق الذي تختاره فلا بد أن تصل إلى الصعب . الخبرة الحديثة تبين لنا ذلك . ما من دولة إسلامية حصلت على السلطة عن طريق الانتخابات . ولكن ينبغي القول إنه لسنا نحن الذين اخترنا هذا الطريق ، إنهم هم ، السلطة ، الذين أجبرونا على اختيار هذا الطريق . الشرط الأول ، هو أن يكون لدينا من الرجال ما يكفي ، والتموين . أن تكون على درجة من المساواة مع السلطة . إذا وجدت أننا مستعدون للجهاد مادياً وبشرياً ، فلن أتردد " .

حدود الاستراتيجية القانونية

خفت حدة تقمص الرغبة في القطيعة التي تعبر عنها الحركة الاجتماعية عند الجبهة الإسلامية للإنقاذ بوصول التقنيين الشباب إلى قمة الحزب . إن انتماء هذه الإدارة الجديدة إلى نخبة معينة ، واستراتيجيتها التي تميل إلى الاندماج في اللعبة

السياسية والدخول في المساومات مع السلطة بعد ذلك ، كل ذلك أصبح يتعارض تعارضاً صارخاً مع تزمة القاعدة التي تتمثل في أطر المروسين المهمشين من جانب "أرستقراطية" الإدارة الوطنية .

ومصطفى الذي أصبح منذ إلغاء عملية الانتخاب ، عضواً نشطاً في إحدى الجماعات المسلحة ، كان أحد هذه الأطر المروسة .

كان والد مصطفى وهو في الأصل من " خراطة " في منطقة جيجيل قد استقر في العاصمة عام ١٩٢٩ . ومنذ ذلك التاريخ مارس العمل في قطاع الإنشاءات . كان عمر مصطفى عدة شهور حينما مات والده عام ١٩٥٤ . وقد تزوجت أمه بعد موت أبيه . وتربى مصطفى في بيت زوج أمه . وكان موظفاً في أحد المحلات المملوكة لأحد المستوطنين الفرنسيين . كانت الجزائر قد حصلت على الاستقلال حينما بدأ مصطفى يلتحق بالمدرسة . وحتى عام ١٩٦٦ ، كان الفرنسيون هم الذين يقومون بالتدريس . وقد احتفظ مصطفى ببعض المعلومات باللغة الفرنسية . وفي عام ١٩٦٨ قرر عدم التقدم لامتحان الشهادة الإعدادية وقرر الدخول في الحياة العملية بدلاً من مواصلة دراسة لا يدرى إلّا تقوده في النهاية . وتقلب مصطفى وهو في سن الرابعة عشر في العمل بين بعض المهن غير المستقرة تارة ، والبطالة تارة أخرى . (متنظف سيارات ، بائع في محل بقالة) وفي عام ١٩٧٥ التحق بالعمل في إحدى الكافيتريات . وهو يحدد هذه المرحلة ببداية دخوله في طريق "الانحراف" البطيء الذي قاده إلى إدمان الخمر . " كنت حبيباً داخل زجاجة . كنت أعيش حياة أشبه بحياة الحيوان . بل كنت حيواناً فعلاً" (١) . كانت تلك هي الفترة التي كان يتردد فيها على الخمارات . ولكي يكسب قوته ، امتنعت مصطفى بعض الأعمال التافهة دون أن يوفق إلى عمل ثابت . ولكن في عام ١٩٧٩ ، بعد وفاة الرئيس بومدين بقليل ، كان " البعث الجديد " . فيما كان يتردى من هاوية لهاوية ، إذا بالإيمان يهبط عليه ، ويحقق له الراحة النفسية ، والاستقرار المهني . " في عام ١٩٧٩ لم أكن أؤدى الفرائض . بعد وفاة بومدين . أصبحت أؤدى الفرائض . ذات يوم كنت مغموراً ،

(١) لقاءات بين مارس ١٩٩٣ ونوفمبر ١٩٩٣

وشعرت بالخوف من أن أموت على تلك الحال. رأيت سكان الحي يذهبون إلى المسجد ، فذهبت معهم وأصبحت أؤدي الفرائض ، لأنني كنت أخشى أن أموت على تلك الحال . أدركت أنني لا أسير في الطريق المستقيم . امتنعت عن الشرب وبدأت أتردد على مسجد الحي . وكسرت من وقتي جزءاً كبيراً للتعلم في علوم الدين الإسلامي . شجعني على ذلك طالب متخصص في العلوم الإسلامية . لقد أخرجني الإسلام فعلاً من الظلمات إلى النور . قدم لي زاداً روحياً كنت في أشد الحاجة إليه " .

والآن أصبح مصطفى ملتجئاً ، وهو يرتدى الجندورة . يريد أن يتشبه بالرسول ﷺ . الحكومة الكافرة في رأيه هي المسؤولة عن جميع الشرور التي تهدد الوحدة الاجتماعية ، ولا يصلح هذا الوضع إلا دولة إسلامية . إنه يعلن أنه مدين للإسلام بنجاحاته وخلاص روحه ؛ وهكذا فينبغي على الجزائر أن تلجأ إلى الإسلام لتحقيق النجاة الجماعية لأبنائها . بينما كان عباس مدني يغذي الاضطرابات في الكليات ، ومصطفى بوبالي يتحدى الدولة حاملاً السلاح ، تعرضت الحركة الإسلامية للقمع في جميع المجالات وفي جميع أنحاء البلاد . ومصطفى لم يفلت من ذلك ، فقد كانت هيئته وحدها كفيلاً بأن يتم القبض عليه ويودع في السجن . " حركة بوبالي أعطتني الكثير ، هذا صحيح . ولكن ، لما كنت ملتجئاً وأرتدى الجندورة ، قبضت على الشرطة . وقد فكرت في ذلك : لماذا فعلوا ذلك معي ؟ وقد وجدت الإجابة : لأنهم أعداء للإسلام . أثناء القبض عليّ ، أدركت أنه لا بد من محاربتهم . كنت أريد أن أنتقم . ولكن لم أكن أملك الوسيلة " .

وإذا كان مصطفى يؤيد بوبالي في أنه حدد في حركته " الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى النولة الإسلامية " ، لأن أسلوب التدرج يؤدي إلى طريق مسدود ، الطريق الذي يؤدي بنوره إما إلى التحالف مع الحكومة وإما إلى الهلاك " . ومع كل، فإن مصطفى كان يرى أن الوقت غير مناسب . وهو يفضل العمل في إحدى الجمعيات الخيرية . "كنا نساعد الفقراء وأبناءهم . كنا نشترى لهم الملابس ونقدم لهم المساعدات المادية بمناسبة الأعياد الدينية . كنا أيضاً نساعد الناس في بناء بيوت لهم . وكانت الجمعية تتدخل في فض النزاعات والخلافات ، وأيضاً في حالات الطلاق والميراث . كانت تساعد المعلمين الذين يساعدون التلاميذ في الانتقال إلى الفرق الأعلى . كان من بين أعضاء الجمعيات الطبيب والممرض والمرضة الذين يقدمون النصائح للعائلات . وخلال العطل ، كنا ننظم الرحلات للأطفال . كان الناس جميعاً يحترموني " .

تحقق احترام الناس لمصطفى ، ومعهم شيء من يسر الحال . وبدأ مصطفى يعلن، عن طيب خاطر وعن اقتناع ، عن المظاهر الخارجية لانضمائه الديني الجديد " أنا لم أنخرط في الحركة بسبب سخط اجتماعي فأنا غني ، وإنما بسبب اقتناع عقائدي . أنا لست فقيراً . أنا أملك المال . وعندى سيارة ، ومنزل . والناس يقصدونني طلباً للمساعدة . بعض الناس لا يقبلون على الجهاد لأسباب مادية تمنعهم . أما بالنسبة لي فالمسألة مسألة عقيدة " .

ويحمل مصطفى على القيود التي كانت تفرض عليه وعلى زملائه في الحزب . فقد كانوا غير راضين عن استراتيجية الحزب ... لذلك فقد كان مصطفى يحلم بثورة شعبية . " فنحن في بلدنا " . هذه التناقضات لم تكن تروق قادة الحزب الذين كانوا دائماً يدعون مصطفى ورفاقه إلى احترام النظام . " كانوا غير راضين ، للأسف ، خاصة عباس مدني . كان يخشى أن يتحمل مسؤوليه ذلك . حتى على بن حاج ، لم يكن يوافق أبداً على الحركة المسلحة . كان يؤيدها ، ولكن كان يقول " ليس هذا وقتها " .

وبالرغم من تحفظاته على سياسة الحزب ، كان مصطفى يشارك بكل نشاط في حملة الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الحى الذي كان يسكنه . " لا أستطيع أن أقف ضد إخواني . حتى لا أعارض قادتي . ولكنني كنت أدرك أن الأمر سينتهي نهاية سيئة مع الحكومة الجزائرية . ومع الحكومات في العالم العربي أيضاً . لن يصلوا إليها أبداً في مصر والمغرب وتونس وليبيا " .

وعرف مصطفى أنه مطلوب للقبض عليه . فحاول التخفي والهرب ولكنه لم يجد مفرّاً من اللجوء إلى الأدغال ليلحق برفاقه . " بالنسبة لهم لم يعد الوقت وقت كلام . فبعد الجهاد باللسان ، يأتي الجهاد باليد . لقد قمنا بالجهاد بالكلام ، وبأعمال الخير ، وبالتصويت . فلم يفلح ذلك . والآن ، لدينا وسيلة أخرى هي القوة . الجهاد الأصغر " .

وتضم الجماعة ، بالإضافة إلى أصدقاء مصطفى ، وهم في الأصل معارضون لسياسة الانتخابات ، عدداً من " المحيطين " الذين سلكوا في السابق الطريق السلمي، وهناك أيضاً مناضلون مطلوبون ، وجدوا في الأدغال العون الطبيعي لكل رجل مطارد ، ووسيلة لإخراج الغضب الذي يسكن في صدورهم .

وبالنسبة لمصطفى ، فإن الميلاد الفعلي للجماعة يرجع إلى شهر يونيو ١٩٩١ ، حينما تدخل الجيش باستعراض القوة لتفريق المناضلين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ الذين كانوا يعسكرون في ميادين العاصمة بموافقة رئيس الحكومة ، مولود حمروش . " بدأ ذلك ، في الخامس من يونيو ١٩٩١ ، شاهدنا المؤمنين المناضلين ينامون في الميادين العامة وزمرة العسكريين يحصدونهم في الثانية صباحاً . في ذلك اليوم قلنا ، خلاص ، لا حوار ، لا أحد يمكن أن يوقفنا ، لا عباس مدني ولا على حاج . لقد شرعنا في تنظيم أنفسنا بعد مذبحه يونيو ١٩٩١ " .

وبينما ، المسئولون في الجبهة الإسلامية للإنقاذ يناضلون من أجل " حل إسلامي " جزائري صميم . فإن مصطفى يجعل من " المعركة سلسلة ينبغي أن تدفع المسلمين إلى تحرير القدس ، كذلك يريد مصطفى الخروج من دائرة الجزائر الضيقة : " الوطنية تعني حدوداً معينة . أما نحن ، فإن وطنيتنا هي الإسلام . كل مسلم ينبغي أن يجد مكانه في الجزائر ، أيا كان جنسه . لن تطلب منه الأوراق . فقط نسأله إن كان مسلماً أم لا . إذا كان هناك طريق واحد ، فعلى الجميع أن يسيروا في هذا الطريق . الجميع يصومون رمضان . لن نسأل المسلم عن جواز سفره في الجزائر . فإذا كان لا يؤدي الصلاة ، أقيم عليه الحد ، كما تقضى الشريعة . والله تعالى هو الذي سيحاسبه " .

وتنقطع صلة مصطفى برفاقه على أثر إحدى عمليات قوات الأمن ، ولا يستطيع أن ينضم إليهم . لذلك فقد قرر السفر إلى أوروبا . وهناك علم بحكم الإعدام الغيابي الصادر ضده . ولكن لم يكن هذا هو مصدر قلق مصطفى الوحيد ، ولكن الذي كان يقلقه حقاً هو موقف قادة الحزب الذين لا يريدون إعلان الجهاد . هذه هي العقبة الكبرى . ما يزال لديهم الأمل في الوصول إلى السلطة في حالة تخطى الحكومة عنها .

إن الحركة الإسلامية الراديكالية التي ولدت من مواجهة السلطة ، تتغذى أيضاً على القمع الذي تكشف من خلاله عن طبيعة الدولة - الوطن ، التي هي جوهر هذه السلطة . والعنف الذي تمارسه الدولة ، إذ يقوّى العزائم ويشجع على تكوين الشبكات السرية ، سيكون هو الابتلاء البناء على أعلى مستوى لهؤلاء المناضلين الراديكاليين الجدد .

الباب الثالث

ابتلاء العنف السياسي

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنَ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾

[سورة الحج ، الآيتان ٣٩ ، ٤٠]

بنسبة ٤٧,٢٧٪ من الأصوات الصحيحة ، ومائة وثمانية وثمانين مقعداً من مجموع الأربع مائة والثلاثين ، فازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزاً ساحقاً بالدورة الأولى من الانتخابات التشريعية التي أجريت في السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٩١ . ولم يعد هناك شك في مقدرة الحزب في الحصول على أغلبية الثلثين الضرورية لمراجعة وتغيير الدستور . وبينما كان الرئيس شاذلي يتوقع عشية الدورة الأولى ألا تتجاوز نسبة الحزب ثلاثين في المائة ، أصبح يواجه تشكيل حكومة ائتلافية مع الإسلاميين . ومع ذلك ، فإن انتصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ من شأنه أن يغير قليلاً من موقف الرئيس . لم يعد الأمر يتعلق باشتراك الحزب في ائتلاف حكومي ، بل ينبغي العمل قدر المستطاع على تقليل انتصاره في عيون الجيش منعاً لتدخله .

ولكن العسكريين لم يندفعوا ولم يقبلوا أن تقلت من أيديهم مراقبة عملية " تطبيق الديمقراطية " التي دعموها فترة . لذلك ففي الرابع من يناير ١٩٩٢ ، ضغطوا على الرئيس لكي يحل مجلس الشعب الوطني في كتمان شديد ، حتى إذا حدث وخلت السلطة التنفيذية ، لا تؤول إلى رئيسها ، وهو عبد العزيز بلخادم المتورط هو أيضاً في مفاوضات الرئاسة مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفي اليوم الحادي عشر ، بينما كان الجيش قد بدأ فعلاً في الانتشار في أنحاء البلاد ، استقال الرئيس بإيعاز من مائة وثمانين ضابط في الجيش الوطني الشعبي وتواطؤ رئيس الوزراء سيدي أحمد غوزالي . ومرة أخرى تحدث منافسات إقليمية شخصية وصراعات بين الفئات داخل جهاز الحزب الواحد السابق مما يتوافق مع طموحات أركان الحرب . كان غوزالي لا يميل إلى السماح " لبارونات " جبهة التحرير الوطني بتجديد شبابها داخل ائتلاف إسلامي وطني . لذلك فقد انضم للجيش الذي كان حريصاً كل الحرص على مكاسبه وامتيازاته والتي اعتقد أنه لابد سيفقدها في حالة وصول الإسلاميين للسلطة . وكان موضوع استيلاء السلطة على مبلغ الستة والعشرين مليار دولار يؤرق ضمائر الناس الذين يتعجلون يوم تقديم الحساب .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد لقي الانقلاب التأييد من فئة المثقفين الفرنكوفونيين الذين يعتقدون أن وصول الإسلاميين للحكم يضرهم ولا ينفعهم . وقد التفت هذه الفئة حول ما يسمى المجلس الوطنى لإنقاذ الجزائر وهو يضم كذلك مناضلين من حزب الطليعة الاشتراكي و التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذين صوتوا من أجل إلغاء الإجراءات الانتخابية . كما أيد الانقلاب الاتحاد الوطنى للمقاومين والاتحاد العام للعمال الجزائريين . كذلك فإن بعض المثقفين الذين ظلوا بعيدين عن السلطة بادروا بتأييد الجيش . لم يبق إلا أقلية من المثقفين ، يتكونون من أطر جبهة القوى الوطنية وأشخاص مستقلين ، أصرت على إيجاد " طريق ثالث " غير أنصار الدكتاتورية العسكرية والدكتاتورية الإسلامية ، يجمع كل قطاعات الرأى - بما فيها الإسلاميين - حول حوار " حقيقى " .

وفى الثالث عشر من يناير ، أعلن المجلس الأعلى للأمن ، الذى أصبح يتولى أمر البلاد ، إلغاء عملية الانتخاب ، مما فجر غضب عبد القادر حاشانى الذى أعلن " عدم دستورية " استقالة الرئيس ، ناعنا إياها بأنها " حلقة فى مكيدة شاملة تفتح الطريق لمؤامرة ضد الجزائر والمشروع الإسلامى " . وفى الرابع عشر ، استدعى الجيش الرجل الذى كان يعتقد الجيش أنه يستطيع أن يصنع المعجزات ، وهو محمد بوضياف - الرجل الذى كان يتمتع بالشرعية التاريخية الممنوحة " لمجموعة الاثنين والعشرين " - كذلك فإن بوضياف كان يجسد نوعاً من الثأر بالنسبة لأولئك الذين تم استبعادهم عن السلطة عشية أزمة صيف ١٩٦٢ . لقد حانت بالفعل الفرصة بالنسبة لقدامى الاتحاد الفيدرالى الفرنسى مع الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين ، ذلك الاتحاد الذى كان بن بيلاد قد استبعده ، حانت الفرصة لكي يحققوا عودة إلى السياسية كانت بعيدة المنال . كذلك كانت فرصة "لبارونات " النظام الذين استبعدتهم مجموعة شاذلى للعودة إلى مقدمة المسرح السياسى . وفى صبيحة اغتيال الرئيس بوضياف على أيدي عناصر من حرسه الخاص فى يونيو ١٩٩٢ ، استقر فى السلطة أولياء (النظام القديم) كما تحلو تسميته باعتبار أن الجزائر تغيرت فى يناير ١٩٩٢ . وفى مواجهة تصاعد العنف ، اقترح بعضهم وهم " المصالحون " بدء حوار " مع المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فى حين طالب آخرون يعرفون باسم " المستأصلون " بالتصفية الجسدية لكل أشكال المعارضة الإسلامية .

ومنذ أواخر شهر يناير ١٩٩٢ ، وبعد أن أعلنت الحكومة عن نيتها في تطبيق قانونها حول المساجد وقام محافظ العاصمة بمنع أى تجمع حول أماكن العبادة ، قامت مصادمات عنيفة بين المتظاهرين وقوات النظام . وبعد تكرار نداءات الالتزامات بالنظام والهدوء وإرسال خطابين إلى الرئيس بوضياف ، قام عبد القادر حاشاني بالتوقيع على بيان يدعو المناضلين بعدم الخضوع لضغوط السلطة . وسرعان ما تم القبض عليه ، وتبعه مجموعة من المسؤولين الوطنيين والمحليين في الحزب ثم آلاف المتظاهرين . وتطورت " حرب المساجد " الدامية مما دفع السلطات إلى إعلان حالة الطوارئ في التاسع من يناير . وطبقاً لإحصاء رسمي ، لقي مائة وثلاثة أشخاص حتفهم خلال تلك الفترة في حين سقط أكثر من أربعمائة جريح . وفي الرابع من مارس التالي أعلنت الفرقة الإدارية لمحكمة الجزائر حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد تسعة وعشرين شهراً من الشرعية (وهو الحل الذي صدقت عليه المحكمة العليا في التاسع والعشرين من أبريل ١٩٩٢) .

أما " صقور " النظام ، فلم يجانبهم الصواب حينما اعتقدوا أن القبض على عبد القادر حاشاني ثم رياح كبير يفتح الباب لتعيين غيرهما من الزعماء الأكثر تشدداً ، وبذلك يزيدون من فرصة البارونات في التخلص " شرعياً " من المعارضة الإسلامية للإنقاذ بلا رئيس ، والتي لم تتمكن من كبح جماح الغضب بين أفراد القاعدة المناضلة التي اعتبرت أنها قد غرّ بها وسلبت مقدراتها بسبب إلغاء الإجراءات الانتخابية . ومع القمع الذي تعرضت له القاعدة راحت تنشد القيادة في زعماء قدامى مؤمنين بحتمية اللجوء إلى الكفاح المسلح لبناء الدولة الإسلامية .

أما القادة السياسيون في الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد أصبحوا يواجهون التحدي لإثبات أنهم ، في المستقبل ، قادرون على إشراك شباب الجماعات المسلحة في إطار السياسة السلمية . كان ذلك أحد الرهانات الكبرى التي حاولت أن تخوضها إدارة الجبهة الإسلامية والسلطات العسكرية . وفي انتظار الوصول إلى مثل هذا الاتفاق ، مع المخاطرة بتأجيل تنفيذه طويلاً ، اقتصررت هذه الإدارة ، فيما يختص باللجوء إلى العنف ، على موقف بالغ الغموض .

صبيحة السادس والعشرين من ديسمبر

أمام التحدي الذي كان يواجهه قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ في سياسة التوترات المتصلة بطبيعته المزدوجة ، ظهر عجزهم في السيطرة على الراديكالية ، ثم ، وتحت تأثير القمع ، الجموح المسلح لجانب متزايد من مجموعاتهم . وبالمثل فإن التوتر القائم بين الطموحات " الثورية " عند النخبة البلوتارية للحزب ، والمواقف المحافظة للنخبة النظامية ، هو الذي أفضى إلى التمزق الجزئي الذي أصاب الحزب الإسلامي وكذلك تعميق الهوة بين اتجاهين من الصعب التوفيق بينهما . ومن ناحية أخرى ، فإن فشل محاولات إقامة " الحوار " وازدياد سياسة القمع من جانب النظام الحاكم ، كان من شأنهما إقناع القادة السياسيين في الحزب بضرورة تحملهم سياسياً ، وبصورة علنية ، مسئولية اختيار الكفاح المسلح ، وإلا فقد الحزب مكانته في عيون القاعدة المناضلة والقاعدة المتعاطفة .

الحركة الإسلامية المسلحة - جيش الإنقاذ الإسلامي - الجماعات الإسلامية المسلحة :

منذ صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢ ، انتشر المناضلون المطلوبون في جهات البلاد الأربعة مشكلين مجموعات مسلحة صغيرة - جيش الرسول محمد ، الأوفياء للقسم ، جهاد ٥٤ ، القوات الإسلامية العالمية لمناضلي الله . المجلس الموحد للحركة الإسلامية ، حركة الجهاد الإسلامي في إفريقيا ، منظمة الضباط المسلمين ، .. ولكن الحقيقة هي أن اتجاه العنف والنضال المسلح كان يرتبط في جوهره بمنظمتين رئيسيتين .

كان تشكيل هاتين المنظمين يعكس الصدع السوسولوجي الذي سبق ملاحظته داخل الحركة الإسلامية . ففي حين كانت الحركة الإسلامية المسلحة ثم جيش الإنقاذ الإسلامي يضمنان في ذات الوقت قدامى النشطين المتورطين في عمليات عنف خلال الثمانينيات ، فإن مناضلين من الجبهة الإسلامية على قناعة بضرورة اللجوء إلى الكفاح المسلح ، وأطراف من الحزب يهددهم القمع ، والجماعات الإسلامية المسلحة، يحركون بعض الشبان البعيدين عن رقابة المجموعات السرية المنبثقة بشكل مباشر أو غير مباشر عن صفوف الجبهة الإسلامية .

إن ميلاد الحركة الإسلامية المسلحة يرجع إلى صبيحة إضراب يونيو ١٩٩١ . فبعد تدخل الجيش الهامج لتفريق المناضلين الذين كانوا يعسكرون في الميادين العامة بالعاصمة ، اجتهد أنصار الكفاح المسلح في القيام ، داخل كل دائرة انتخابية ، بتشكيل مجموعات صغيرة من واحد وعشرين عضواً بقيادة " أمير " و " نائب أمير " : وأقيمت لهم المخابئ وأعدت أماكن المراقبة ، مع الأسلحة والسيارات المجهزة .

وجدير بالذكر أن عبد القادر شيبوتي ، وهو الذي كان بمثابة الذراع اليمنى لمصطفى بويالي ، والذي كلل نضاله بصدور الحكم عليه بالإعدام في عام ١٩٨٧ ، أصبح الصورة الرمزية لكفاح هذه المجموعات . فلدى خروجه من السجن عام ١٩٩٠ ، قام مع حوالى خمسة عشر زميلاً من السجن منهم منصور ملياني ، بالتوقيع على بيان يطالبون فيه بتخصيص مساعدات لأرامل شهداء عمليات بويالي . وإذا كان قد تردد في ذلك الوقت على بعض قادة الجبهة الإسلامية ، فقد رفض المشاركة في الاستراتيجية الدستورية التي كان ينتهجها عباس مدني التي كان يرى فيها أنها استمرار للتواطؤ مع النظام الحاكم وتعرض الحركة الإسلامية في مجموعها إلى قمع محتمل . وخلال الحملة الانتخابية ، كان مقتنعاً أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد غرر بها وعقدت مع النظام " صفقة أغبياء " وأنها ستجنى قريباً وبال أمرها بسبب تصرفها . ومع ذلك فقد رفض القيام بأي شيء قبل انتهاء الانتخابات حتى لا يجرح الجبهة الإسلامية ببث الشقاق بين جماعاتها . وكان قد صارع بعض المسؤولين في الإدارة بتوجيهه ، فتوسلوا إليه أن يعطى الفرصة للخط الذي يسير فيه الحزب .

ومع ذلك ، فإن بعض المجموعات لم تستجب ، وقررت منذ الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٩١ ، الهجوم على موقع على الحدود في جيمار (الواد) واضعين قادة الحزب في حرج شديد ، قبل شهر تقريباً من بداية الدورة الأولى من الانتخابات ، ومقدمين بذلك الحجج القوية للعسكريين الرافضين لأى مشاركة من الإسلاميين فى اللعبة الديمقراطية .

وفى صبيحة إلغاء العملية الانتخابية ، لم يتردد خصوم الاستراتيجية القانونية ، فشكّلوا منظمة باسم الحركة للدولة الإسلامية . هدفها "تشكيل مجموعات فى كل مكان ، بما فى ذلك التكتلات العسكرية ، من أجل قلب الحكومة"^(١) . وكان إقليم بومرديس بقيادة محمد أرزقى حومين . وكان قد حكم عليه بخمس سنوات سجن عام ١٩٨٥ . وهو خطيب مفعوّه برز فى إضراب مايو / يونيو ١٩٩١ بمجموعة من الخطب التارية ، أعلن فيها أنه فى حالة الهجوم ستنتقل أول رصاصه من مسجده . وقد استدعى ليحل محل على بن حاج فى مسجد بن باديس فى كويه بالعاصمة . ومنذ ذلك الحين أصبح أبرز خطباء الحزب . وقد أطلق عليه لقب " خمينى " .

وانضم محمد حومين إلى جماعة الحركة للدولة الإسلامية التى كان يوقع على بياناتها وأصبح ألد أعداء قوات الأمن فى مقاطعة بومرديس ثم ألقى القبض عليه فى سبتمبر ١٩٩٣ ولقى حتفه تحت وطأة التعذيب . وفى الثامن والعشرين من سبتمبر أعلنت الصحف رسمياً أنه أصيب فى عملية تسلق فى غابة سيدى على بوناب فى منطقة تيزى أوزو .

وساد الشعور بالحاجة إلى توحيد الجماعات المسلّحة ، غير أن ذلك صادف بعض العقبات وتعرضت الجماعات بعد محاولة توحيدها إلى الصدع . فبعضهم ومنهم ملايين كانوا ما يزالون يرفضون الخضوع لرئاسة شيبوتى . وبذلك تقاسمت الجماعات المختلفة أنحاء البلاد وراحت تنفذ اغتيالاتها دون رابط أو تنسيق . أصبحت كل جماعة تقوم "باجتهاد" خاص بها .

(١) مقابلات مع أحد أعضاء المجموعات بين مارس ١٩٩٣ ونوفمبر ١٩٩٣

وهكذا أدى الاجتهاد إلى الهجوم بالقنابل على قناة التليفزيون الوطنى الذى كان من تنفيذ جماعة باب الواد بقيادة عشير رضوان وهو مدرس بالتعليم الإعدادى فى السابعة والعشرين من عمره ويعمل إماماً لمسجد السنة منذ القبض على بن حاج . بعد ذلك قام رضوان مع بعض رفاقه بوضع قنبلة فى المقر الرئيسى للأمن الوطنى بالتواطؤ مع بعض العمال الذين يعملون داخل المبنى .

كان سعيد سوسين هو همزة الوصل الوحيدة بينهم وبين الجماعة الأم . ومن الجدير بالذكر أن سوسين ، بالرغم من القبض عليه قبل عملية الهجوم على المطار . كان أحد المتهمين الرئيسيين فى العملية وحكم عليه بالإعدام مع حسين عبد الرحيم وخمسة آخرين فى أغسطس ١٩٩٣ . ومن بين الذين وردت أسمائهم فى القضية : روابحى محمد ورشيد حشايشى . وكانت قوات الأمن بمطار يومدين قد تلقت فى السادس والعشرين من أغسطس ١٩٩٢ ، بلاغاً من مجهول يفيد بأن قنبلة موجودة فى المطار على وشك أن تنفجر . غير أن تأخر البلاغ وبطء ردود الفعل ، حالا دون تجنب الانفجار . وقد لقي تسعة أشخاص حتفهم فى الحادث ، كما أصيب ثلاثون آخرون بجراح .

وفى محاولة جديدة لتوحيد الصفوف ، اجتمعت الجماعات المسلحة فى العاصمة ليلة أول سبتمبر ١٩٩٢ . وكانت المهمة هذه المرة يسيرة بسبب القبض على مليونى الذى كان دائماً يعارض فى العمل تحت إمرة شيبوتى . وتبين من المناقشات التى أثارت حول قنبلة المطار التى لم يكن شيبوتى قد علم بها إلا مؤخراً ، أن المدبرين لها هم من اليهود الذين يريدون الإساءة إلى الجزائر أمام الرأى العام العالمى . لأنه من غير المعقول أن يضع جزائرى قنبلة فى المطار فى قاعدة الركاب وهى فى الذروة .

وكان من مهام هذا اللقاء أيضاً الذى عقد فى تاميسجيدا ، إقامة حد أدنى من التنسيق بين الإدارة السرية للجبهة الإسلامية للإنقاذ والجماعات المسلحة .

وفى شهر يناير التالى ، أعلن عبد الرزاق رجم الجهاد ، وذلك فى بيانه رقم ٣٦ . بينما قام رباح كبير بالتصديق على فتوى لعلى بن حاج يؤكد فيها الرجل وهو فى السجن ، أنه لو كان حراً طليقا لما تردد فى الدخول تحت إمرة عبد القادر شيبوتى . وبذلك أصبحت الإدارة الإسلامية السرية ذات شقين : جناح سياسى يهدف إلى الحفاظ على " سمعة الحزب " وجناح عسكرى يتمثل فى الجماعات المسلحة .

فى صيف ١٩٩٣ وبعد أن أطلق سراح قادة الجبهة الإسلامية من الحجز الذى دخلوه صبيحة الانقلاب ، عكفوا على وضع الجماعات المسلحة تحت إشرافهم المباشر وتزويدهم بأداة أيديولوجية أكثر فعالية ، واستعادة ثقة الرأى العام الإسلامى وذلك بإضفاء بُعد مقدس على الحرب التى يخوضونها ضد نخبة النظام الحاكم . " لقد تردد الحزب فى الدعوة إلى المقاومة المسلحة . مما كلفه الكثير . لقد خسر الحزب المناضلين الذين انضموا إلى الجماعات المسلحة الأولى . ولكن بفضل الله ، عادت الأمور إلى أيدي الحزب ، على الأقل خارج العاصمة " (١) .

وعلى ذلك ، وفى يوليو ١٩٩٤ ، قامت أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ بتأسيس الجيش الإسلامى للإنقاذ ، الفرع العسكرى للحزب ؛ وزودته فى بادئ الأمر ، بلجنتين عسكريتين لمناطق الشرق (بقيادة الشيخ مزراق مدنى) والغرب (بقيادة أحمد بن عائشة) أما منطقة الوسط ، فقد كان الأمر صعباً ، حيث اصطدم الحزب بتعدد الجماعات المسلحة المكونة من بعض " الصبية الأشقياء " المتمردين على رئاسة الحزب .

وبعد تعيينه بقليل " أميراً وطنياً " ، أصدر مزراق مدنى عدة بيانات يعبر فيها عن أسفه لتورط بعض الجماعات المسلحة فى عمليات اغتصاب ضد بعض المواطنين . ويدعو الجماعات إلى أن تظل دائماً " سلاح مبادئ لا سلاح مرتزقة " . كذلك دعا مدنى إلى تزويد الحركة المسلحة بقانون سلوك يحدد " الأسس والمبادئ " ، وكذلك الخطوط التى لا تتجاوزها فى الكفاح " من أجل " عزل بعض عناصر الاضطراب التى تحاول تحويل النضال عن أهدافه الحقيقية ، ومنع تحقيق الوحدة بين الجماعات المسلحة . " كذلك أعلن مدنى تأييده لمساعي أحزاب المعارضة المجتمعة فى روما . ودعا الرئيس زروال إلى التخلي عن سياسة التشدد والبطش وفتح صفحة للحوار .

فى يناير ١٩٩٣ ، أعلن عبد القادر ليلى نفسه " رئيساً للجماعات الإسلامية المسلحة " وذاع اسمه على مستوى الوطن كله . وإن سجل الأعمال الملحمية التى قادها عبد القادر ليلى يملأ خيال الشباب الشعبى الذى تعرض للقمع على أيدي النظام

(١) إعلان لأحد كبار المسئولين فى الحزب . يونيو ١٩٩٤

الحاكم ووجد في الجماعات الإسلامية المسلحة المتنفس الوحيد لغضبه وثورته . وكان ذلك ميلاد حركة الجماعات الإسلامية المسلحة .

وفي يونيو ١٩٩٣ ، تم القبض على عبد القادر ليلي في المغرب ، وتم ترحيله إلى الجزائر في أغسطس من العام نفسه ، حيث صدر الحكم عليه بالإعدام في يونيو ١٩٩٤ وتولى من بعده قيادة الجماعات المسلحة أحمد مراد ، المعروف باسم جعفر الأفغاني ، أو جعفر سيف الله . وانطلقت الجماعات بقيادته منذ عام ١٩٩٣ في استراتيجية نموذجية جعلتها تضاعف من عمليات الاغتيال ضد المثقفين والصحفيين ثم الأجانب .

وأحمد مراد من مواليد قويا ١٩٦٤ ، بعد فشله في الدراسة ، عمل في تجارة الحقيبة . وهو لاعب كرة قدم ماهر شارك في مسابقات المساجد وتمرس على استعمال السلاح في إطار الحركة الإسلامية . عمل في قوات حكمتيار في أفغانستان في الفترة من ١٩٨٦ حتى ١٩٨٩ . ولدى عودته إلى الجزائر عمل في بيع المصاحف والعمود على أبواب المساجد بالعاصمة . وهو يعارض الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لأنه يرى أن الضغوط السياسية لا تفلح في إنشاء السلطة ، فالسلاح وحده هو الكفيل بتحقيق ذلك . ولعل عدم انخراطه في الحزب الذي أبقى عليه حياً وطيلاً بالرغم من عضويته لمجلس الشورى ، بعد القبض على الأعضاء والخمسة الآخرين - ليلي - أو قتلهم - محمد ليفلي وبوفار وكريم عيتو ميزيان . ولعل أحمد مراد كان وراء اختطاف الموظفين القنصلين الفرنسيين الثلاثة في أواخر أكتوبر ١٩٩٣ . ومع ذلك فقد طويت صفحته في السادس والعشرين من فبراير ١٩٩٤ بين أنقاض إحدى الفيلات في الجزائر العاصمة .

بعد موت جعفر الأفغاني ، احتل موقعه سيد عطية الذي قتل بعد عدة أيام ، فخلفه شريف جوزمي ، ثم إلياس أبو عبد الله ثم تاجين محفوظ ، ثم إلياس أبو خليل محفوظ .

وتحت قيادة هؤلاء الزعماء قامت الجماعات الإسلامية المسلحة بتجنيد العديد من قدماء مناضلي الأحرار في أفغانستان . وقد بلغ من افتتان الشباب الجزائري بهم أن أصبح زعيم منتشراً على سبيل الموضة . وقد كان " الأفغان " هم أول من قاموا بتنظيم فريضة الجهاد ضد الدولة " الكافرة " .

وهم إن يلقون بالجرم على الدولة ، متأثرين في ذلك بالشهيد سيد قطب
وعبد السلام فرج (المحرض على اغتيال السادات) جاعلين من " قتل الحكام " فريضة دينية ،
فهم يرون أن الجهاد " حرب مستمرة " تشنها أقلية مؤمنة تتولى مهمة تبشيرية
وعسكرية في ذات الوقت .

ولعل الطرائق الغريبة التي تتبعها الجماعات الإسلامية المسلحة في تجنيد
أعضائها وتوجيههم تفسر نهوضهم السريع واستئنافهم للعمل بعد كل ضربة يوجهها
إليهم الجيش . كذلك فإن انتشار هذه الجماعات في كل مكان ، والشهرة التي
يحققونها بعد كل عملية ، وإعجاب الشباب بهم ، والسرعة التي يعملون بها ،
واختفاءهم عن العيون (بعض الجماعات يتمثل تاريخها كله في عملية انتحارية واحدة)
كل ذلك كان وراء فشل قوات النظام في ملاحقتهم .

وما من شك في أن هذه الجماعات ، وهي تعتنق الجهاد وتمارسه ضد السلطة
الكافرة ، قد أصبحت تتحلّى بجميع " الفضائل " التي يتمتع بها عادة المناضلون في
"الحرب المقدسة" . والأمثلة كثيرة منها قصة المجاهد الذي ينجو من القبض عليه في
آخر لحظة ، بالرغم من إحكام القبض عليه ، و " الشهداء " الذين تفوح أجسامهم
برائحة المسك وهم يفارقون الحياة . كل ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على ما وراء
الثورة المسلحة في الجزائر من قوة رمزية .

سموم الشقاق

سبق القول : إن المسؤولين السياسيين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ كانوا في الأصل
نواة ما كان يسمى بـ " خلية الأزمة " على أثر استقالة الرئيس شاذلي ، وهي مكونة
من أربعة أعضاء من المكتب التنفيذي وثلاثة أعضاء من مجلس الشورى كانوا ما يزالون
أحراراً طلقاء ولم يختاروا النفي ، منهم محمد سعيد عبد الرزاق رجيوم ويخلف شيراتي^(١) .

(١) حاصل على الليسانس في العلوم الإسلامية ، وإمام مشهور . تم القبض عليه في مارس ١٩٩٣
ولقى حتفه في فبراير ١٩٩٥ في العصيان الذي وقع في سجن سرقاجي .

وقد اختلفوا على الاستراتيجية التي يسرون عليها . فإذا كان البعض يدعو إلى التنسيق بين مجهوداتهم ومجهودات أعضاء الجماعات الإسلامية المسلحة الوليدة ، فإن الآخرين على العكس كانوا يرون في ذلك مخاطرة مشثومة تؤدي إلى اختراق الحزب . كانت الإدارة السرية للحزب تتردد في اتخاذ موقف نهائي بالنسبة للجوء إلى العنف . ومع ذلك فقد كان الحكم الصادر من محكمة بليدا العسكرية بالسجن أربع سنوات على كل من عباس مدني وعلى حاج في صيف ١٩٩٢ ، والضغط الذي تمارسه القاعدة ، وراء قرار المسؤولين بتنظيم نوع من التنسيق مع الحركة للدولة الإسلامية بقيادة عبد القادر شيبوتي وسعيد مخلوفي .

من الواضح أن المبادرة بالجوء إلى الكفاح المسلح كانت قد خرجت من أيدي الحزب، الذي كان لا يتوقع أن يواجه النظام الحاكم وهو يحمل السلاح ، ومع صعوبة الوصول لأي حل بالتفاوض ، ومع الخوف من أن تغلبه الأحداث ، قرر الحزب أن يكرس كل جهده من أجل توجيه الكفاح المسلح ، على أمل الحفاظ على فرص الجبهة الإسلامية للإنقاذ في العودة يوماً ما على " المنصة القانونية " . ولما كانت المبادرة دائماً في أيدي الجماعات المسلحة ، فقد أجبرت القادة السياسيين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ على " تغطية عملياتهم " وأصبح القادة السياسيون مسلوبي الإرادة ومضطرين لإعلان تأييدهم لعمليات اغتيال يستتكونها - وبخاصة التي يكون ضحاياها من الأجانب - لذلك لم يجد القادة السياسيون للجبهة مخرجاً آخر إلا في إطلاق سراح عباس مدني وعلى بن حاج ، فهما القادران ، بما لهما من وزن وتأثير ، على توجيه الدعوة بإجراء الحوار دون أن يتعرضا للمحاكمة أو القتل . وبات واضحاً أنه في حالة فشلهم في السيطرة على " المتطرفين " منهم فإن الجزائر كلها سوف تغرق في بحر من الجنون . وعلى ذلك فقد شرحوا للسلطة أن أي تفاوض يبقى معلقاً بإطلاق سراح زعيمهم - وقد تبني هذا الاقتراح أيضاً الأحزاب الأخرى المؤيدة للحوار ، مثل جبهة التحرير الوطني وجبهة القوات الاجتماعية - اللتين سيتوجب على النظام ضمان سلامتهما من ناحية والسماح لهما بمقابلة زعماء الجماعات المسلحة من ناحية أخرى . واستمرت النزاعات بين الأفراد والتنافس بين الفئات سنوات طويلة في إثارة الفجوة في الإدارة التقنية للحزب . وكان من نتيجة هذا الشقاق الداخلي أن أعلن كل من

محمد سعيد وعبد الرزاق رجم في مايو ١٩٩٤ البيعة " لأمير " الجماعات الإسلامية المسلحة ومعارضتهما لأي مفاوضات مع السلطة الحاكمة .

وجاء رد الحزب على لسان جيش الإنقاذ الإسلامي في التاسع عشر من يوليو ١٩٩٤ ، يدعو سائر الجماعات الإسلامية المسلحة إلى الامتنال لتوجهات الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، ويعلن " عدم شرعية " اغتيالات الأجانب التي تطالب بها الجماعات الإسلامية المسلحة . وفي النهاية ، أعلن عبد الرزاق رجم انسحابه من الجماعات الإسلامية المسلحة وشجبه لتصرفات المنظمة التي " تستعمل بعض قدامى المسئولين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ لكي تضفي على نفسها المصداقية أمام الشعب الجزائري من أجل قتل الأبرياء " . ثم أعلن بيعته لجيش الإنقاذ الإسلامي .

فشل إقامة الحوار

في الواقع كثرت الكمائن القاتلة في الأحرار التي تسيطر عليها الجماعات الإسلامية المسلحة ، مما أودى بفشل سياسة " كل شيء من أجل الأمن " التي انتهجها الجنرال لا ماري^(١) وبدأت تهدد الوفاق العام داخل الجيش الجزائري . وكان لهروب ألف سجين إسلامي من سجن تازولت في مارس ١٩٩٤ وقّع الزلزال الذي دفع العسكريين المؤيدين لإقامة الحوار مع الإسلاميين إلى إعلان هدنة بأسرع ما يمكن من أجل المحافظة على وحدة الجيش ، وهو القلعة الوحيدة ضد وقوع سلطة احتكارية في أيدي الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

كان أول اهتمامات الحكومة هو علاج الأزمة الاقتصادية الاجتماعية المسؤولة وحدها في نظرها عن النجاح الشعبي الذي حققه الإسلاميون . وفي ربيع ١٩٩٤ وافق رئيس الوزراء مقدار سيقى على قبول شروط مهينة من صندوق النقد الدولي ومعظم أعضائه من الأمريكيين ، فشجعه على بدء حوار مع المعارضة الإسلامية .

وبدأ حوار متواضع في عهد الجنرال الأمين زروال . فحينما عين وزيراً للدفاع في يوليو ١٩٩٣ خلفاً للجنرال خالد نيزار شرع صبيحة توليه الوزارة ، في إجراء

(١) تولى إدارة الوحدات المكلفة بقمع الجماعات الإسلامية منذ أكتوبر ١٩٩٢

مفاوضات سرية مع إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ الموجودة في سجن بليدا الحربي (وبالذات عباس مدني وعلى بن حاج) منذ شهر يونيو ١٩٩١ . وشرع في يناير ١٩٩٤ في إطلاق سراح المحتجزين في معسكرات الأمن في الصحراء^(١) ورفع حالات تحديد الإقامة على المناضلين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو بذلك يستجيب لرغبات القوى السياسية الرئيسة المؤيدة "للحوار" (جبهة التحرير الوطني وجبهة القوات الاشتراكية ، والحركة من أجل الديمقراطية في الجزائر التي كان يرأسها الرئيس السابق أحمد بن بيللا ، والأحزاب الإسلامية " المعتدلة " حماس والنهضة) وعلى النقيض من ذلك ، فجر غضب الهيئات التي تعارض الحوار بكل قوة وشراسة .

ويتكون " جبهة الرفض " من المنظمات التي سبق أن أيدت إلغاء عملية انتخابات يناير ١٩٩٢ وهي بصفة خاصة : حزب التحدي ، التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية والاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد العام للمقاولين العموميين . وكانت هذه المنظمات تتشدد كلما لاح أن اتفاقاً سيتم حتماً بين العسكريين والإسلاميين .

وشرع الطرفان في مفاوضات صبيحة المؤتمر الوطني في يناير ١٩٩٤ الذي تم بعده تعيين الجنرال زروال " رئيساً للدولة " . وقبل عقد المؤتمر بأسابيع ثبت أن أية مفاوضات للحل لا يمكن أن تتم إلا بحضور الشيوخ . فتوجه وفد مكون من لجنة الحوار الوطني إلى السجن الحربي في بليدا بهدف إقناع مدني وبن حاج للمشاركة في المؤتمر . غير أن الرجلين رفضا وأوضحا أنهما لا يمكن أن يقبلا مثل هذه الاقتراحات طالما أنهما خلف قضبان السجن .

ووجه بن حاج إلى لجنة الحوار الوطني رسالة مفتوحة بعنوان : " قول الحق حتى من وراء القضبان " وعليها التوقيع التالي : " على بن حاج سجين الظلم والطغيان " . في الجزء الأول من الرسالة لا يعترف بشرعية لجنة الحوار الوطني . وفي الجزء الثاني يندد بالجرائم التي ترتكبها " طغمة العسكريين " ثم يقوم بن حاج في رسالته بتحليل

(١) هذه المعسكرات فتحت صبيحة انقلاب الحادي عشر من يناير ١٩٩٢ . وقد نزل بها بين ١٥ إلى ٢٠ ألف من أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإذا كان معظمهم قد تم الإفراج عنه ، وبخاصة استجابة لنداء جمعيات الدفاع عن حقوق الإسلامية ، فلا يزال بها حتى الآن حوالي عشرين ألف سجين .

النظام السياسى الجزائرى وعموده الفقرى وهو المؤسسة العسكرية التى لم تتمكن منذ الاستقلال " من حل المشكلات السياسية الطارئة إلا باستعمال الإرهاب والقمع وإعدام الأبرياء واغتيال المعارضين السياسيين فى الداخل والخارج . " معلنا أن لجنة الدولة العليا التى تكونت بعد الانقلاب فى يناير ١٩٩٢ " غير شرعية فى نظر الشريعة والقانون والدستور " ، وحمل بن حاج على السلطة العسكرية " سبب جميع الأضرار التى تتعرض لها الجزائر وبؤسها وآلامها ، منذ الاستقلال الذى حققه المجاهدون الأبطال . لكن أنصاف الرجال هؤلاء أجهضوه واستغلوه لصالحهم . " وأشار بن حاج إلى واحد من أهم مصادر الصراعات والعداوات فى قلب الجيش الجزائرى ألا وهو " احتكار القيادة العليا بواسطة "المستعفين من الخدمة فى الجيش الفرنسى " ، تلاميذ المدارس الاستعمارية الفرنسية فى الفترة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦١ ، هؤلاء الذين تخرجوا فى المدارس الحربية الشيوعية ، الخارجين من بين صفوف الجيش الفرنسى ، الذين ييغضون الأديان بعامة والإسلام بوجه خاص ، بعد أن تأكدوا أن الاستقلال لا محالة واقع ، تحولوا إلى جيش التحرير الوطنى " .

ومن أعماق زنزانته فى سجن سرقاج ، رفض عبد القادر حاشانى ، على غرار الشيخ سحنون ، أن يشارك فى محاولات " الحوار " التى بدأها " المصالحون " فى السلطة على أمل أن يجدوا فيه " قوة ثالثة " تسمح فى حالة الاتفاق بالتقليل من شأن عباس مدنى والزعماء العسكريين بدل أن يستأثر هؤلاء وحدهم بفضل الوصول إلى اتفاق . وفشلت لجنة الحوار الوطنى ، سواء بالقوة أو بالإقناع ، من إشراك حاشانى فى المؤتمر الوطنى . كذلك فإن المحاولات الهادفة إلى تشكيل إدارة أخرى للجبهة الإسلامية للإنقاذ تضم المنشقين والمبغدين من مؤتمر باتنة ، باءت بالفشل .

وتكررت المحاولات لإقامة حوار بين السلطة والمعارضة غير أنها جميعاً دخلت فى طريق مسدود خاصة وأن زعماء الإسلاميين رفضوا أن يدينوا علناً ، كما طلب منهم ، اللجوء إلى العنف أو الدعوة إلى إيقاف القتال قبل أن يتم التوصل إلى اتفاق . ذلك أنهم كانوا يخشون بطش الجماعات الإسلامية الراديكالية التى ترفض الحوار أساساً ، وتوجه الاتهام إلى الزعماء الإسلاميين بالتفاوض سراً ، مما زاد من حرج هؤلاء الزعماء . خاصة حينما تبين أن الحكومة أرادت أن تحمل مدنى وبن حاج مسئولية

استمرار أعمال العنف بالرغم من تعهدهما ، كما تزعم الحكومة ، بالعمل على إيقاف القتال . وأصدر بن حاج رسالة ثانية يتحدى فيها زروال رئيس الدولة بالظهور معه فى مناظرة ينقلها التلفزيون مباشرة للشعب الجزائرى . وظل الاقتراح دون رد فعل من جانب الحكومة .

وهكذا ، فإن التمييز داخل السلطة العسكرية ، بين الذين يحبذون التفاوض ، على شاكلة " الإصلاحيين " ، وبين الراديكاليين المؤيدين لسياسة البطش من أجل الأمن ، جعل المسؤولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ يقتنعون ، فى داخل البلاد وخارجها ، بضرورة الاستعانة بجهاز عسكري خاص بالجبهة : فعلى الرغم من الخلافات ، وهى فى الغالب شخصية ، فلا "الراديكاليون" ولا "الإصلاحيون" فى النظام على استعداد للتنازل عن أقل جزء من السلطة التى يمارسونها بلا شريك منذ ثلاثين عاماً .

إن مهازل " الحوار " التى وافق ، مع ذلك ، بعض الإسلاميين على المشاركة فيها ، لا يمكن ، فى هذه الظروف ، إلا أن تثير الشك والريبة فى إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ التى أصبح من الصعب عليها أن تفسر لمناضليها حذرهم "البالغ" من السلطة . فبينما وجه إليهم اللوم سابقاً لأنهم طالبوا المؤيدين للكفاح المسلح بكبح جماحهم على الأقل حتى يتم إجراء الانتخابات فى ديسمبر ١٩٩١ ، لإعطاء فرصة للتشاور ، فما هم قادة الجبهة الإسلامية متهمون بالتزام الجمود الذى ليس له ما يبرره فى مواجهة "تجاوزات" النظام الحاكم . من ذلك أن الجزء من الرأى العام الجزائرى المناهض للسلطة القائمة أصبح يصنف زيادة الضغط من جانب الشرطة والجيش على الأحياء الشعبية والمجمعات السكنية فى القرى ، فى صالح المجاهدين .

تبرير شرعية العنف

إن العنف، وقد أصبح ذروة الحرب المجنونة الدائرة بين فئات النخبة الجزائرية منذ الاستقلال، هذا العنف اتخذ في طوره الأول، هيئة "حرب خاصة" حقيقية، من ناحية بين نخبة الدولة ومن ناحية أخرى بين النخبة الإسلامية التي اكتسبت نوعاً من "القداسة" بانتصارها الانتخابي بصرف النظر عن نتائج هذا الانتصار . ولكن كلما اشتدت وطأة الصراع، كلما امتد العنف الى جميع فئات الشعب، الذي أصبح رهينة لدى العسكريين المتحاربين .

المعسكرات : مدرسة لكوادر الصراع المسلح

أصبحت معسكرات التجنيد مدرسة فعلية لتخريج كوادر الصراع المسلح . وبذلك أصبحت هذه المعسكرات المكان المميز لتجذير (راديكالية) القاعدة الإسلامية ، وبالتالي تعميق الصراعات بين أنصار الخط السياسى وهم فى الماضى الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وبين أنصار المواجهة المسلحة القصى .

آلاف - من أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ والمتعاطفين معهم ، وأيضاً من الشباب المنحرفين أو الضائعين - كانوا يُشاهدون فى ساعة مبكرة من الصباح وهم يرحلون إلى أماكن التجمع تمهيداً لإرسالهم إلى المعسكرات جنوب الجزائر . إن معسكرات التدريب تلك هى التى تقدم لمناضلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ - المؤيدين منهم للعنف أو المعارضين له - الفرصة لتأكيد قناعتهم . (إن الخطاب الإسلامى يضيف معنى على تجمعهم : " إذا كنتم أنتم هنا، فذلك لأن النظام ضد الإسلام) .

إن المناضلين المتحررين سوف يشكلون في المستقبل نواة للجماعات المسلحة المنظمة. أما أطر الحزب ، فما أن يصلوا إلى المعسكرات حتى يشرعوا في إدارة كل شيء والإشراف على كل صغيرة وكبيرة في الحياة اليومية : " في اليوم الأول ، كان المعسكر مكتظا عن آخره ، وقام إخواننا من الشرق الذين كانوا موجودين عند وصولنا ، باستقبالنا وتوزيعنا على الخيام. ذلك ما جاء على لسان أحمد وهو عضو في مكتب تنفيذي محلي ، كان قد تم القبض عليه في ١٨ فبراير ١٩٩٢ وسجنه ثمانية أشهر في معسكر "ورجلا"^(١) وبعد عدة أيام ، إذا بالمكان الذي كان يستعمل كمصلى للإخوة ، تطلق عليه لجنة المعسكر "ساحة عباس مدني" . وقد أصبحت هذه اللجنة المؤلفة من بعض المناضلين الإسلاميين تتولى إدارة المعسكر ، وتقوية عزيمة الإخوة وتثبيت عقائدهم : " كل ما أخذ بالقوة ينبغي أن يسترد بالقوة . إن هدفنا الرئيسي بعد ذلك هو أن نعرف لماذا كنا نحن هناك . كنا في الحجز ، لم نقدم لأي محاكمة . وكان القائد الذي يدير المعسكر يجيبنا بأن تلك ليست مشكلته . كان البعض يشربون الخمر عند القبض عليهم ، ثم تابوا في المعسكر " .

إن معسكر ريجان ومعسكر ورجلا اللذين أطلق على شوارعهما أسماء الزعماء الإسلاميين المشهورين ، سوف يظلان في الذاكرة باعتبارهما الأماكن التي انطلقت منها الحركة الإسلامية المسلحة .

وصبيحة الانقلاب ، لم تجد قوات الأمن صعوبة في التمثيل بأعضاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ والتعرض بالمتعاطفين معهم . إن وحشية رجال الشرطة (نهب بيوت "المشتبه فيهم" و تدميرها ، وتعرية آبائهم وإهانتهم أمام الملأ) كل ذلك دفع بعض سكان الأحياء الشعبية ، وغالبيتهم من الإسلاميين ، إلى تكوين خلايا لنجدة ومساعدة المكرويين من إخوانهم وأهليهم ، وحمل المساعدات والمؤن إلى اللاجئين في الأدغال وتقديم المساعدات المالية لنزويهم .

(١) لقاء صحفي في العاصمة في يناير ١٩٩٢

المعركة الجديدة فى الجزائر العاصمة

إن الجزائر التى تحاول منذ ١٩٨٨ أن تتخلص من أشباح الماضى، تجد نفسها ، بكل قسوة وعنف، فى مواجهة ذكرى ما يزال صداها، الذى يغذيه ، بكل حنق ومهارة ، الخطاب التاريخى الجغرافى الرسمى ، يدوى فى أعماق كل فرد . وإذا كان المظليون اليوم يحملون أسماء " مسلمة " والقوات الخاصة تخلع على نفسها أسماء صيغت من الخوف ومن الاحتقار ، فلا يكفى ذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ لى تطرد من الذاكرة صور حرب الجزائر . إن " التمشيط " و " الكسح " و "التنظيف " ألفاظ دخلت فى مفردات اللغة الجارية . كذلك فإن الحمى المدوية للحماسة الوطنية من ناحية ، وما ينتج عن ذلك من تحقير لشأن الخصم ، الذى أصبح صورة للمستعمر القديم و " أعوانه " ، أصبحت تمثل أحد ملامح خطاب الشرعية عند مختلف أطراف الصراع .

كان القادة الإسلاميون هم البادئين بتشبيه معركتهم " بالكفاح المجيد من أجل التحرير الوطنى " وظهروا بمظهر المؤمنين خدام المثل العليا التى كانت سائدة عام ١٩٥٤ والتى " ضلت " . " ليس بمستغرب أن يلجأ النظام الحاكم إلى هذا ، مادام الذين يحكموننا هم رقباء الجيش الفرنسى السابقون" (١) وأن " يكرر التاريخ نفسه على أرض الجزائر المستقلة بفتح معسكرات التعذيب ، حيث أفضل أبناء هذا البلد يفسدون فى جو من اللامبالاة والظلم التام" (٢) . لقد ظل الإسلاميون دوماً يدمجون كفاحهم فى الموروث التاريخى الجزائرى . وهذا ما لم ينكره عليهم حتى قدامى "الأفغان " ففى مؤتمر من أجل دعم " المسلمين فى الجزائر " فى ١٣ يوليو ١٩٩١ فى مدينة بشار تحت رعاية نادى الاستعلامات العربى ، قام ممثل الوفد الجزائرى ، وهو مناضل حارب فى أفغانستان ، بالتركيز طويلاً على فكرة أن زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ " لا يتلقون أية أوامر من الخارج وأنهم يخوضون معركتهم سواء فى السجن أم خارجه " . وأن طبيعة المعركة التى تخوضها الجزائر الآن لم ير لها مثيل فى أى مكان "وذلك من حيث إنه ، على النقيض مما تصبو إليه إيران والمملكة العربية السعودية ،

(١) منصة حقوق الإنسان فى الجزائر ، العدد ١١ ، ١٣ سبتمبر ١٩٩٣

(٢) ملف " معسكر تعذيب " عين مجيل ، ١٣ إبريل ١٩٩٢

فإن محرك الحركة الشعبية والإسلامية هو داخل الشعب الجزائري والحركة التي تقوده^(١) .

بل إن السلطة وأعوانها يحاولون الترويج لدعوة تزعم أن المناضلين الإسلاميين هم في الحقيقة بقايا " الحركيين " وهم الخونة الجزائريون الذين كانوا يتعاونون مع المستعمر في حرب الاستقلال . وظهرت بعض عناوين الصحف الحكومية بهذا المعنى : " الإرهاب ، حركية جديدة " (صحيفة الوطن) ، " حركيون وأبناء حركيين من بين القتلى والهاربين " ، " من الحركي إلى الإرهابي " (عنوان تحقيق في التليفزيون الجزائري في أبريل ١٩٩٤) بل إن صحيفة الإيدو ليبيرية (وهي قريبة من بعض عناصر الجيش) خرجت على القراء بخبر عنوانه " حسين عبد الرحيم ليس جزائرياً " ومن المعروف أن حسين عبد الرحيم هو الذي يشار إليه بأصبع الاتهام على أنه المحرض على الهجوم الذي شهده مطار الجزائر في أغسطس ١٩٩٢ .

جغرافية الكفاح المسلح

تحت وطأة حملات الردع التي يقودها الجيش في الضواحي " الخضراء " في الجزائر العاصمة ، وجد العديد من المناضلين ملجأ لهم في المناطق الأصلية التي نشأوا فيها^(٢) وهذا ما يفسر أن المدن الرئيسية كمسارح للعمليات حتى منتصف عام ١٩٩٣ ، تخلت عن مكانتها للريف والمناطق الجبلية ، فقد أصبحت هذه المناطق تضم أحراراً من المستحيل التخلص منها إلا بالعديد من العمليات المحمولة بالطائرات المروحية . ويعد طردهم من المدن تركّزت الجماعات المسلحة حول " مثلث الموت " الذي يتشكل في منطقة وسط البلاد من مدن براك - بليدا - لاربا . وحول محور ستيف - ميلا - كولو - جيجيل ، مع امتدادات إلى عتابة وقسطنطينة وباتنة في الشرق ؛ وأخيراً حول مدن عين ديلقا وسيلف وتييرا وسيدى بلعباس وتسمسيلت وسعيدة في الغرب .

(١) بعض الجماعات المسلحة تذهب إلى أبعد من ذلك حيث يشبهون السلطة الجزائرية بالحكومة الصربية ويتهمان الاثنين " بالتصنيف العرقية " ضد المسلمين .

(٢) هذا يفسر أن مناطق مثل جيجيل التي ينتمي إليها معظم سكان بلكور في العاصمة ، قد أوت عددًا هائلاً من اللاجئين في الأحرار .

ومن الطبيعي أن خريطة العنف الإسلامي المسلح راحت بالتدريج تتماشى مع خريطة التمرکز الجغرافي للجهة الإسلامية للإنقاذ الناتج عن الانتخابات البلدية لعام ١٩٩٠ والتشريعية لعام ١٩٩١ . هذا التطابق يلاحظ بوجه خاص فيما يتعلق بالتمرکز الجغرافي لجيش الإنقاذ الإسلامي . فالواقع أنه منذ إطلاق سراح أطر الجهة الإسلامية للإنقاذ المسجونين في معسكرات الجنوب (تم إطلاق السراح بين منتصف ١٩٩٢ وأوائل ١٩٩٤) وتنظيمهم الذي بدأ في خريف ١٩٩٣ داخل جيش الخلاص الإسلامي ، امتد الصراع ، الذي كان محصوراً حتى ذلك الوقت في منطقة وسط البلاد ، إلى مناطق الشرق والغرب . هذا الامتداد الذي حدث لمناطق التمرکز الإسلامي المسلح دفع السلطات إلى إطالة قائمة مناطق العمليات (بليدا - تيبازا ، بومردس ، عين ديفلا ، ميديا ، بويرا) في يونيو ١٩٩٣ إلى إقليم سيلف في الغرب ، وإقليم حيلفا في الوسط وإقليم مسيلا في الشرق .

ومن الجدير بالذكر أن المواجهات بين الجماعات الإسلامية المسلحة وقوات النظام خلال عام ١٩٩٤ ، كانت في عتف متزايد . وطبقاً لبعض المراقبين الأجانب ، يقدر عدد القتلى من الجانبين ، بين يناير ١٩٩٤ وربيع ١٩٩٥ ، بأكثر من أربعين ألف قتيل . وباسم "مكافحة الإرهاب" تستبيح قوات الأمن الجزائري كل "التجاوزات" من استعمال مكثف للنابالم ، إلى قتل الجرحى للتخلص من كثرة عدد المساجين^(١) . واتخذ القمع وجهة جديدة خلال عام ١٩٩٤ ، فقد أصبح "المدنيون" هدفاً حيث بات من الأمور العادية القبض التعسفي ، والقتل ، والتعذيب الجماعي ، مما يغذي الأحرار الأكثر تطرفاً ويضاعف من اللاجئين إليها .

(١) في إصدارها بتاريخ التاسع من يونيو ١٩٩٣ (رقم ٣٧٨٩) نشرت جريدة الكانار أنشيينه محادثة تم تسجيلها عن طريق التمنت : فحواها أنه بعد أن فرغ الجيش الجزائري من تمشيط أحد الأحياء بالعاصمة واصطحب بعض الجرحى ، تلقى أمراً من القيادة المركزية بـ "التخلص عليهم" .

الاستراتيجية الثورية والانحراف الإرهابي

إذا كان طموح بعض الجماعات المسلحة ، كما يمكن أن يتصور البعض ، أصبح لا يستهدف إدارة عنف هادف بقدر ما يستهدف نوعاً من العنف " الأعمى " ، وإذا لم تكن الجماعات الإسلامية المسلحة وحدها التي تنسى شيئاً فشيئاً هدفها المبدئي من القتال ، فقد تشابك وتعقد الصراع (بعض الجماعات المرتبطة بالجبهة الإسلامية للإنقاذ تمر بنفس التطور) فهل يمكن أن نتحدث عن انحراف إرهابي ؟

إن العنف ، وهو نتيجة لإغلاق المجال السياسي ، واختفاء أدوات الوساطة لدى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وعجز الحزب عن إحكام السيطرة على التوترات المتعلقة بطبيعتها المزبوجة ، أقول إن العنف بصفته هذه قد أصبح مترسّخاً وبعمق في الممارسات الاجتماعية الجزائرية .

إنه مترسّخ جزئياً في الطريقة التي غذى بها القادة في عام ١٩٩٢ ، ذكرى العنف القديم الذي صاحب حرب الاستقلال . كذلك فإن العنف يجد له جذوراً في الطريقة التي قامت بها جبهة التحرير الوطني ثم السلطة ، على مر السنين ، بقمع المعارضات (اغتيال أبان رمضان وخيضر وكريم بلقاسم وعلى ميسيلي ، وسجن آيت أحمد بن بيلا ، وقمع انتفاضات ١٩٨٦ و ١٩٩٨) وروجت بذلك للفكرة التي تقول بأنه ما من وسيلة للحكم أو الاستيلاء على الحكم إلا بالعنف .

ولكن لشدة ارتباط مناضلي الجماعات الإسلامية بنسيجهم الاجتماعي الأصلي ، فهم يعتبرون أساساً أبطال التمزيق الاجتماعي والتمرد الذي يدوي في الأحياء الشعبية (" الأحياء الساخنة " كما يسمونها في العاصمة) وذلك منذ حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

إن التشبث بالقطيعة الذي أصبح يحمل لواءه الجماعات الإسلامية المسلحة لم يعد يسمح لها بمواجهة حتى احتمال التفاهم مع " نظام " هي تستهدف قلبه دون أى تصور سياسى آخر . وإن انضمام جزء من الحركة الاجتماعية الإسلامية إلى الجماعات الإسلامية المسلحة ليحول مع ذلك دون الحديث ، حتى فيما يتعلق بالجماعات ، عن إرهاب خالص ، إذ أن الكفاح المسلح بالنسبة لبعض الشبان ، إنما هو تطبيق للعدالة ، وانتقام لشوار أكتوبر ١٩٨٨ . فعلى النقيض من الكفاح المسلح الذى قاده مصطفى بويالى الذى لم يكن يتمتع بأى تأييد شعبى ، فإن العنف الذى تمارسه الجماعات المسلحة المتشددة يزعم لنفسه مرجعية اجتماعية، البلوريتاريا التحتية الضمنية الشابة، التى تجد نفسها جزئياً فى الجماعات الإسلامية المسلحة . دليل ذلك رفض عدد من الجزائريين الاعتراف بمسئوليه الإسلاميين عن عمليات الاغتيال الدامية . إن الصراع المسلح قد أسفر بهذا الخصوص ، عن إخراج جيل جديد ، أكثر شباباً من ذلك الذى قام على إنشاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، جيل ليس لديه أى شكل من أشكال التعبير السياسى منذ حل الحزب والذى أصبح يأخذ على الحزب " تواطؤه " مع النظام .

أما الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد ظلت بشكل كلى تصرّ على تصنيف العنف الذى توجهه نحو هدف سياسى مادى ، ووفاء للأمال الاجتماعية لدى قاعدتها ، تصرّ على أن تقوم ، رغم تجربة السرية ، بالخيار السياسى الذى قال به جزء من المجتمع الجزائرى فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٩١ .

كذلك فليس من اليسير على الجبهة الإسلامية ، فى مجال اختيار أهداف العنف ولا فى مجال إدارة الحوار مع السلطة ، أن تحافظ على " مصداقيتها " وفى وقت واحد لدى المناضلين الذى يخوضون الكفاح المسلح ، ولدى محاورهم فى السلطة الحاكمة . ومن ثم كانت الصعوبة التى تشعر بها الجبهة فى إعلان تحديدها بإقامة حوار هو مع ذلك ضرورى بالنسبة لها ، خاصة وأن رصيدها يتضائل لدى الجماهير بقدر ما تعاني هذه الجماهير من عنف الإرهاب .

جيل الجماعات الإسلامية المسلحة

تتكون الجماعات الإسلامية المسلحة في غالبيتها من شبان بين السادسة عشر والخامسة والعشرين (وكذلك إخوتهم الصغار) وهؤلاء هم الذين تظاهروا في أكتوبر عام ١٩٨٨ . وتضم الجماعات الإسلامية العناصر الأكثر تأزماً والأقل اندماجاً في الحزب - بسبب التزام الحزب بالدستورية ، وبالذات من خلال اشتراكه في المجالس الانتخابية - على النحو الذي كان يعبر فيه عن مواقفه في فترة شرعيته. وكذلك فإن الجماعات الإسلامية ، وهي في ذلك أكثر من جيش الإنقاذ الإسلامي ، هي المعبر عن أكثر القطاعات تهميشاً في الواقع الاجتماعي الجزائري . فالحقيقة أن الجماعات الإسلامية المسلحة تضم غالبية من العناصر المستبعدة : عاطلين ، وتجار حقيبة ، ومحرومين من التعليم ، كما تضم عناصر هي رموز لحركة اجتماعية كان بروزها على المسرح السياسي الجزائري في شكل عنف مناهض للدولة ، وهو مجال تتوجه نحوه آمالهم في اكتساب أشكال جديدة من الهوية .

وإن أوجه التشابه بل التطابق بين أهداف عناصر الجماعات الإسلامية المسلحة وبين أهداف شباب الشرطة الذين يواجهونهم ، لتدل في واقع الأمر على البعد الاجتماعي لصراع تدلى فيه الأيديولوجية الإسلامية " بتبريراتها " التاريخية . إن هؤلاء الشبان وهم يرتدون الزي نفسه وينتمون إلى أوساط بعينها ، مما يفسر أن الشرطة أكثر تقبلاً للخطاب الإسلامي ، يتوجهون نحو الشرطة أكثر مما يتوجهون نحو الأحرار لاعتبارات مادية . وهناك عائلات تنهج سياسة حكيمة للبقاء على حياتها تجعلها تلحق أحد أبنائها بالشرطة والآخر بالجيش ، حتى إذا انتهى الصراع على أي نحو ، ضمنت حماية أحد المنتصرين . هذا الوضع يفسر " حميمية " العنف الذي أصبح من الآن فصاعداً لا تقل منه أية أسرة جزائرية .

ولكن خلف المواجهة بين الدولة (وممثليها) وبين الجماعات المسلحة ، يلوح الصراع الذي بدأ في التسعينيات بين " المستمتعين " الذين ينسب إليهم مسئولية اللثام الاجتماعية ، وبين الشباب القهور الذي تبددت آماله في التغيير وفي الثأر ذات مساء من يناير ١٩٩٢ .

وبدلاً من الاستراتيجية الدستورية الخاصة " بالتقنيين " التي فقدت اعتبارها بسبب الانقلاب ، حل المنطق المعادى للنظام الخاص بالحكميين ، وهم " الأبطال الجدد المكلفين بمحو " العار " القديم .

قرصنة سياسية دينية

والجماعات الإسلامية المسلحة تعرف كذلك كيف توائم بين مصالحها ومصالح شبكات العملاء المنتفعين المحليين ، وتضمن الولاء ، أو على الأقل المساعدة من عصابات المجرمين الذين حوّلوا تصرفاتهم المعادية للحكم وعطشهم في " تهشيم رأس الشرطة " إلى نوع من القرصنة السياسية - الدينية .

وصورة " المجرم الشريف " ماثلة دائماً في التاريخ الجزائري والمغربي ، وبصفة عامة في المجتمعات التي يغلب عليها الطابع الريفي . وهذه الصورة بملامح تاجر الحقيبة أو الخارج على القانون توجد أيضاً في الحركة الإسلامية . فإمام اضطرارهم للتفاوض مع القادة الإسلاميين أيام كانت اليد العليا في إدارة الأحياء للجهة الإسلامية للإنقاذ ، كان " الأولاد الأشقياء " يجدون من الطبيعي أن يلتحقوا بالجماعات الإسلامية . فولأولهم للإسلاميين يحميهم من بطش السادة الجدد ويجنبهم التعرض للعقوبات . كما أن رغبتهم في الحركية الاجتماعية واكتساب النفوذ جعل منهم " سادة الحرب " الجدد . ومن ثم ظهر في الساحة ما يعرف باقتصاد الحرب الذي يستنزف أموال الزكاة والصدقات والسلب والنهب وتجارة قطع الغيار المسروقة أو السيارات المهربة . وكذلك تجارة المخدرات ، وهكذا انتشر ما يعرف باسم تسييس السلوك الإجرامي (أي تسخيرها في السياسة) وتحويله إلى عنف سياسي . وفي ملتقى العنف الاجتماعي والعنف السياسي ، جاء دخول المهربين في الجماعات الإسلامية فاتحة خير للتجار والصناعيين الذين تربطهم علاقة طيبة بالجمارك . ولما كانت الشرطة قلما تتحرك إلاّ لنواحي الأمن ، فقد وجدت المافيا صالحتها ، إن لم تكن تشجع على ذلك ، في العنف الذي يثير الاضطرابات في المدن الجزائرية . وازدهرت أنشطة المافيا في ظل العصابات المسلحة في كثير من المناطق .

الجماعات المسلحة والجماهير الحضرية

فى داخل الحركة المسلحة ، يتعايش منطلقان متمايزان ، وأحياناً متناقضان أمام ضغط الجيل الأول من أنصار العنف ، راحت الجماعات الإسلامية المسلحة ، ثم جيش الإنقاذ الإسلامى ، ينهجان استراتيجية ذات مدى متوسط ، تراهن - على المدى الطويل - على انهيار الوضع السياسى والاقتصادى . ومع اقتناعهم بأن الزمن يعمل لصالحهم ، شرعوا فى التأثير على قطاعات واسعة فى المجتمع لكسب تأييدها فى حالة الثورة . وفى مرحلة أولى ، عمدوا إلى التقليل من مواجهاتهم مع الجيش وعدم تبديد قوتهم مقابل أى ثمن . ومع ذلك يتحدثون عن فكرة " الدفاع الشرعى " لتبرير اغتيالهم لأولئك الذين يطلقون عليهم " رجال الحادى عشر من يناير " وهم مجموعة من طوائف مختلفة وهيئات متعددة متهمون " بإجهاض اختيار الشعب " . بعد ذلك عمدت أطر الجماعات الإسلامية المسلحة وجيش الإنقاذ الإسلامى إلى التركيز على العمليات العسكرية الضخمة التى تستهدف الاستيلاء على إمدادات من السلاح ، وهم فى ذلك يستفيدون من تواطؤ بعض الضباط وصف الضباط المتعاطفين والمفتونين - أو المفزعين - بالخطاب الإسلامى والساخطين على وعود قيادتهم العقيمة : الهجوم على مأمورية الجزائر العاصمة فى فبراير ١٩٩٢ (حيث أعدم اثنان من صف الضباط) والهجوم على معسكر بوغزول فى مارس ١٩٩٣ - والذى انتهى بفضل تواطؤ داخلى بمقتل عشرين جندياً وسرقة أسلحة ثقيلة - وقضية بشار فى ديسمبر ١٩٩٢ - التى حكم فيها على تسعين ضابطاً وجندياً بتهمة " التآمر ضد أمن الدولة " والتحريض على الهرب من الخدمة ، عشرون منهم حكم عليهم بالإعدام .

ولكن فى الوقت الذى ينظر فيه جيش الإنقاذ الإسلامى والجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى قاعدتهما الشعبية باعتبارها مصدراً يمكن تعبئته ، ولا يحاولان إفزاع القاعدة - فهما يصبران بهذا الخصوص على أن "السكان المدنيين" يكونون بمنأى عن عنف الجماعات المسلحة مع تجنبها أيضاً للعمليات الانتقامية التى تقوم بها قوات النظام - ، فإن الجماعات الإسلامية المسلحة تفاخر بأنها تتصرف باسم هذا الدعم الشعبى ولا ترحم أى فئة من " أعداء الإسلام " . كذلك فهم يذهبون إلى حد الهجوم على أعضاء فئات هى بصفة عامة فى حماية تضمنها لها النصوص المقدسة (إذا لم تخضع هذه الفئات لضغوطهم)

واستصدروا فتوى بتوقيع عمر علمي تدعو إلى " قتل عملاء السلطة أيًا كانوا ، دون رحمة حتى برب الأسرة أو شخص مسن أو امرأة " .

وهو عدوان على مقدسات كانت مصانة حتى ذلك الوقت . فقد تعرضت حوالى مائتى امراه لأعمال عنف مختلفة من اختطاف إلى تعذيب إلى بتر الأعضاء ، من بين أمهات وبنات وأخوات وزوجات رجال الشرطة والجنود .

أما غالبية جماهير المواطنين التي تضطر بالرغم منها إلى الانحياز لهذا الجانب أو ذاك تحت التهديد ، فإنها قد أصبحت ، بين مطرقة الإسلاميين وسندان الجيش ، تعيش فى رعب وفزع .

وقد أدرك بعض المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ معنى هذا الانحراف ، فاتهمت الجماعات الإسلامية المسلحة بأنها فى أغلبها تتكون من " مرتزقة " كما أنهم يرون أن " المفتونين بالجماعات الإسلامية المسلحة من إسلاميين وغيرهم ، إنما هم من المهمشين . وهم يجدون فى هذه الجماعات ملجأ يجعلهم فى مأمن من القمع ويجعلهم يضربون السلطة التي كانت يوماً تقوم بقمعهم . فالعسكريون فى جيش التحرير الوطنى ليس لديهم الحرية التي لدى الجماعات الإسلامية المسلحة الذين يمكن لأفرادهم أن " يضربوا " أى شخص وفى أى زمان ومكان . هؤلاء يجدون مزيداً من الحرية فى الجماعات الإسلامية المسلحة ويستطيعون أن يشبعوا فيها رغبتهم فى الانتقام^(١) .

كان من نتائج القسوة التي تمارسها الجماعات الإسلامية المسلحة ، وبالأذات تعدد عمليات السيارات الملقومة ، أن فريقاً متزايداً من سكان الأحياء الشعبية ، وهم أنصار طبيعيون للجبهة الإسلامية للإنقاذ، بلغ بهم الأمر إلى الانفصال عن المعسكر الإسلامى: " الجماعات الإسلامية المسلحة لا تعترف إلا بكلمة لا : لا للحوار ، لا للهدنة ، .. إنهم ليسوا سوى جماعة حرب . ليس لديهم سياسة . هم فى الحرب ضد سائر طوائف المجمع داخل البلاد ، وضد جميع الدول فى الخارج . حتى داخل الفرق الإسلامية ، هناك معارضة متزايدة لممارسات الجماعات الإسلامية المسلحة^(٢) .

(١) لقاء مع أحد المسئولين السياسيين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى سبتمبر ١٩٩٤

(٢) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مارس ١٩٩٥

محاولة التدويل :

بعد إخضاع ما ينشر عن العنف المسلح للسلطات العسكرية وتكرار عمليات اغتيال أفراد قوات الأمن مع تزايد الصراع ، لجأت الجماعات الإسلامية المسلحة إلى الهجوم على أهداف جديدة ، من بين هذه الأهداف شخصيات ثقافية وصحافية . ولما أصبحت هذه الاغتيالات من الأمور العادية ، حاولت الجماعات المسلحة البحث عن أهداف جديدة .

منذ شهر ديسمبر ١٩٩٣ - تاريخ انتهاء موعد الإنذار الذي وجهته الجماعات المسلحة إلى الحكومات الأجنبية ، صبيحة إطلاق سراح ثلاثة من العاملين بالقنصلية الفرنسية ، كانت الجماعات تحتجزهم رهائن - بدأ الاتجاه نحو تدويل الأزمة الجزائرية الذي أصبح بدوره يقسم مختلف توجيهاات الحركة الإسلامية إلى قسمين - ففي حين جعلت الجماعات الإسلامية المسلحة هدفها الجديد هو " أعوان المؤامرة الاستعمارية البغيضة " أي الأجانب في البلاد ، الدول الرئيسية المستهدفة بهذه الاغتيالات (فرنسا وإيطاليا وأسبانيا) حيث إنها تمثل غالبية التعاملات مع بلدان العالم ، بالإضافة إلى روسيا وهي الممول الرئيسي لهم بالسلاح - فإن المسؤولين في جيش الإنقاذ الإسلامي والجهة الإسلامية للإنقاذ الذين يعارضون مثل هذه الاغتيالات ، حاولوا إقناع الناس بقرب استيلائهم على السلطة . فعمدوا مراراً إلى التدخل لدى الجماعات الإسلامية المسلحة التي قبلت ببعض وجهات نظرهم على ما يبدو ، فأعرضوا عن استهداف مواطني جنسيات دول معينة - في مقدمتهم مواطنو الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا واليابان - كنوع من المراعاة والتمهيد لمستقبل علاقاتهم التجارية ، في حالة وصولهم إلى السلطة . كذلك فإن المسؤولين في اللجنة التنفيذية للجهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج قاموا لهذا الهدف ، بعقد صلات مع بعض رجال الصناعة في أوروبا ممن لديهم الرغبة في الاستثمار في الجزائر ولا يأنفون من الحصول على ضمانات عن طريق قادة أقوياء . كما قام هؤلاء المسؤولون أنفسهم بمقابلة مبعوثين سياسيين أوروبيين وأمريكيين بهذا الخصوص .

ونظراً " لحصار " الكفاح المسلح (استحالة التأييد الخارجي وضعف الدعم) واعتباراً لصمت المجتمع الدولي فيما يتعلق بالقمع ، فإن الجماعات الإسلامية المسلحة قامت بخطوة جريئة في إطار سياستها في تدويل الأزمة . ويهدف إظهار عجز الدولة الجزائرية عن حماية أمن الذين تزعم حمايتهم ، ويهدف إحداث صدمة في الرأي العام

العالمى ودعوة الحكومات الغربية لإعادة النظر فى دعمها للحكومة الجزائرية ، كان لحادث اختطاف الطائرة التابعة لشركة الطيران الفرنسية ، وقع الزلزال ليس فى فرنسا وحدها . إن " حادث الطائرة " يدل على أن السلطات الجزائرية عاجزة عن محاصرة العنف . وظهرت فرنسا كعنصر أساسى فى الصراع ، وبدأت تؤيد ، على الأقل مؤقتاً ، الداعين إلى إقامة حوار سياسى وذلك ضد الرأى القائل " بالبطش من أجل الأمن " . زاد من هذا الاتجاه مقتل الإمام سحنون والانفجار الذى وقع فى محطة سان - ميشيل فى باريس فى يوليو ١٩٩٠ . على أية حال ، فليس من المستبعد ، رغبة فى كسر الرتابة المتمثلة فى عمليات قتل الأجانب ، أن تقوم الجماعات الإسلامية المسلحة بتصدير العنف إلى خارج الحدود الجزائرية . ولعل مما يؤيد ذلك العزم كثرة عمليات الأسلحة المعدة للأدغال الجزائرية فى أوروبا خلال عام ١٩٩٥ ، والكشف عن كثرة الشبكات المتعاونة مع الجماعات الإسلامية المسلحة .

العنف والرهانات الاقتصادية

بالإضافة إلى أن تعارض التناول بين الجماعات الإسلامية المسلحة والجبهة الإسلامية للإنقاذ ينصب على منافسات شخصية تقليدية ، فإنه يحلنا أيضاً إلى أسلوبى التعامل مع السياسة اللذين كان يتجهما الحزب فى فترة شرعيته . ففى حين يرى المسئولون فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ أن العنف ما هو إلا استمرار للسياسة بطرق أخرى ، ويتعاملون معه داخل إطار الدولة - الوطن^(١) ، فإن قدامى " التيقراطيين " يجعلون من اللجوء إلى الكفاح المسلح فى الأراضى المسلموبة من الأمة^(٢) " فرض عين " ^(٣) ، وبالتالي ، هدفاً فى حد ذاته ، يتيح للمناضل فرصة كبرى لنيل الشهادة " .

(١) يدخل فى هذا الصدد العرض الذى تقدم به حسن الترابى بالتدخل للوساطة بين مختلف الأطراف الجزائرية فى مقابل وعد من جانب فرنسا بالعمل على رفع الضغط الأمريكى على السودان .

(٢) انظر فى هذا الموضوع فيما يخص المجاهدين الأفغان آراء أوليفييه روا فى كتابه بعنوان " قشل الإسلام السياسى " باريس ، دى سوى ، ١٩٩٣ .

(٣) رسالة بقلم عبد السلام فرج ، المنظر لجماعة " الجهاد " التى اغتالت السادات .

إن اختلاف المفهوم المتعلق بالعنف في الحرب ، بوصفه عنفاً من أجل العنف (موقف الجماعات الإسلامية المسلحة) والعنف كوسيلة (موقف الجيش الإسلامي للإنقاذ) يفسر الطبيعة المتناقضة أحياناً في الاستراتيجيات المستعملة من جانب الجماعات المسلحة السرية المختلفة . إن أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، في إطار حرصها على المحافظة على الحزب لكي يمكن أن يشكل في المستقبل نواة النظام ، يحاولون أن يأخذوا في الاعتبار الضغوط المتعلقة بعدم التكافؤ في علاقة القوة بينهم وبين الجيش . وفي ذلك يصرح أحد المسؤولين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ قائلاً : "إن الجماعات الإسلامية المسلحة تؤكد أنها لن توقف القتال قبل قيام الدولة الإسلامية وتنصيب الخليفة . أما نحن فإننا ضد هذه الاستراتيجية . نحن نؤيد الحل الذي يحافظ على أكبر قدر من الأرواح والممتلكات ، ويتضمن قدرأ من الواقعية . نحن لا نطالب بأن يحكم الجزائريون المسلمون مائة في المائة" (١) . وفي صبيحة التوقيع على عريضة روما في يناير ١٩٩٥ ، وافقت اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج (بشكل غامض) على إدانة عمليات الاغتيال التي تستهدف " الأبرياء بصرف النظر عن ديانتهم وجنسياتهم وجنسهم وبصرف النظر عن مرتكبي هذه الأعمال " .

وكما يعارض القادة السياسيون للجبهة الإسلامية للإنقاذ اغتيال الأفراد مثل المثقفين والأجانب الذين لا علاقة لهم بالانقلاب ولا القمع ، فإنهم أيضاً يعارضون تدمير المدارس والمصانع الذي تقوم به الجماعات الإسلامية المسلحة . وعلى ذلك فبينما اعتادت هذه الجماعات الاعتداء على كل رموز الدولة (الهجوم على العموديات وأقسام الشرطة والمعسكرات ومكاتب البريد والبنوك والمشروعات العامة وتخريب مراكز الهاتف ومحطات الكهرباء ، وتدمير الجسور والمدارس ..) (٢) أما جيش التحرير الوطني فيعترف اعترافاً ضمنياً بالمؤسسات القائمة . كما أن حرص المسؤولين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجيش التحرير الوطني على الحفاظ على فرصتهم في الوصول إلى السلطة بدعم أو على الأقل حياد من جانب المستثمرين الأجانب ، يجعلهم يعلنون دائماً حمايتهم للهيكل الاقتصادي في البلاد .

(١) لقاء مع مسئول سياسي في الجبهة الإسلامية للإنقاذ في يونيو ١٩٩٤

(٢) في أغسطس ١٩٩٤ ، أعربت السلطات الجزائرية عن أسفها لتدمير أكثر من أربع مائة مؤسسة تعليمية .

وقبل عام ، وجه على بن حاج تعليماته التي تقضى بعدم المساس بهذه المنشآت .
" إذا كنا نريد إقامة دولة إسلامية فعلينا أن نحافظ على مواردها . كذلك من الواجب
ألا نمسّ المصانع أو المؤسسات التي تتفوق فيها المصالح العامة على مصالح الدولة
(وبخاصة المدارس) . ليس معنى ذلك أن هذا التوجيه ينفذ ١٠٠٪ وليس معنى ذلك أن
الجماعات الإسلامية تلتزم دائماً بهذا المبدأ" (١) .

بحثاً عن حل سياسى :

الجناح العسكرى ، مثل الجناح السياسى للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لم يكف
كلاهما عن التفكير فى حل تفاوضى . " الجناح العسكرى للجبهة الإسلامية للإنقاذ
المكون من أعضاء كانوا دائماً جزءاً من الجبهة يخوض الجهاد من أجل النضال ضد
تجاوزات النظام . وهو ما يزال مرتبطاً بالإدارة التاريخية للجبهة ، أى بالمجاهدين وهو
أيضاً يعارض الجماعات الإسلامية المسلحة ، ويتبنى خطأ سلوكياً مختلفاً وهو لا يعارض
المفاوضات التي ينبغي أن يتولاها مسئولون سياسيون " هذا ما يصرح به أحد المسئولين
فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج ، الذى يرى أن من الواجب من الآن فصاعداً
اتخاذ الإجراء الحقيقى لفصل جيش الإنقاذ الوطنى ، "حيث يوجد بعض المتطرفين ،
هذا صحيح ، ولكن حيث لا حل إلا الحل السياسى أخذاً فى الاعتبار "الضغوط"
والجماعات الإسلامية المسلحة. " التي تريد أن تسوى المسائل بالقوة وحدها" (٢) .

وبصورة أكثر دقة ، فيما يختص بجيش الإنقاذ الوطنى والجبهة الإسلامية
للإنقاذ، من الضرورى " إيضاح الأهداف من أجل عمل قائمة بالأولويات ، من حيث إن
الأولوية الآن تتركز فى معرفة ما نريد أن نخرج به من النضال . ينبغي أن نعرف كيف
نميز أهدافنا ، نفرق بين الوسائل الكفيلة بخدمة مشروعنا ، وبأقل الخسائر والتضحيات .
إن المقاومة ليست هدفاً فى حد ذاتها" (٣) . وعلى النقيض من الجماعات الإسلامية

(١) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى ديسمبر ١٩٩٤

(٢) لقاء مع مسئول سياسى للجبهة فى يونيو ١٩٩٤

(٣) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مايو ١٩٩٤

المسلحة التى تعلن أنها تنوى أن تناضل حتى يتحقق المجتمع المثالى الكامل ، وترفض أن تضع يدها فى يد " النظام القديم " ، فإن المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ يفضلون حلاً يجمع القوى السياسية الثلاث التى وصلت إلى أفضل النتائج فى انتخابات ديسمبر ١٩٩١ وهى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وجبهة القوى الاجتماعية وجبهة التحرير الوطنى ، ويجعل أركان حرب الجيش ينسحب من الساحة السياسية .

هذا التوجه نحو الحوار هو ما أشار إليه ضمناً على بن حاج الذى يؤيد مساعى الجنرال زروال من أجل تهيئة الفرصة للحوار ، كما أنه فى رسالة أخرى إلى الرئيس زروال أشار إلى الفارق بين " المقاومة المشروعة " التى يقوم بها المجاهدون ، وبين " الإرهاب الأعمى " (إشارة إلى الجماعات الإسلامية المسلحة) .

جاء ذلك بشكل أكثر وضوحاً وصراحة على لسان عبد القادر بوخمخم وعلى جدى (المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتم إطلاق سراحهما فى فبراير ١٩٩٤) اللذين يعبران عن أملهما فى نجاح مساعى الحوار التى يسعى لتحقيقها الرئيس زروال . كما يؤكد الزعيمان عزمهما على عدم فرض أى نموذج اجتماعى على الجزائر ، أو طلب أى وزارات دون المرور بالانتخابات . كذلك يضع الزعيمان شروطاً لنجاح مساعى السلطة فى النقاط الآتية :

(١) إطلاق سراح قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإغلاق معسكرات الاعتقال ، وإلغاء المحاكم الخاصة .

(٢) رفع الحظر المفروض على الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإطلاق الحريات السياسية، وحرية الصحافة والخطابة وأعمال الخير .

(٣) العودة إلى الشرعية المتفقة مع المعارضة القانونية .

(٤) إيقاف الاعتداءات على المنازل والمساجد .

وتكلم عباس مدنى بعد صمت دام ثلاث سنوات ، بعد أن قام بزيارته الجنرال محمد بليتشين والجنرال طيب ديراغى (وهما قريبان من زروال) ووجه بنوره رسالة إلى رئيس النولة فى نهاية شهر أغسطس عام ١٩٩٤ يؤكد فيها على شروط مشاركة

الجبهة الإسلامية للإنقاذ في "الحوار"، ويؤكد تأييده لتصريحات زروال المتعلقة بضرورة احترام الدستور. ولكنه ذهب أبعد من ذلك، حينما عرض إمكانية عقد "هدنة" عسكرية، بهدف خلق جو من الهدوء يسمح بالحوار، وهو بذلك يؤيد أول مطلب للرئيس.

وفي الثالث عشر من الشهر التالي، أحدث خبر إطلاق سراح بن حاج ومدني، فعل الزلزال في الجزائر كلها. وبينما حددت إقامة الرجلين، أفرج عن بقية رفاقهم إفراراً تاماً.

كان ذلك القرار نتيجة اتفاق بين مختلف اتجاهات الجيش، ومع ذلك فقد كان سبباً في خلافات كثيرة. فإذا كان الأمر بالنسبة للقادة العسكريين يتضمن إقناعاً لأصدقائهم الغربيين بحسن نواياهم، وعاملاً على جذب المستثمرين الأجانب من جديد، فهو لا يدل، بأي شكل من الأشكال، على قبول القادة العسكريين لأي أساس بتفوقهم السياسي. وإذا كان زروال حاول العمل على إيجاد حل "تفاوضي" مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فإن العسكريين الراديكاليين لم يروا في الإقامة المحددة التي فرضت على زعيمى الجبهة الإسلامية للإنقاذ سوى الدليل على أن الشيوخ ليس لهم أى سلطة على الجماعات المسلحة، وفي هذه الظروف، فليس هناك جدوى من إقامة حوار معهم. كما أن الجنرالات الراديكاليين لا يمكن أن يوافقوا على إعطاء الإسلاميين ضمانات إلا في حدود أن هذه المبادرة سوف تقدم لهم فرصة أكبر لفرض إرادتهم (يعبر العسكريون في تصعيد متزايد عن رفضهم الشديد لإقامة حوار مع فئة هم مكلفون بقمعها) وفي السابع عشر من سبتمبر ١٩٩٤، أى بعد أربعة أيام من خروج بن حاج ومدني من السجن وتحديد إقامتهما في منطقة جنان المفتى أصدر الجنرال لامارى توجيهاً إلى القادة العسكريين في المنطقة يبين لهم فيه أن الزعماء الإسلاميين مستعدون للتفاوض لسبب بسيط، وهو أنهم في وضع ضعيف للغاية، وأنه من الواجب انتهاز فرصة ضعفهم للقضاء نهائياً على الأحرار الإسلامية. إذاً، يعد هذا بمثابة نور أخضر لقادة المنطقة الذين لديهم فرصة ثلاثة أشهر، كما يحدد التوجيه، لكي ينتهوا تماماً وعلى أكمل وجه من عملية "التصفية".

أما الجماعات الإسلامية المسلحة ، فقد أكدت ، منذ الرابع عشر من سبتمبر ، رفضها لأي تفاوض مع السلطة . وتمسكت بمثلث الرفض : " لا مصالحة ، ولا هدنة ، ولا حوار " .

وأيا كان الأمر ، فقد تعثرت محاولة التفاوض مرة أخرى بسبب إصرار السلطة على أن تقوم الجبهة الإسلامية للإنقاذ بإعلان إدانتها لاستعمال العنف كمطلب سابق لإطلاق السراح الكامل لكل من مدني وبين حاج . كذلك فإن رفض العسكريين للطلب المقدم من الشيوخ مدني وبين حاج بإجراء مشاورات مع قادة جيش الإنقاذ الوطني والجماعات الإسلامية المسلحة وكذلك مع اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج ، قد عطل فرص نجاح المبادرة . " لا يمكن تحقيق أي حل للأزمة ما لم يقيم الشيخان بمقابلة المسؤولين في الجماعات الإسلامية المسلحة ، وكذلك جيش الإنقاذ الوطني والمسؤولين في الخارج ، فإذا قامت السلطة بإطلاق سراح الشيوخ والسماح لهما بالحركة ومقابلة المسؤولين في الجماعات الإسلامية المسلحة ، فاعتقد أننا سننصل إلى إقناعهم ، على المستوى الديني ، وعلى المستوى السياسي^(١) .

أما العسكريون الراديكاليون ، فقد تعللوا بفشل الحوار وعجز عباس مدني وبين حاج عن تطوير حلقة العنف ، وشرعوا في الهجوم عشية الأول من نوفمبر ١٩٩٤ . ففي أول أكتوبر وقع كل من رضا مالك وسليم سعدي ومصطفى الأشرف وعلى هارون على مذكرة يعبرون فيها عن معارضتهم لأي نوع من أنواع الحوار . وهدد رضا مالك بتأسيس حزب يندد بأي اتفاق مع الإسلاميين . وفي الثاني عشر من أكتوبر ، وفي الوقت الذي تعلن فيه الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن استعدادها للحوار مع السلطة ، وقعت سلسلة من الاغتيالات باستخدام السيارات الملقومة هزّت العاصمة .

وفي مناسبة الاحتفال ، بذكرى الأول من نوفمبر ، أعلن الرئيس الأمين زروال عن إجراء انتخابات الرئاسة التي سيكون هو المرشح الأساسي فيها ، وأعلن عن تصميمه على القضاء على " المرتزقة " وهم " الإرهابيون " الإسلاميون ، وفي معرض حديثه

(١) لقاء مع مسئول سياسي في الجبهة الإسلامية للإنقاذ في سبتمبر ١٩٩٤

أشار الرئيس إلى أسفه لعدم نجاح آمال " المصالحة " . وفى الأول من نوفمبر ، وقع حادث انفجار قنبلة أدى إلى مقتل أربعة شبان على بعد ثمانين كيلو متر من مستجانم .

وفى اليوم نفسه ، جاءت ترقية الجنرال لامارى إلى رتبة قائد عام للجيش ، دليلاً على انقلاب ميزان القوة فى الجيش لصالح الراديكاليين .

وعلى مستوى الواقع ، تجلّى ذلك فى حملة دامية من الأعمال الانتقامية أدت إلى مقتل عدة آلاف خلال عدة أسابيع . فلقد تم تزويد الجيش بوسائل مادية وتقنية إضافية (وبخاصة تجهيزات عسكرية تم شراؤها من فرنسا) فعمد إلى استراتيجية إرهاب جديدة . وندخلت الجزائر الحرب . حرب جاء غياب الصور التى تعبر عنها ، فى الخارج ، ليقوى الشعور بالعزلة الذى كان سببه قبل ذلك إغلاق الحدود . وإذا كانت القناصل الأجنبية ، وبخاصة الفرنسية ، لم تغلق أبوابها بالفعل ، فإنها امتنعت عن منح أية تأشيرات مما اضطر المسافرين إلى القيام بمساعى مكلفة وغير أكيدة .

وهكذا دخل العسكريون والإسلاميون المسلحون فى الجماعات الإسلامية المسلحة فى نوع من الحرب الأهلية . وعمدت الدولة إلى توزيع السلاح على المدنيين (قدامى المجاهدين ، أبناء الشهداء) وبخاصة فى القبائل ، واستعدت لإصدار موافقتها للمليشيات التى تكونت لهذا الغرض^(١) .

ودفع شبح الحرب الأهلية المسؤولين فى بعض الأحزاب السياسية إلى الشروع فى بعض المحادثات والحوارات . وقامت الجمعية الكاثوليكية الرومانية سانت إيجيديو بأول هذه المبادرات . وفى الحادى والعشرين من نوفمبر ، قامت هذه الجمعية بتنسيق لقاء فى روما بين زعماء أحزاب المعارضة التى حصلت على ٨٠٪ من الأصوات فى الانتخابات التشريعية التى أجريت فى ديسمبر ١٩٩١ . وقد وصل المجتمعون إلى اتفاق عام من ثلاث نقاط ، بضرورة وضع حد للعنف ، وفتح باب الحوار مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ،

(١) فى الثانى عشر من مارس ١٩٩٥ أعلن وزير الدفاع ميزان شريف عن قرب إصدار قانون يسمح لسكان المناطق المعزولة " بالدفاع عن أنفسهم " .

واحترام التعددية والحريات الأساسية ومبدأ التناوب في السلطة . وبذلك أثبت المجتمعون أن " فشل بدء الحوار الذي كان قد اقترحه الأمين زروال في شهر سبتمبر الماضي لا يرجع إلى الإسلاميين وحدهم ، وإنما أيضاً إلى النظام نفسه " .

كانت تلك خطوة . وهكذا خرجت المعارضة من قوقعتها . ولم يكن أحد يعرف ماذا كانت تفعل في العاصمة ، ثم إن رفض النظام أن يشارك في الاجتماع أثبت أنه يهرب وأنه يخشى من الحوار " . نحن نريد أن تعبر المعارضة عن نفسها ، حتى يكون الرأي العام العالمي على دراية برأي كل طرف من أطراف الصراع . إن المعارضة التي تواجهها السلطة ليست إسلامية فقط . من هذه الزاوية يعد الاجتماع حدثاً مهماً بالنسبة للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، أما بالنسبة للسلطة ، فقد كان منعطفاً خطيراً ، لأنه كشفها أمام الرأي العام العالمي . والرأي العام العالمي ضليع في هذا الصراع . إن الإعلان عما يجري عن طريق المعارضة ، يقلق السلطة : هذا يبين أن السلطة هي التي ترفض الحوار" (١) .

وعقد اجتماع آخر في روما من الثامن إلى الثالث عشر من يناير عام ١٩٩٥ ضم الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة التحرير الوطني وجبهة القوى الاجتماعية . وقد اتفق المجتمعون على مذكرة حول الحل السياسي والسلمي للأزمة الجزائرية ، تكون أساساً "لنقطة ديمقراطية" حقيقية . وقد استهدف الاجتماع والمذكرة دفع الرأي العام العالمي وإجباره على أن يبادر بإقامة حوار يضم جميع الأحزاب " . نحن لا نريد أن نبذو جبهة ضد السلطة . نحن نتمنى أن تنضم السلطة إلى هذا الإعلان . هذه يد ممدودة إلى جميع العاقلين الموجودين داخل النظام" (٢) .

قبل ذلك ، كان النظام وحده هو الذي يأخذ المبادرة على الساحة العالمية . أما منذ اجتماع روما فقد انتهى ذلك . " إنها سلطة غير شرعية ، مما يدعونا إلى اللجوء إلى الرأي العام العالمي . لا بد من التمييز بين الدولة والنظام . نحن لسنا ضد الدولة" (٣) .

(١) لقاء مع مسئول سياسي في الجبهة الإسلامية للإنقاذ في ديسمبر ١٩٩٤

(٢) تصريح لرياح كريم في صحيفة الصليب ، السبت الحادي والعشرين من يناير ١٩٩٥

(٣) لقاء في روما مع أنور هدام في الثالث عشر من يناير ١٩٩٥

وكان رفض النظام "كلية وتفصيلاً" "لعرض السلام" الذي تم تبنيه في روما ، دافعاً لعلى بن حاج إلى توجيه رسالة في العشرين من يناير ١٩٩٥ يعرب فيها عن تأييده لمذكرة روما ويبرر فيها اختيار العاصمة الإيطالية مكاناً للمفاوضات .

ومن ناحية أخرى ، فقد عرّض صدور مذكرة روما ، في البداية ، الجزائر لسلسلة من أعمال العنف من جانب المتشددون في النظام والجماعات الإسلامية الراديكالية ، الهدف منها محاولة إقناع الرأي العام العالمي بأنه لا جدوى من المفاوضات مع حزب (الجهة الإسلامية للإنقاذ) عاجز عن أى تأثير على الجماعات المسلحة . ومن جانب النظام ، جاءت النتيجة الفورية في شكل تكثيف لم يسبق له نظير لعمليات القمع ، ثم إعادة عباس مدني وعلى بن حاج إلى السجن في نهاية يناير ١٩٩٥ . وقد تجلّى "الانحراف الأمني" للسلطة بمناسبة العصيان الذي قام به المحتجزون في سجن سرقاج في الثاني والعشرين من يناير ١٩٩٥ . حيث تم إعدام حوالي مائة من السجناء منهم عدد من المسؤولين السياسيين في الجهة الإسلامية للإنقاذ ، هذا بالرغم من الإيقاف الرسمي لعملية الإعدام . ولم تفلح المحاولات التي بذلت من أجل تشكيل لجنة للتحقيق (قامت بها القوى السياسية الرئيسة والمنظمات الوطنية والعالمية للدفاع عن حقوق الإنسان والمحامون وأسر الضحايا) تتولى إلقاء الضوء على ملابسات هذه المجزرة .

أما عبد القادر حاشاني المقبوض عليه والمودع في الحجز منذ عام ١٩٩٢ في سجن سرقاج بلا محاكمة والذي كان قد حاول بلا جدوى أن يتوسط بين المتمردين وسلطات السجن ، فقد بدأ إضراباً عن الطعام رمزاً لمعارضته لهذا القمع الدموي ، ووجه في السابع عشر من مارس رسالة إلى الأمين زروال يحمل فيها قوات الأمن مسؤولية النهاية المأساوية للحدث .

وأما السلطة الجزائرية التي كانت حريصة على اتخاذ مبادرة سياسية ضاعت منها في اجتماع روما الذي لم تحضره ، فقد أعلنت تصميمها على إجراء انتخابات رئاسية قبل نهاية عام ١٩٩٥ . وقد دفعها إلى ذلك الملل الذي استولى على الجماهير ، وكذلك الصمت الذي يشوبه القلق والذي يخيم على شركائها الغربيين ، أمله من وراء هذه الانتخابات ، وأمام الرأي العام العالمي ، كسب "الشرعية" للمجموعة القيادية الجديدة (حتى ولو بتوسيع قاعدتها) ووضع الخطوط العريضة للخروج من الأزمة .

الخاتمة

إن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بوصفها تمثل توازنًا ضعيفًا بين حركة اجتماعية وحزب سياسي، لم تتمكن من المحافظة على هذه الطبيعة المزدوجة إلا عن طريق الاتفاق مع السلطة السياسية في إطار قواعد لعبة دستورية ذات مبادئ متحركة .

لكن طابع " الصدارة " في البناء المنجز أفرز عجزاً في السيطرة على توترات تولدت من تحالف تيارات متباينة وذات مصالح متغايرة ومتناقضة في بعض الأحيان. والحقيقة أن البون كان شاسعاً بين حركة اجتماعية تضم "المعذبين في الأرض" الجدد ، وجهاز سياسي في خدمة مصالح نخبة معينة . والجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بوصفها حاملة الإنقاذ الجماعي للبعض ، ووسيلة الارتقاء الشخصي للبعض الآخر ، كانت خلال السنوات الثلاث وهي فترتها الشرعية ، الدليل لمطلب اجتماعي وسياسي غير قياسي .

وإن التعايش المتحقق ، داخل إطار النضال المسلح ، لمنطقتين متعارضتين (منطق جيش الإنقاذ الإسلامي ومنطق الجماعات الإسلامية المسلحة) ليدل في الواقع على قطبية الجبهة الإسلامية للإنقاذ في اتجاهين لا يمكن التوفيق بينهما في الظاهر .

ومن ناحية أخرى ، فإن انقلاب يناير سنة ١٩٩٢ والقمع الذي صاحبه ، وبسبب إفسادهما للاستراتيجية الانتخابية الخاصة بقيادة الجبهة خلال سنوات شرعيتها ، وبسبب إضفائهما على النضال المسلح شرعية غير مؤكدة ، أقول إن هذا الانقلاب وما صاحبه من قمع لم يفرزاً في النهاية سوى مزيد من الحدة في الصراعات القائمة بين "التقنيين" وبين " التيوقراطيين " . غير أنهما أدّيا ، وبصورة أعمق ، ومن خلال ميلاد الجماعات الإسلامية المسلحة ، إلى بروز قوة جديدة تخرج من إطار سيطرة الزعماء السياسيين في الحزب .

وعشية الانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١ ، وفى الوقت الذى كان فيه "التقنيون" فى إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى طريقهم إلى كسب الدستورية ، وبالتالي إلى فرض منطقهم التشاركي على الغالبية العظمى فى الحركة ، فإن "التيوقراطيين" ، يدعمهم انتقال العديد من المناضلين ومن الأطر فى الحزب إلى السرية ، أصبحوا الآن يهيمنون على ساحة خطاب الحركة الإسلامية . فتحت نفوذهم ، وخلال ثلاث سنوات من النضال المسلح ، أصبح شباب الحركة ، المحركين الرئيسيين لكفاح أصبح فى نظرهم يستهدف تدمير أسس الدولة .

لذلك ، وفى الوقت الذى يعترف فيه " التقنيون " فى الإدارة السرية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، ضمناً ، بالمؤسسات القائمة ، وما يزالون على حرصهم على تجنب الجماهير المدنية الصراع ، وهى الجماهير صاحبة القرار فى حالة العودة إلى الانتخابات، ومع إدراكهم للمنافسة التى تضعهم أمام نخبة الدولة ، فإن "التيوقراطيين" ومناضلى الجماعات الإسلامية المسلحة ، من منطلق اقتناعهم برسالتهم التاريخية ، يسخرون العنف فى فرض نظام اجتماعى معارض ومهيمن ، هو فى أعينهم صورة للدولة الإسلامية التى يحلمون بها .

وفى الوقت نفسه ، وفى حين يحاول " التقنيون " إقناع شركائهم التجاريين الرئيسيين فى الجزائر ، بإمكانية وصولهم إلى السلطة ، وكذلك قدرتهم على تحقيق نوع من الاستقرار السياسى ، ويعلنون فى هذا الصدد تحفظهم حيال عمليات اغتيال الأجانب ، فإن الآخرين وتحت وطأة القمع ، ينطلقون فى استراتيجية تدويل للأزمة قد يكون من نتائجها أن تؤخر استعدادات النظام للتفاوض . هل نحن أمام تناقضات أساسية أم أمام " لعبة تقسيم الأدوار " بين قطبى الحركة الإسلامية فى الجزائر ؟ إن هذه الخصوصية الاستراتيجية قد تزول مع ذلك فى صالح وصولهم إلى السلطة . ومثل هذا الاحتمال يمكن فى الواقع أن يؤدى ، على غرار ما حدث فى الثورة الإيرانية الإسلامية ، إلى ميلاد اتحاد بين " الراديكاليين " و " السياسيين " وظهور قوى سياسية أخرى فى البلاد .

أياً كان الأمر ، فإن الانحراف المرضي يقود شباب الجماعات الإسلامية المسلحة إلى المزيد من أعمال العنف على حساب المقدرات الاجتماعية والسياسية السابقة على ظهور الأيديولوجية الإسلامية . وهم بذلك لا يتقبلون المنطق السياسى .

إن على بن حاج وحده ، الذى ما يزال يتمتع بسلطة وشرعية دينيتين ، يمكن فى هذه الظروف أن يخرج علينا بمنطق تقبله الجماعات الإسلامية المسلحة ، ويتأييد من القرآن ومن السنة يخفف من غلواء الشطط الذى يسيطر عليهم ، ضد جماهير المواطنين المدنيين (الجزائريين والأجانب) .

ولكن كيف يتمكن قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بمن فيهم على بن حاج ، من المحافظة على سيطرتهم على غالبية قاعدتهم وإلزامهم باحترام وقف إطلاق النار ، فى الوقت الذى تجاوز فيه مؤشر العنف عدة مئات من القتلى كل أسبوع ؟

ومن ناحية أخرى ، نتيجة لفشل الجبهة الإسلامية فى دمج شبابها الثائر فى الإطار السياسى السلمى وذلك بتمكينه من حد أدنى للتمثيل والمشاركة ، صارت فرصة الجبهة ضئيلة فى التضحية بزعماء الجماعات الإسلامية المسلحة فى سبيل احتمال عقد اتفاق مع الجيش .

ولكن اتفاقاً عسكرياً - إسلامياً يمكن كذلك أن يبدأ مرحلة جديدة فى التاريخ السياسى الاجتماعى الجزائرى ، مرحلة عنف لا سبيل إلى مقاومتها . وهو وسيلة التعبير الوحيدة لدى الشباب الحضرى المقهور (من حيث إن هذا العنف يخلق هويات جديدة وتضامناً جماعياً جديداً) .

إن العنف المدمر الذى يستولى على مختلف أطراف النضال المسلح منذ مطلع عام ١٩٩٤ والتمثيل بالقتلى (قطع الرؤوس والأطراف) وبروز نوع من ثقافة الموت بين صفوف الأجيال الشابة (تحل محل الرغبة فى الاستهلاك ، ومن ثم التوتر الذى لا يزول إلا بالانتقال إلى الفعل) كل ذلك يشهد منذ الآن بأن عودة الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الدستورية قد لا تكفى ، وحدها ، لإقرار السلام الاجتماعى . وعلى ذلك فنحن لا نستطيع ، مع افتراض الوصول فى النهاية إلى اتفاق بين السلطة والإسلاميين ، أن نتنبأ بحدوث الأفعال التى يمكن أن تصدر عن الجيل الصاعد من المناضلين الإسلاميين الذى عاصر النضال المسلح وأصر على رفض الحوار مع السلطة .

إن العنف ، الذى كان ثمرة تفكك اجتماعى وسياسى ، واختلاف فى الرأى يفضى الآن إلى جميع أنواع التمرد والعصيان ، بلغ الآن من القوة حداً حرم المجتمع من قدرة السيطرة الذاتية عليه .

ويسبب عدم اكتمال بناء الهوية الوطنية - فحدود الوطن السياسية ، منذ ثلاثين عاماً ، ما تزال مادة للمساومات ، مما أفقدها التحديد الواضح - فإن العنف يتغذى أيضاً على صراعات اجتماعية - لغوية ، الأطر " الفرنكوفونية " هي التي تدفع ثمنها .
إن الاضطرابات التي تمزق الجزائر الآن ، إذ تمتد جنورها في أعماق الأحقاد الاجتماعية والثقافية التي غزاها النظام طيلة ثلاثين عاماً ، كانت تستهدف في البداية تدمير أسس النظام الاستبدادي ، غير أنها الآن تتغذى على الحقد الذي يكنه فريق من الجزائريين لفريق آخر .

كل ما نستطيع أن نأمله الآن ، في حالة الوصول إلى حوار بين السلطة والأحزاب المعارضة ، هو التقليل من عمليات الاغتيال التي ترجع إلى أسباب سياسية . ولكن الذي نخشاه هو أن استمرار أنواع أخرى من العنف تعتمد على اقتصاد إجرامي وتتغذى على مبررات ثقافية تتجدد على الدوام .

حينئذ سنكون أمام نوع من الحروب الأهلية (عائلات تمزقها ولاءات متصارعة ، عسكرية السياسيين) حتى ولو كان مثل هذا الوضع ما يزال مرفوضاً الآن من مختلف الأطراف . إن التسليم بوجود جماعات مختلفة تشارك في الصراع ونعتها بهذه الصفة يعنى الاعتراف لها بمنطق خاص ، وبالتالي ، بنوع من الشرعية ، كل طرف يجاهد ، حتى الآن ، في إنكاره للطرف الآخر . إن المصادمات التي يتعرض لها المجتمع الجزائري جرى عليها حكم التاريخ الذي قضى ألا تكون سوى " حرب لا اسم لها " .

ومع احتمال تعميق الصراع وامتداده ، لا يمكن لنا أن نتنبأ بنهاية الحرب الأهلية إلا بالقضاء على مختلف أطرافها المتصارعة . ومثل هذا الافتراض لا ينبغي وصفه بالغلو في التشاؤم فالأمثلة موجودة (الصومال) تثبت أن عمق الشعور بالوحدة الوطنية لا يكفي دائماً لتحصين المجتمع من أخطار التورط في الصراعات السياسية ، والاجتماعية الثقافية .

لذلك فإن احتمال امتداد الصراع ، الذي قد يفقد الجبهة الإسلامية للإنقاذ قاعدتها وقد يحرم الحكومة من العون الاقتصادي والمالي الذي يقدمه شركاؤها الأجانب ، يمكن أن يدفع النظام الحاكم والمعارضة الإسلامية لعقد اتفاق بهدف المشاركة في السلطة .

فإذا كان الجيش يدفعه الحرص على المحافظة بأى ثمن على وحدته التي تعرضت للأخطار بسبب تجاوزات القيادات العليا ويجعله يتجه شيئاً فشيئاً نحو إقامة حوار كان فى الماضى يرفضه تماماً ، فكذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فى سبيل التخلص من منافس (الجماعات الإسلامية المسلحة) يشتد خطره يوماً بعد يوم ، وتزداد سمعته سوءاً عند جماهير المواطنين ، فإنها يمكن أن تخاطر بالاتفاق مع السلطة .

وإذا تم الاتفاق ، فنزولاً على ظروف قهرية للتوحد ضد الأخطار الخارجية ، سيكون طبقاً لكل الاحتمالات ، حول مفهوم عربى / إسلامى أصبح هو المسرح المغلق للصراعات من أجل الاستيلاء على جهاز الدولة .

الواقع أنه منذ حرب الخليج فإن الحركة الإسلامية الجزائرية ، وبصفة خاصة فرعها " التقنى " - الذى لمسنا مدى ارتباطه بالقيم الوطنية - لا تفتأ تأخذ على نخبة الدولة احتكارها للخطاب السياسى وتحاول أن تستحوذ على رموز الذاكرة الجماعية. منذ ذلك التاريخ ، تلقى الحركة الإسلامية بمسئولية التبعية التى يعانى منها المجتمع الجزائرى ، بالنسبة للخارج ، على عاتق " برجوازية الدولة المتغربة " . المتهمة بعجزها عن مقاومة محاولات الهيمنة من جانب القوى الغربية (وبالذات من خلال نشر نموذجها فى الاستهلاك ، ممّا يفسر أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، خلال أزمة الخليج ، كانت تدعو إلى مقاطعة المنتجات المصنوعة فى بلدان التحالف المعادى للعراق) وعدم قدرتها حتى على ضمان الأمن داخل البلاد . إن الإسلاميين إذ يجعلون من العروبة والإسلام الأساس الوحيد للهوية الشخصية والوطنية إنما يعبرون عن وفائهم للأسطورة التى يغذيها التاريخ الرسمى منذ ثلاثين عاماً .

وإذا كان "التبوقراطيون" فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا يتصورون الدولة إلا بوصفها أداة تطبيق جبرى للأخلاق الإسلامية ، فإن " التقنيين " يزعمون مواصلة الطموح القديم ، طموح يومين ، بإنشاء دولة حديثة وطنية (ومن ثم غياب المرجعية لأى نماذج أجنبية عندهم) وإن مجموع الأطراف فى الحركة الإسلامية ليتفقون ، فوق ذلك ، على تكليف الدولة بتجنيد الشعب ضد "اعتداءات العدو" ، باختصار ، بنور الدفاع عن الأمة ضد أخطار "الاعتداءات" الداخلية والخارجية (الآتية بنوع خاص من الخصمين القديمين وهما فرنسا والمغرب) وهو مفهوم مطابق لمفهوم فريق من جبهة التحرير الوطنى .

إن " الحركة الوطنية الإسلامية " تحاول ، بشكل إجمالي " تطهير " الحركة الوطنية العربية من الآثار المأخوذة عن الفلسفة السياسية الغربية عن طريق الوطنيين في الثلاثينيات . فرداً على التبعية الاقتصادية والهيمنة الغربية ، تعد نفسها مكلفة بمهمة تخليص الجزائر من هيمنة النظام العالمي الجديد ، وتطمح على غرار يومدين الذي كان يرى أن سياسة التأميم وسياسة التعريب هما الوسيلة لدعم استقلال الدولة الجديدة - إلى الأخذ بسبل حداثة وطنية تجمع بين التقدم و " حماية الشخصية " .

ويسبب استحالة التخلص من كل آثار عالمية اقتصادية أو ثقافية ، فإن هذه الأساطير لا يمكن لها الاستمرار إلا في وجود سيطرة مهيمنة على المجتمع .

إن العسكريين الوطنيين والإسلاميين خرجوا من بوتقة أيديولوجية واحدة : الإسلامية الوطنية . وهذا من شأنه ، في حالة الوصول إلى اتفاق ، أن ييسر عملية توزيع الأدوار : فالعسكريون يحتفظون بإدارة الشؤون الخارجية والدفاع ومصادر الدخل ؛ أما الإسلاميون فيتولون شؤون " الخطابة " والدفاع والتعبير عن الفئات الاجتماعية المهضومة . إذن فالأبواب مفتوحة أمام انطلاقة جديدة لسياسية التعريب وإلى القيام بحملات " لأسلمة " العادات والتقاليد .

ومثل هذه الصورة السياسية سيكون من شأنها إجمالاً ، إعادة صيغة الشرعية القديمة مع تغيير طفيف ، ومطالبة المجتمع بأن يتخلى عن حقوقه السياسية في مقابل ضمان حقوقه المادية والأخلاقية .

وعقد اتفاق بين النظام العسكري وبين المعارضة الإسلامية من الممكن أن يتأخر بسبب رفض من هذا الفريق أو ذاك ممن سيكون الاتفاق على حسابه ، وكذلك بسبب حرص كل طرف على أن يتفاوض من مركز القوة ، مع التسليم بالتضحية بألاف الأرواح . وبالتالي فإن الصراع من الممكن أن يستمر ، ومراحل التفاوض يمكن أن تتناوب مع مراحل الراديكالية المتطرفة .

إن انفجار الحركة الإسلامية ، وأكثر منه التحول إلى النضال المسلح من جانب عناصر كانت في الماضي تابعة للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لكنها خرجت الآن من تحت سيطرتها ، يمكن لهما أن يقدموا الدليل على عجز الحركة الإسلامية عن تحويل خطابها

إلى مشروع سياسى ملموس ؛ أو عجزها عن تصور الاستيلاء على السلطة بغير طريق السلاح والمحافظة عليها بغير طريق الإرهاب .

كانت الجزائر تنوق إلى تغيير ثورى ، وهى تعرض نفسها ، فى حالة الاتفاق العسكرى الإسلامى إلى ثورة مضادة محافظة ؛ على النقيض من الرغبة فى التحرر والانطلاق التى عبر عنها فريق من الشباب خلال الفترة الشرعية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وعاجزة كذلك عن انتزاع البلاد من مهارب "النفاق" و "الرياء" أو بكل بساطة ، من البلاد الاجتماعية .

وحتى نتجنب أن يعقد العسكريون والإسلاميون اتفاقاً ثنائياً ولا يحتفلان بزواجهما فى ظل شغيزات العروبة والإسلام ، ويضطر فريق من نخبة الفرانكوفون ، نتيجة لذلك ، إلى النفى أو يتعرض لتهديد "التصفية" ، فإن التحدى ، بالنسبة للديمقراطيين ، يكمن فى التكفل بتغليب فكرة الديمقراطية .

إن فشل سياسة " كل شيء فى سبيل الأمن " فى تطوير موجه العنف قدم الدليل على أن الشعب ، دون أن يتحول إلى الحركة الإسلامية ، كان يرفض النظام رفضاً تاماً ، وكان يميل حينما تتاح له الفرصة ، نحو صيغة سياسية ترفض كلاً من ديكتاتورية السلاح وأنصار ديكتاتورية الحركة الإسلامية . نظام يجمع فى إطاره سائر قطاعات الرأى المستعدة لاحترام حد أدنى من قواعد اللعبة .

إن أى مبادرة لصالح الحل السياسى ينبغي ، قبل كل شيء ، أن تسعى إلى تجميع أقل الطبقات تشدداً فى السلطة العسكرية والأجيال الصاعدة من النخبة السياسية فى توزيع جديد للأوراق .

ومع ذلك فهناك ثلاثة سيناريوهات يمكن تصورها : تعميق الحرب الأهلية ، أو ، على شاكلة النموذج "الإيرانى" ائتلاف بين العسكريين والإسلاميين ، مع ما يتضمنه هذا التصور من استبعاد فئات كاملة من المجتمع ، وأخيراً يأتى أكثر النماذج تفاؤلاً والذى ، على غرار ما حدث فى الأردن ، يحترم "خطوطاً حمراء" غير قابلة للتفاوض ، وهذا النموذج يدمج الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى لعبة سياسية دستورية ، وهو شرط ضرورى لتحقيق المشروع الديمقراطى والائتلافى الذى تحتاجه الجزائر كثيراً .

ملحق (١)

سرد لأهم الأحداث

سرد لأهم الأحداث

يوليو ١٩٦٢	استقلال الجزائر . مصادمات عنيفة بين الجيش الجزائرى والقوات المغربية بخصوص منطقة تيندوف التى ضمت إلى الجزائر فى عام ١٩٦٤ . وما يزال المغرب يطالب بها .
أكتوبر ١٩٦٥	الانقلاب العسكرى بقيادة هوارى بومدين .
سبتمبر ١٩٧٣	انعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز بالجزائر برئاسة هوارى بومدين .
ديسمبر ١٩٧٩	تعيين العقيد شاذلى بن جديد أميناً عاماً لجبهة التحرير الوطنى والمرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية . تم انتخابه رئيساً فى ٧ فبراير التالى .
أبريل ١٩٨٠	"ربيع البربر" يشهد مطالبة كليات تيزى أوزو والعاصمة الجزائر بالاعتراف الرسمى باللغة البربرية .
مارس ١٩٨٧	مصرع مصطفى بويالى على أيدى الشرطة وهو أمير أول دغل إسلامى منذ الاستقلال .

١٩٨٨

أكتوبر	فى اليوم الخامس ، تقع اضطرابات عنيفة فى مدن الجزائر الرئيسية تسفر عن مصرع ٥٠٠ شخص . وفى اليوم السادس ، يبدأ تطبيق حظر التجول . ينتهز شاذلى الفرصة لضمان انصياع خصومه داخل الحزب الوحيد ، فيعلن فى اليوم العاشر عن إصلاحات اقتصادية وسياسية ، وشبكة .
--------	---

	شاذلى هو المرشح الوحيد فى انتخابات الرئاسة المقرر إجراؤها فى الثانى والعشرين من ديسمبر التالى . ويغوز بفترة رئاسة ثالثة بأغلبية الأصوات (١٧, ٨١) بصفة رسمية) .
نوفمبر	الموافقة على استفتاء بإجراء إصلاحات دستورية حول فصل السلطات بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء . فى الثالث والعشرين من فبراير ١٩٨٩ ، يصدر دستور جديد تتم الموافقة عليه عن طريق الاستفتاء ويقضى بتعدد الأحزاب .

١٩٨٩

فبراير	فى مراكش ، الإعلان عن قيام اتحاد المغرب العربى وهو يضم الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا .
مارس	الإعلان الرسمى عن تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ (٩, ١٠) وفى اليوم الرابع ، ينسحب الجيش رسمياً من اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطنى .
يوليو	فى الثالث من الشهر ، يتم الاقتراع على قانون الجمعيات ذات الصفة السياسية . وفى الخامس من الشهر ، يتم الإعلان الرسمى عن القانون .
أغسطس	خمسة أعضاء من المؤسسين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ يقدمون طلباً لوزارة الداخلية للموافقة على الحزب .
سبتمبر	يتم رسمياً قبول الجبهة الإسلامية للإنقاذ طبقاً لقانون الجمعيات ذات الصيغة السياسية (اليوم السادس) . وفى اليوم التاسع ، يعين مولود حمروش رئيساً للوزراء .
أكتوبر	ينضم على بن حاج لقضية قدامى مجموعة مصطفى بوپالى المنظورة أمام المحكمة العسكرية فى مدينة " بليدا " ويهاجم "عدالة الكفار" يؤجل النظر فى القضية .

وفى التاسع والعشرين من الشهر ، وقع الزلزال الشهير الذى أصاب مدينة تيباسا فى غرب الجزائر . وقامت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بتجنيد مكاتبها ورجالها فى جميع البلاد لتقديم المعونات للمتضررين وإنقاذ المصابين .	
ديسمبر	حسين آية أحمد يعود إلى الجزائر بعد ثلاثة وعشرين عاماً فى المنفى .

١٩٩٠

مارس	قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ يطالبون بإجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها .
أبريل	أول مسيرة للجبهة الإسلامية للإنقاذ نحو رئاسة الجمهورية (٢٠) .
يونيو	أكثر من مائة ألف من المؤيدين للجبهة الإسلامية للإنقاذ يجتمعون فى اليوم الرابع فى " ستاد ٥ يوليو " فى الجزائر العاصمة . فى مؤتمر صحفى ، يحذر عباس مدنى الجيش "من أية محاولة للانقلاب " وفى الثانى عشر تفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بـ ٨٥٦ مقعداً فى المجلس الشعبى للمقاطعات و ٣٢ فى المجلس الشعبى للولايات ؛ وذلك فى الانتخابات المحلية .
يوليو	عباس مدنى يطالب بإجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها (٢٢) . وفى السابع والعشرين يتم تعيين الجنرال خالد نيزار وزيراً للدفاع . وفى التاسع والعشرين ، يعلن الرئيس شاذلى عن إجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها وذلك فى النصف الأول من عام ١٩٩١ .

أغسطس	فى اليوم الثانى من الشهر ، الغزو العراقى للكويت .
سبتمبر	أحمد بن بىلا يعود للجزائر فى التاسع والعشرين .
نوفمبر	فى الخامس عشر ، مسيرة الجبهة الإسلامية للإنقاذ نحو رئاسة الجمهورية .

١٩٩١

يناير	اندلاع حرب الخليج (١٥) جبهة الإنقاذ الإسلامية تنظم عدة مسيرات تأييداً للعراق . (١٨ ، ٣١) .
أبريل	المجلس الشعبى الوطنى يتبنى قانون الانتخابات الجديد الذى ينص على إجراء اقتراع على الأغلبية المطلقة على دورتين (أول الشهر) عباس مدنى يرفض قانون الانتخابات ويطالب بإجراء انتخابات الرئاسة قبل موعدها فى موعد أقصاه ثلاثة أشهر تجنباً للدعوة إلى إضراب عام (٢) رئيس الجمهورية يعلن إجراء الانتخابات التشريعية فى ٢٧ يونيو و ١٨ يوليو ١٩٩١ (٣)
مايو	فى الثالث والعشرين ، عباس مدنى يعلن عن إضراب عام غير محدد بدءاً من ٢٥ مايو اعتراضاً على قانون الانتخابات وإلغائها . وفى السادس والعشرين والسابع والعشرين تدخل مسيرات الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مصادمات دامية مع قوات النظام . وعباس مدنى وعلى بن حاج ومولود حمروش يتوصلون فى التاسع والعشرين إلى اتفاق شفوئى على أساسه يسمح لقوات الجبهة الإسلامية للإنقاذ باحتلال ثلاثة ميادين عامة فى العاصمة .
يونيو	قوات النظام تتدخل فى اليوم الثالث وتهاجم الميادين المحتلة . فيناشد على بن حاج رجال الشرطة " بتحويل أسلحتهم وتوجيهها ضد رؤسائهم " .

<p>الصدامات بين العسكريين الإسلاميين وقوات الأمن تسفر عن العديد من القتلى والجرحى .</p> <p>وفى ليلة الثالث من الشهر ، تعلن حالة الطوارئ لمدة أربعة أشهر . ويتولى الجيش مهمة قوات الشرطة وتقوم المدرعات بمحاصرة العاصمة . مولود حمروش رئيس الوزراء يقدم استقالته وتؤجل الانتخابات التشريعية .</p> <p>وفى اليوم السادس ، يتم تكليف أحمد غوزالى بتشكيل حكومة جديدة للإعداد لانتخابات فى نهاية العام ، يتعهد بأنها ستكون "حرة ونظيفة " . يعلن حظر التجول فى ولايات الجزائر العاصمة وفى كل من تيباسا وبيلىدا وبومردس .</p> <p>وفى اليوم السابع ، وبعد لقاء مع رئيس الوزراء الجديد ، يعلن على بن حاج وعباس مدنى إنهاء الإضراب العام .</p> <p>وفى اليوم الحادى والعشرين ، تستأنف المواجهات بين قوات النظام والمناضلين الإسلاميين فى عدة مدن من البلاد . وذلك على أثر قرار الجيش برفع اللافتة الموجودة على المجالس الشعبية "البلدية الإسلامية"، ووضع الشعار الجمهورى مكانها .</p> <p>وفى الرابع والعشرين ، يدعو على بن حاج إلى انتهاك حظر التجول .</p> <p>وفى الثامن والعشرين ، يوجه عباس مدنى إنذاراً للجيش بالانسحاب من المدن فى خلال ثمان وأربعين ساعة حتى لا يعلن "الجهاد " . وفى الثلاثين من الشهر يتم القبض على على بن حاج وعباس مدنى .</p>	
<p>على أثر مؤتمر باتنه (٢٥، ٢٦) يتم استبعاد المعارضين لخط عباس مدنى وتعيين رؤساء جدد للحزب . وفى الثلاثين تقرر الجبهة الإسلامية للإنقاذ مقاطعة أول اجتماع يضم الحكومة والأحزاب (٢٢) ترفض الجبهة الذهاب للاجتماع ولكنها تبعت</p>	<p>يوليو</p>

	برسالة إلى المجتمعين تخبرهم بوضع المحتجزين والعمال المفصولين على أثر إضراب مايو/ يونيو .
سبتمبر	رفع حظر التجول (٢٩) .
أكتوبر	تجمع الجبهة للإنقاذ في بلكور (الجزائر العاصمة) للمطالبة بإطلاق سراح رؤساء الجبهة وإقامة دولة إسلامية (٤) . وفي الخامس عشر ، يعلن الرئيس شاذلي إجراء الانتخابات التشريعية في ٢٦ ديسمبر التالي . وفي الحادي والثلاثين من الشهر ، تنظم الجبهة الإسلامية للإنقاذ مظاهرة تضم حوالي (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف مواطن .
نوفمبر	خلال مؤتمر صحفي ، يعلن عبد القادر حشاني اشتراك الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الانتخابات التشريعية بإطلاق سراح الزعماء المسجونين (٢) . وفي التاسع والعشرين يتم مهاجمة موقع حربي في جمار (الواد) على أيدي فرقة طيب الأفغاني . ويتم وزير الدفاع نزار الجبهة الإسلامية للإنقاذ بارتكاب الحادث .
ديسمبر	يوافق الرئيس على قانون يسمح للسلطات المدنية باستدعاء الجيش للمحافظة على النظام العام . (٥) وفي الرابع عشر ، يعلن مجلس الشورى في الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن عزمة الاشتراك في الاقتراع التشريعي . وفي السادس والعشرين ، تصبح الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مقدمة المشاركين في الانتخابات التشريعية . وفي السابع والعشرين ، يعلن عبد القادر حشاني في مؤتمر صحفي أنه سوف يطلب من مجلس الشورى الموافقة على تأييد الرئيس شاذلي إذا تعهد بعدم النيل من امتيازات المجلس الشعبي الوطني .

<p>وفى الحادى والثلاثين من الشهر ، وفى مؤتمر صحفى ، يطلب سعيد سعدى أمين عام التجمع الثقافى الديمقراطى ، إلغاء الانتخابات ويعلن استعداداه لتحمل النتائج .</p>	
--	--

١٩٩٢

يناير	<p>فى اليوم الثانى يستجيب حوالى ثلاثمائة ألف شخص فى الجزائر العاصمة لنداء جبهة القوى الاشتراكية التى أعلنت عن رغبتها فى استمرار إجراءات الانتخابات ، وذلك لتنظيم مسيرة من أجل الديمقراطية .</p> <p>وفى اليوم الرابع يتم حل المجلس الشعبى الوطنى (الذى تهيمن عليه جبهة التحرير الوطنية) بقرار من رئيس الجمهورية وذلك استجابة لضغوط من الجيش .</p> <p>وفى اليوم الحادى عشر ، يتم عزل الرئيس شاذلى من منصبه . وتدعو الجبهة الإسلامية للإنقاذ الشعب " للاستعداد لآية احتمالات لمواجهة جماعة السلطة الحاكمة : وبعد يومين يعلن مجلس الأمن وقف الإجراءات الانتخابية .</p> <p>وفى اليوم الثالث عشر ، يوقع عبد القادر حشاني على بيان يعلن فيه عدم دستورية عزل الرئيس شاذلى .</p> <p>وفى اليوم نفسه يجمع كل من حسين على أحمد (جبهة القوى الوطنية) وعبد الحميد مهورى (جبهة التحرير الوطنية) وعبد القادر حشاني (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) .</p> <p>وفى الرابع عشر ، يتم تشكيل لجنة عليا للدولة وذلك فى أثناء اجتماع يضم عبد القادر حشاني ورباح كبير أمين عام جبهة التحرير الوطنى ومهورى ورئيس الوزراء السابق مولود حمروش .</p> <p>وفى اليوم الخامس عشر ، وأثناء خطبة الجمعة ، يدعو عبد القادر</p>
-------	---

حشاني المناضلين والمؤيدين " لالتزام الهدوء " وفي السادس عشر ، يعود محمد بوضياف من المنفى ويعين رئيساً للجنة العليا للدولة . وتعلن جبهة القوى الاشتراكية وجبهة التحرير الوطني والجبهة الإسلامية للإنقاذ عدم دستورية اللجنة العليا للدولة وعدم شرعيتها . وفي اليوم الثامن عشر ، تستدعي الجزائر سفيرها في إيران بسبب " حملة الصحف الإيرانية غير المقبولة لصالح الإسلاميين " . وفي التاسع عشر يقوم نواب الجبهة الإسلامية للإنقاذ الفائزون في الدورة الانتخابية الأولى بالاجتماع ويطالبون رئيس المجلس الدستوري بإعلان نتائج الدورة الانتخابية الأولى . وفي العشرين ترفض المحكمة العسكرية في بليدة طلب الإفراج المؤقت عن زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ المسجونين منذ شهر يونيو ١٩٩١ .

وفي الثاني والعشرين ، يعلن مجلس الوزراء عن عزمه على تطبيق القانون على المساجد . وتعلن مديرية أمن العاصمة منع أي تجمهر أمام المساجد . وفي الثالث والعشرين يتم القبض على عبد القادر حشاني بسبب توقيعه على بيان رأى السلطة الحاكمة أنه بمثابة دعوة للعسكريين بالهروب من الخدمة . كما يتم القبض على رياح كبير بعد عدة أيام . وفي الخامس والعشرين يصدر قرار بمنع أي نشاط سياسي داخل المساجد ومنع أي تجمهر علني . وفي التاسع والعشرين ، يتم سماع شهادة كل من رئيس الوزارة السابق مولود حمروش ووزير خارجيته السابق محمد صلاح محمدي ، أمام قاضي التحقيق بالمحكمة العسكرية في بليدة ، في قضية زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحتجزين منذ يونيو ١٩٩١ . وفي الحادي والثلاثين تقع اضطرابات في العديد من المدن (العاصمة قسطنطينية ، لغوات) في صلاة الجمعة وتقوم قوات النظام بإطلاق النار على الجماهير والقضاء القبض على بعض الأشخاص .

فبراير	<p>تحدث مواجهات دامية في اليوم الرابع في " باتنة " بين قوات النظام والمناضلين الإسلاميين بسبب تقديم عدد من أئمة المساجد للمحاكمة . يتدخل الجيش أيضاً في حوالي خمس عشرة مدينة أخرى حيث يسقط حوالي أربعين قتيلًا ومائتي جريح . في اليوم السابع تقع مصادمات أثناء صلاة الجمعة ترتفع فيها نسبة الإصابات ويتم سجن معظم قادة الحركة الإسلامية للإنقاذ وتعلن حالة الطوارئ في اليوم التاسع وليلة اثني عشر شهراً . كما يتم إغلاق المقر الرئيسي للجبهة الإسلامية للإنقاذ ويقدم وزير الخارجية طلباً إلى الغرفة الإدارية لمحكمة الجزائر العاصمة بإلغاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفي اليوم الثاني عشر ، يتم اغتيال ثمانية من رجال الشرطة في القصبة . وفي اليوم الثالث عشر تقوم مجموعة مسلحة بمهاجمة موقع الحراسة في مقر القيادة البحرية بالعاصمة ويسفر الحادث عن مقتل سبعة من العسكريين ورجل شرطة . وفي السابع عشر تعلن السلطات عن افتتاح خمسة مراكز للاعتقال في الصحراء .</p>
مارس	<p>تعلن الغرفة الإدارية بالعاصمة عن حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد تسعة وعشرين شهراً من عمرها الشرعي (٤) . وفي الحادي والعشرين تتعرض جامعات الجزائر العاصمة وقسطنطينة وستيف لاضطرابات طلابية وتطالب الحركة الجامعية بالدفاع عن اختيار الشعب برفع العقوبات المفروضة على زملائهم المفصولين من الدراسة وتدعو إلى إضراب الجامعات حتى الثاني من أبريل .</p>
أبريل	<p>على أثر استفادة رباح كبير من حكم بعدم الاختصاص في ١٣ مارس ١٩٩٢ تتحدد إقامته في " كولو " (٦) وفي الحادي عشر يعلن رئيس الوزراء عن حل ١٨ مجلساً شعبياً في الولايات و ٤٦٦ مجلساً شعبياً في المدن (منها ٣٣ خاصة بالجزائر العاصمة) تديرها الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفي الثاني والعشرين يشكل الرئيس بوضياف مجلس الشورى الوطني مهمته دعم السلطة التنفيذية .</p>

وفي التاسع والعشرين ، تصدق المحكمة العليا على حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ .	
يصدر الحكم بالإعدام ضد ثلاثة عشر من الإسلاميين المتورطين في الهجوم على مركز حراسة جيمار (٤) وفي اليوم السادس يسفر التحقيق الخاص بالهجوم على إمارة المركز البحري بالجزائر العاصمة عن أحكام بالإعدام على ثلاثة متهمين .	مايو
يتم إطلاق سراح حوالي ٢٠٠ من المحتجزين في معسكرات الاعتقال (٩) . وفي اليوم التاسع والعشرين يتم اغتيال محمد بوضياف رئيس اللجنة العليا للدولة منذ يناير ١٩٩٢ في مدينة عنابة بيد أحد حراسه .	يونيو
يتم تعيين على كافي ، الأمين العام السابق للمنظمة الوطنية للمجاهدين بدلاً من محمد بوضياف في رئاسة اللجنة العليا للدولة (٢) وفي اليوم الثامن يستقيل سيدي أحمد غوزالي من منصبه كرئيس للوزراء ، ليحل محله بلعيد عبد السلام . وفي اليوم الخامس عشر يصدر ضد زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ أحكام تتراوح بين اثنتي عشرة سنة ، بالنسبة للزعماء الرئيسيين ، وأربع سنوات للمتهمين الآخرين .	يوليو
يقع هجوم مسلح في مطار الجزائر العاصمة ، يسفر عن مقتل تسعة وإصابة عشرات بجروح (٢٦) .	أغسطس
اغتيال عبد الرحمن بالأزهر عضو حزب الطليعة الاشتراكي والمدرس بجامعة عين البيه في قسنطينة (٩) .	سبتمبر
إعلان قانون بتشكيل محاكم خاصة للفصل في جرائم مركبة "أعمال التخريب والإرهاب" .	أكتوبر
في اليوم الخامس ، تطبيق حظر التجول في العاصمة وست ولايات على الحدود (بليدة ، تيباسة ، بومردس ، عين دلفة ، ميديا ، بويرا) وفي التاسع من الشهر تعلن اللجنة المكلفة بالتحقيق في اغتيال الرئيس بوضياف استبعاد أن تكون الجريمة تمت بصورة فردية وترجيح وجود " مؤامرة " .	ديسمبر

يناير	<p>" تصدر محكمة بشار العسكرية عشرين حكماً بالإعدام (٧ ، ٨) وفي الحادى عشر يتم تنفيذ حكم الإعدام فى اثنين من المتهمين فى الهجوم على الإمارة البحرية . ويصدر على بن حاج فتوى من سجنه يعلن فيها أنه لو كان حراً طليقاً لعمل تحت إمرة عبد القادر شيبوتى . وفى التاسع والعشرين تبدأ قضية وارجلا Ouargla ضد واحد وعشرين ضابطاً متهمين بتكوين جماعات مسلحة ، والاعتداء على أمن الدولة ووحدة الجيش " .</p>
فبراير	<p>يتم تنفيذ حكم الإعدام فى أربعة من المتهمين فى قضية الهجوم على مركز حدود جيمار (٢١) وفى الثالث عشر ينجو وزير الدفاع خالد نزار من محاولة اغتياله . وفى الثانى والعشرين تصدر محكمة أوران الخاصة خمسة أحكام بالإعدام ضد مناضلين إسلاميين . وفى الخامس والعشرين تصدر محكمة بشار الحكم بإعدام سبعة من العسكريين بتهمة التستر وعدم الإبلاغ عن "جرائم ضد الدولة" .</p>
مارس	<p>يصدر فى لندن تقرير فاضح بخصوص انتهاكات صريحة ضد حقوق الإنسان يرتكبها النظام الجزائرى (٢) وفى الرابع عشر يتم اغتيال مدير مكتب وزير التأميل المهنى وعضو مجلس الشورى الوطنى . وفى السادس عشر يتم اغتيال جلالى ليايس ، مدير المعهد الوطنى للدراسات الاستراتيجية . وفى السابع عشر يتم اغتيال لعدى فليسى وهو طبيب من القصبة وعضو مجلس الشورى الوطنى . وفى الحادى عشر تصدر محكمة الجزائر الخاصة حكماً بإعدام تسعة فى قضية " الأمير نوح " . وفى الثانى والعشرين تتمكن مجموعة من المسلحين الإسلاميين من قتل حوالى عشرين جندياً خلال الهجوم على الكنتة العسكرية فى بوغزول (ميديا) . فى اليوم نفسه ، يتم تنظيم مسيرات ضد "الإرهاب"</p>

	<p>في عدد من المدن الجزائرية . وفي السابع والعشرين تقطع الجزائر علاقاتها الدبلوماسية مع إيران وتستدعي سفيرها في الخرطوم .</p>
أبريل	<p>في الثامن من الشهر تصدر محكمة أوران الخاصة حكماً بالإعدام ضد ثلاثة . وفي اليوم العاشر يصاب أمين عام حزب التحدي في محاولة لاغتياله .</p> <p>يصدر اتهام ضد المحامي عن زعماء الجبهة الإسلامية لإنقاذ المسجونين ، لقيامه بنشر ورقة سرية من على بن حاج ، ويصدر الحكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام (٤) وفي السادس عشر يتم اغتيال المدعى العام في تلمسان محمد سعيد . وفي السابع عشر ، يصدر قرار بمنع ارتداء " الزى الإسلامي " في الإدارات والمصالح العامة . وفي السادس والعشرين يتعرض طاهر جعوت ، وهو صحفي وكاتب ، لعملية اغتيال ، ويتوفى متأثراً بجراحه في الثاني من يونيو التالي . في اليوم نفسه تصدر أحكام بالإعدام ضد ثمانية وثلاثين شخصاً (ستة وعشرون منهم بتهمة التواطؤ) من المتهمين في قضية الهجوم على المطار .</p>
يونيو	<p>امتداد حظر التجول في ولايات شيلف ومسيلا وجلفا (٥) . وفي الثالث عشر تتعرض دورية للجيش للهجوم في منطقة شريعة Chre'a حيث يلقى أكثر من خمسين عسكرياً مصرعهم . وفي الخامس عشر يتم اغتيال محفوق بوشبسي وهو طبيب نفساني . وفي السادس عشر يتم اغتيال محفوق بيكاى رئيس محكمة كولا .</p> <p>وفي الثاني والعشرين ، يغتال محمد بوخيزة وهو سوسيولوجي وكان يعمل رئيساً للمعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية . وفي الثالث والعشرين تصدر محكمة قسطنطينة الخاصة اثني عشر حكماً بالإعدام .</p>

يوليو	يتولى الجنرال الأمين زروال وزارة الدفاع خلفاً لخالد نزار (١٠) وفي الرابع عشر يفتال بيدى لاربي مساعد النائب العام بمحكمة الجزائر العاصمة وفي الثلاثين يفتال مرزاج بغتاشى وهو صحفي وكاتب وعضو مجلس الشورى الوطنى .
أغسطس	يقتل الصحفي رباح زيناتي (٤) . وفي الحادى عشر يقتل بن مئى عبد الحميد وهو صحفي بجريدة <i>Algerie-Actualite</i> . وفي الحادى والعشرين يفتال قصدى رباح مدير الأمن العسكرى السابق ورئيس الوزراء السابق . وفي الحادى والثلاثين يتم تنفيذ حكم الإعدام فى سبعة فى قضية الهجوم على مطار الجزائر فى أغسطس عام ١٩٩٢ م .
سبتمبر	يتم اغتيال سعد بختوى وهو صحفي فى جريدة المنار (١٢) وفي العشرين يفتال مهندسان فرنسيان بالقرب من سيدى بلعباس . وفي الثامن والعشرين يفتال عبد الرحمن شوجو عضو مؤسس فى حزب الطليعة الاشتراكى . وفي الثلاثين يفتال حمبلى حمود مدرس بمعهد العلوم القضائية والإدارية فى تيزى أوزو .
أكتوبر	يقتال جميل بوحيدل وهو مصور صحفي ورباح جنزات عضو حزب التحدى (٩) . وفي العاشر يفتال جلال بلخنشر وهو أستاذ بجامعة الجزائر . وفي الحادى عشر يتم تشكيل لجنة الحوار الوطنى من ثلاثة جنرالات وخمسة مدنيين مهمتها وضع برنامج " لمرحلة الانتقال " وفي الثانى عشر يتم اعتقال أسرة ألمانية كرهائن فى إحدى الليالى على أن يطلق سراحها بعد مغادرة الأجانب للجزائر . وفي الرابع عشر ، اغتيل مصطفى أباده وهو مدير سابق فى التلفزيون . وفي السادس عشر يفتال عقيدان روسيان فى إحدى القواعد العسكرية . وفي الثامن عشر يفتال إسماعيل يفسح وهو صحفي فى التلفزيون . وفي التاسع عشر يتم اختطاف ثلاثة فنيين فى شركة إيطالية من جنسيات

مختلفة ثم يعثر عليهم مقتولين . وفى الرابع والعشرين يتم اختطاف ثلاثة موظفين فى القنصلية الفرنسية ثم يطلق سراحهم فى الحادى والثلاثين . إحدى الرهائن ، السيدة تيفينوت ، يطلق سراحها مع إنذار يدعو الأجانب إلى مغادرة البلاد قبل أول ديسمبر القادم .	
تقوم الشرطة الفرنسية " بكبسة " فى الأوساط الإسلامية الفرنسية .	نوفمبر
بعد انقضاء الموعد الذى حدده الإنذار الموجه للأجانب بمغادرة البلاد ، يتم اغتيال رجل أعمال أسباني عند الكيلو ٨٥ جنوب الجزائر العاصمة (٢) . وفى الخامس يتم اغتيال مواطنة روسية . وفى السابع يفتال عجوز فرنسى وفى الثامن يفتال موظف إنجليزى . وفى الرابع عشر يتم اغتيال اثنى عشر من الفنين الكروات والبوسنيين . وفى الثامن والعشرين يفتال يوسف سبتى وهو شاعر وكاتب ومدرس بالمعهد الوطنى الزراعى . وفى التاسع والعشرين يفتال مواطن بلجيكى وزوجته الجزائرية .	ديسمبر

١٩٩٤

يتم اعتقال محافظ تسمسلى وقراية الثلاثين شخصاً من أتباعه وفى اليوم الخامس عشر تفتال سيدة فرنسية تدعى مونيك أفرى تعمل موظفة فى قنصلية فرنسا . وفى اليوم السابع عشر، واستجابة لدعوة من الحركة الثقافية البربرية ، تسير مظاهرة ضد الإرهاب فى تيزى أوزو وبيجايا لصالح اللغة الأمازية (لغة البربر) . وفى التاسع عشر ، وقبل انعقاد المؤتمر الوطنى ، واستجابة لمطالب العديد من المنظمات السياسية التى كانت علقت مشاركتها بالعفو عن المسجونين ، تعتمد الحكومة إلى إطلاق سراح بعض	يناير
---	-------

<p>المعتقلين في معسكرات الأمن ورفع تحديد الإقامة الجبرية عن بعض المناضلين من الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفي الثاني والعشرين يفتال يهودى تونسى يدعى ريمون لوزوم داخل متجره في قلب العاصمة . وفي الثالث والعشرين يتم العثور على جثة الشيخ محمد بو سليمان ، رئيس جمعية الإرشاد والإصلاح وكان قد تم اختطافه في نوفمبر ١٩٩٣ م . وقد عثر على جثته في منطقة جبلية في " أفرون " . وفي الرابع والعشرين ، وبعد رفض الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة التحرير الوطنى وجبهة القوى الاجتماعية والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يعلن الاتحاد الوطنى للمقاومين أنه لن يشارك في المؤتمر الوطنى المحدد لانهقاده الخامس والعشرون من يناير القادم . وفي السابع والعشرين يتم اغتيال فرحات شيبوت وهو مدرس ومناضل في حزب التحدى . وفي التاسع والعشرين تعلن السلطات الجزائرية أنها علقت سداد جزء من الديون الخارجية . وفي الثلاثين يسفر استفتاء عام عن فوز الأمين زروال بالرئاسة لفترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات . وفي الحادى والثلاثين يفتال رشيد تجزيرى الأمين الوطنى للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية .</p>	
<p>يقتل صحفى فرنسى يدعى أوليفيه كيمينور في هجوم على القصبة . كما يقتل محمد توالى وهو عامل مناضل في حزب التحدى (١) . وفي اليوم الثانى من الشهر يفتال كل من يحيى بوجتيا رئيس الاتحاد الجزائرى للجودو وتوالى محمد وهو عامل ومناضل في حزب التحدى . وفي الثانى عشر ، يفتال ميكانيكى روسى في مدينة جيجيل دون أن تشير الصحف الجزائرية للحدث . وفي العشرين من الشهر ، يلقي ما يقرب من مائة جندي حتفهم في فخ نصبته لهم المجموعات الإسلامية المسلحة .</p>	<p>فبراير</p>

	<p>وفى الحادى والعشرين يلقى مستوطن فرنسى مصرعه . وفى الثانى والعشرين يتم إطلاق سراح كل من على جدى وعبد القادر بوخمخم وهما من رجال عباسى مدنى . وفى اليوم السادس والعشرين يلقى جعفر الأفغانى قائد المجموعات الإسلامية المسلحة مصرعه مع تسعة من رجاله . وفى اليوم السابع والعشرين تلقى السيدة ميزيان زهور مديرة مدرسة بيرخادم مصرعها . وفى الثامن والعشرين يقتل الصحفى عبد القادر حريش .</p>
<p>مارس</p>	<p>يقتال أستاذ جامعى فيتنامى فى سيدى بلعباس (١) . وفى اليوم الخامس يتعرض أحمد الصلاح مدير مدرسة الفنون الجميلة بالعاصمة لمحاولة اغتيال ويموت بعدها بأربعة أيام . وفى اليوم نفسه أكثر من ألف معتقل من بينهم حوالى ثلاثمائة وخمسون مناضلاً إسلامياً من المحكوم عليهم بالإعدام يتمكنون من الهرب من سجن تازولت . وفى اليوم الخامس عشر يتم اختطاف اثنين من الصينيين . وفى اليوم الثامن عشر يصدر بيان من رئاسة الجمهورية يعلن عن عزم السلطات استئناف الحوار مع زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى التاسع عشر يتم اغتيال أحمد بن زيغو وهو صحفى سابق فى صحيفة المجاهدين . وفى الثانى والعشرين يقوم اتحاد العمال الجزائريين وبعض المنظمات النسائية بمظاهرة اعتراض على مدى جدية " الحوار " الذى أعلن عنه الرئيس زروال . وفى الثالث والعشرين وأثناء هجوم على مكاتب صحيفة الإيدو ليبرتيه يسفر عن قتيلى ، يلقى فرنسى وابنه مصرعهما . وفى اليوم نفسه وفى مؤتمر صحفى فى بليده يرفض وزير الداخلية أى تفكير فى حوار مع الإسلاميين . وفى الثامن والعشرين يغتال دبلوماسى روسى وموظف فى وزارة الخارجية . وفى الثلاثين يعلن الرئيس زروال رسمياً أنه قابل</p>

	<p>زعماء الجبهة الإسلامية لإنقاذ المسجونين وذلك بهدف وضع حد لأعمال العنف .</p>
أبريل	<p>فى تصريح علنى ، يكذب كل من على بن حاج وعبد القادر بوحمخم حدوث أى اتفاق مع السلطة مع ترك الباب مفتوحاً لأى مفاوضات محتملة . وفى اليوم السابع من الشهر يتم اغتيال ميزيان بلييد ، الأمين الوطنى لاتحاد العمال الجزائريين وعمر خنوش المناضل فى حركة حماس . وفى التاسع ، تقوم الجزائر بإبلاغ صندوق النقد الدولى بعزمها على عقد اتفاق بإعادة جبهة ديونها وتقوم بتخفيض قيمة الدينار . وفى الثانى عشر تعلن جبهة التحرير الوطنى أنها لن تشارك فى اجتماع العشرين من أبريل المخصص لتوزيع المقاعد فى مجلس الشورى المؤقت . وفى الثانى والعشرين تقوم مجموعة مسلحة بتدمير مصنع الأسمت فى مفتاح .</p>
مسايو	<p>يتم اغتيال الأمين الوطنى للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء (٣) وفى اليوم الرابع ، يشرع الأمين زروال فى تغيير القادة العسكريين فى المناطق . وفى الثامن وفى أثناء مسيرة " من أجل الحوار " يشارك فيها جبهة التحرير الوطنى والمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء ، يتم اغتيال اثنين من رجال الدين الفرنسيين . وفى الثامن عشر يقتل عشرة من الفنين المدنيين الروس وحوالى خمسين من العسكريين الجزائريين فى فخ ينصب لهم فى منطقة جيجيل . وفى اليوم نفسه يرجع الرئيس زروال عن قراره بإقامة "حوار" ويعلن عن عزمه على استئصال "بذور العنف والإرهاب" . وفى الحادى والعشرين يلقى حوالى أربعين من العسكريين حتفهم فى هجوم على أحد المعسكرات فى وادى تليلات فى غرب الجزائر . وفى اليوم نفسه ، يعثر على المحامى الذى كان يتولى مهمة الدفاع عن المناضلين الإسلاميين أمام المحاكم الخاصة مذبحاً .</p>

وفي الحادى والثلاثين يلقى صلاح جببايلى مدير جامعة باب الزوار حتفه .	
يونيـو تحصل الجزائر على موافقة بإعادة جدولة ديونها الخارجية (قدرت بستة وعشرين مليار دولار) مع تخفيض خمسة مليارات من المبلغ المفروض تسديده بين مايو ١٩٩٤ ومايو ١٩٩٥ . وفي اليوم الخامس ، يفتال موسونى عبد الله مدير المركز الوطنى للإعلام . وفي السابع يفتال فرحات شركيت الصحفى بصحيفة المجاهد . وفي اليوم الثامن وفي رسالة موجهة إلى الأمين زروال يطالب المكتب السياسى لجبهة التحرير الوطنى بتشكيل لجنة تحقيق تلقى الضوء على " تجاوزات " بعض العناصر المكلفة "بمقاومة العنف" . وفي اليوم الثامن عشر يفتال يوسف فتح الله رئيس المنظمة الجزائرية لحقوق الإنسان . وفي اليوم الحادى والعشرين يفتال بوتلجون عبد الرشيد عضو حزب النهضة الإسلامى . وفي التاسع والعشرين يتظاهر عدة آلاف استجابة لنداء الحركة من أجل الجمهورية ، بهدف رفض أى حوار مع الإسلاميين وتتفجر قنبلتان بين المتظاهرين ويسفر الحادث عن مقتل شخص وحوالى ستين جريحاً .	
يوليـو يفتال العياشى بن عزيزة عضو لجنة ولاية عنابه والمناضل فى الحركة من أجل الديمقراطية (ه) . وفي اليوم السابع يلقى سبعة من البحارة الإيطاليين مصرعهم فى ميناء جنجن (جيجيل) . فى الحادى عشر يتم اغتيال خمسة من مواطنى أوروبا الشرقية . وفي اليوم الثانى عشر يفتال مصمودى بن خير عمدة مرسى الحجاج . وفي السابع عشر يتم اختطاف سفيرى اليمن وعمان ثم يطلق سراحهما فى اليوم الثانى والعشرين .	
أغسطس يفتال خمسة مواطنين فرنسيين (ثلاثة من الشرطة واثنان من القنصلية (٢)) . فى فرنسا يباشر شارل باسكوا القبض على	

حوالى عشرين من المناضلين الإسلاميين . فى اليوم نفسه وبعد أن قامت الجماعات الاسلامية المسلحة بقتل الفرنسيين الخمسة تعلن بياناً تحظر فيه على المدرسين والطلاب الذهاب إلى المدارس الثانوية والجامعات تجنباً للانتقام . كما يقتال عبد القادر ربيحه مدير المعهد الزراعى بجامعة الجزائر . فى اليوم السابع يلقي تسعة وأربعون عسكرياً حتفهم كما يصاب سبعون آخرون فى الهجوم على ثكنة حراسة الحدود فى سيبدو ويستولى المهاجمون على كميات من الأسلحة الثقيلة . وفى اليوم الثانى عشر ، وفى بيان نشر فى لندن فى صحيفة الحياة السعودية ، هددت الجماعات الإسلامية المسلحة " بضرب المصالح الفرنسية فى الخارج بقوة " كما تطالب بوقف " دعم السلطة المستبدة " ، وإجلاء جميع الرعايا الفرنسيين " وخضوعهم للشريعة الإسلامية . وفى اليوم الخامس عشر يتم اغتيال اثنين من الرعايا الصينيين (الفتيان الصينيان اللذان تم اختطافهما فى الخامس عشر من مارس الماضى لم يعثر عليهما) . فى السادس عشر يتم اغتيال خالد بوغريال من موظفى هيئة الإذاعة والتلفزيون . فى العشرين تصدر اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج خطاباً لعللى بن حاج بتاريخ ٢٢ يوليو الماضى يؤكد فيه أن " أى تفاوض مع السلطة ينبغى أن يضم المجاهدين " . فى الحادى والعشرين يعقد مؤتمر حول الحوار الوطنى لا تحضره الجبهة الإسلامية للإنقاذ ولا جبهة القوى الاشتراكية ولا التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية ولا حزب التحدى . فى اليوم نفسه يعلن الجنرال زروال أنه التقى سرّاً بعباس مدنى وعللى بن حاج ويدعو أحزاب المعارضة لزيارتها فى سجن بليده . فى الثانى والعشرين يتم اغتيال رباح استنبولى وهو مناضل فى الحركة من أجل الجمهورية . فى الرابع والعشرين يقتل كاسى عبد الله محمد

<p>عضو المجلس الوطني لفترة الانتقال ، كما يقتل رجل أعمال يهودى فى أوزان . وفى السادس والعشرين تعلن الجماعات الإسلامية المسلحة عن تشكيل " حكومة خلافة " وتخلع على رئيسها شريف جوزمى ألياس عبد الله أحمد لقب "أمير المؤمنين" وتؤكد أنه لن يكون هناك " حوار ولا هدنة ولا مصالحة مع السلطة " . فى اليوم نفسه ، وعلى أثر القبض على جماعة مسلحة مكونة من جزائريين ومغاربة قادمين من فرنسا، تعلن الحكومة المغربية فى إطار التحقيق فى حادث الهجوم على فندق فى مراكش ضرورة الحصول على تأشيرة لدخول أراضيها بالنسبة للجزائريين أو الذين من أصل جزائري . فى السابع والعشرين تقرر الجزائر ضرورة الحصول على تأشيرة لدخول أراضيها بالنسبة للمغاربة وغلقت حدودها مع المغرب مؤقتاً . فى اليوم نفسه تدعو الجماعات الإسلامية المسلحة إلى مقاطعة البضائع الفرنسية بدءاً من أول يناير ١٩٩٥ . كما يعلن جيش الإنقاذ الإسلامى فى بيان له " بطلان " تشكيل حكومة الخلافة المزعومة ویتهم الجماعات الإسلامية المسلحة بأنها تتكون من مجموعات من المرتزقة وأنها مختربة من قوات الأمن . فى الحادى والثلاثين تعلن الخارجية الفرنسية أن التأشيرات بالنسبة للجزائريين سوف تمنح فى فرنسا وليس فى القنصليات الفرنسية فى الجزائر .</p>	
<p>تعلن الرئاسة أن عباس مدنى وعلى بن حاج يخضعان للإقامة الجبرية وأن رفاقهم الثلاثة فى السجن قد تم إطلاق سراحهم (٣١) فى الرابع عشر يفتال محمد أشوتو وهو مناضل من التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية . وفى السابع عشر يفتال فى قسطنطينة على لايب مسئول حزب حماس . وفى الخامس والعشرين يتم اختطاف المطرب القبائلى ومناضل حركة الثقافة البربرية لوتس مطوب فى تيزى أوزو. فى حين يفتال مسعود</p>	<p>سبتمبر</p>

	<p>كاشى وهو مناضل من حركة القوى الاشتراكية وذلك بالقرب من العاصمة . فى اليوم نفسه يتم اغتيال كل من مولود برودى وهو مصور صحفى وإسماعيل سباعدى وهو صحفى . وفى السادس والعشرين يقتل مهندس مساحة بوسنوى بالقرب من سكيكا فى حين يقتل فى أوران عبد الرحمن فردهب وهو أستاذ اقتصاد وعضو فى حزب الطليعة الاشتراكي . وفى اليوم التاسع والعشرين يقتل مطرب " الرأى " شاب حسنى فى أوران .</p>
أكتوبر	<p>استجابة لنداء حركة الثقافة البربرية تقوم القبائل بالإضراب يوماً واحداً فى حين يتظاهر حوالى مائة ألف شخص فى تيزى أوزو مطالبين بإطلاق سراح لونس مطوب ويطنون رفضهم للأسلمة (٢) . وفى اليوم الخامس تصاب القبائل بحالة شلل كامل بسبب الإضراب العام . وفى اليوم نفسه يتم اغتيال على طحانوتى المنسوب للتنفيذ الإقليمى ورئيس الاتحاد الوطنى لأندية كرة القدم ورئيس نادى بوج مينايل . وفى اليوم الثامن يعثر على المواطن الفرنسى جان بيير مانيير مذبوحاً بعد أيام من اختطافه. وفى اليوم الحادى عشر يتم إطلاق سراح لونس مطوب . وفى اليوم نفسه يقتل مواطن فرنسى يدعى روجيه ميرل . وفى اليوم الثانى عشر تتعرض العاصمة لسلسلة من عمليات الاغتيال بالسيارات الملقومة . وفى اليوم نفسه يقتل مواطن من كوريا الجنوبية . وفى اليوم السادس عشر يقتل طيب بوتر فيف وهو محرر صحفى فى الإذاعة ، فى حين يعثر على جثة محمد مادى من الشركة الوطنية للسكر وذلك بعد عدة أيام من اختطافه. وفى اليوم السابع عشر يقتل فى مكتبه زوج ليلى أصلوى المتحدثة الرسمية السابقة للحكومة وكانت قد استقالت احتجاجاً على وضع عباس مدنى وعلى بن حاج تحت الإقامة الجبرية . وفى الثامن عشر تقوم فرقة كوماندوز من عشرين فرداً بتدمير قاعدة</p>

<p>حفر في جليب ويقتل في الحادث مهندسان في شركة شلومبر أحدهما فرنسي والآخر إيطالي . وفي اليوم التاسع عشر يغتال زيان فراح وهو رئيس تحرير صحيفة الثورة الإفريقية . وفي الثالث والعشرين تغتال راهبتان أسبانيتان في العاصمة الجزائرية . وفي اليوم السابع والعشرين يقتل صلاح بن عاشور وهو صحفي . وفي الثلاثين يعلن الأمين زروال فشل الحوار مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ كما يعلن عن إجراء الانتخابات الرئاسية قبل نهاية عام ١٩٩٥ . كما أكد تصميمه على إبادة "المرتزقة" وهم "الإرهابيون الإسلاميون" .</p>	
<p>تتفجر قبيلة أثناء احتفال بمناسبة ذكرى الأول من نوفمبر في مقبرة تقع على بُعد ثمانين كيلوا متراً من مستجانيم ويلقى أربعة أشخاص حتفهم (١) منذ اليوم الثاني تقوم حملة انتقام ضد الأحراش الإسلامية وأيضاً ضد السكان المدنيين تسفر عن عدة مئات من القتلى . وفي اليوم الخامس يلقي مواطن فرنسي يدعى جان فرانسوا ماركيت حتفه في بويرا . في اليوم نفسه يقتل لونس جاب الله وهو مناضل من حزب الطليعة الاشتراكي . وفي اليوم الثامن تشرع الشرطة الفرنسية في عملية القبض على ٩٥ مناضلاً قيل إنهم ينتمون إلى الجماعات الإسلامية المسلحة. وفي الحادي والعشرين والثاني والعشرين وبدعوة من الطائفة الكاثوليكية (سان جيديو) ، يجتمع في روما كل من حسين آية أحمد (جبهة القوى الاشتراكية) وعبد الحميد مهري (جبهة التحرير الوطني) وأنور هدام (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) وأحمد بن بيللا (الحركة من أجل الديمقراطية في الجزائر) ومحفوظ نحات (حماس) وعبد الله جاب الله (النهضة) ونور الدين بوكروح (حزب التجديد الجزائري) ولويزا حنون (حزب العمال) وذلك للمرة الأولى بهدف النظر في إمكانيات الحوار المحتمل .</p>	<p>نوفمبر</p>

وتعترض الحكومة الجزائرية بشدة على هذا الاجتماع . وفى اليوم الثلاثين يقتل فى يوفريق صحفيان وثلاثة من المدنيين .	
ديسمبر	يقتل مواطن فرنسى يدعى لوسيان مارسيل فى أوران (٢) . وفى اليوم نفسه يقتل فى العاصمة سيد مقبل مدير صحيفة "لوماتان" فى الرابع والعشرين والخامس والعشرون تقوم مجموعة من الكوماندوز الإسلاميين بالاستيلاء على طائرة تابعة لشركة إير فرانس فى مطار الجزائر ويقتل ثلاثة من الرهائن قبل أن تقلع الطائرة إلى مرسيليا . وتتعامل جماعة التدخل الخاصة بالشرطة الوطنية مع المختطفين ويسفر الحادث عن مصرع المختطفين الأربعة وتعلن المجموعات الإسلامية المسلحة مسئوليتها عن العملية . وفى اليوم السابع والعشرين يقتل أربعة رهبان بيض ثلاثة فرنسيون وبلجيكي فى تيزي أوزو .

١٩٩٥

يناير	تعلن جبهة التحرير الوطنى فى بيان لها أن وفداً من الحزب النقي بعباس مدنى وعلى بن حاج (٤) وفى اليوم الخامس تؤكد اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ بالخارج أن الصراع فى الجزائر هو الصراع بين " الشعب الجزائرى " وبين " الديكتاتورية العسكرية " وتدين أى عمل يستهدف الأبرياء أياً كانت عقيدتهم واتجاههم ، وأياً كان مرتكبو هذه الأعمال . وفى اليوم السابع يقتل زين الدين صلاح وهو صحفى فى الصحيفة " لا ليرتية " . كما يتعترض على عبود وهو صحفى فى الإذاعة لحادث اغتيال يموت على أثره بعد عدة أيام . وفى اليوم الثامن حتى الثالث عشر ، ويدعوة من الطائفة الكاثوليكية فى روما (سان إيجيديو) يقوم زعماء المعارضة (الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة القوى
-------	--

<p>الاشتراكية وجبهة التحرير الوطنى والحركة من أجل الديمقراطية فى الجزائر (بالتوقيع على "عريضة من أجل حل سياسى وسلمى للأزمة الجزائرية". وفى اليوم الحادى والعشرين يقتل رشيد حرايج رئيس الاتحاد الجزائرى لكرة القدم . وفى اليوم الثانى والعشرين يقتل مواطن فرنسى يدعى جوزيف بلعائش . وفى التاسع والعشرين تقوم فى الجزائر العاصمة مظاهرة بدعوة من الحكومة من أجل معارضة اتفاق روما وقد شارك فى المظاهرة حوالى عشرة آلاف شخص . وفى اليوم الثلاثين يقع فى العاصمة حادث انفجار سيارة ملغومة يؤدى إلى وقوع ٤٢ قتيلاً و ٢٨٠ جريحاً . بعد عدة أيام يتم فصل على بن حاج عن عباس مدنى الذى ينقل سراً إلى جنوب البلاد .</p>	
<p>تقوم مجموعة من الكوماندوز الإسلامية بمهاجمة مركز الحدود التونسى فى تاميرزا مما يسفر عن مقتل ستة من الحراس (١١) فى اليوم الثالث عشر يقتل عز الدين ميجوبى مدير المسرح الوطنى الجزائرى . وفى اليوم الثانى والعشرين تقوم حركة عصيان فى سجن سركاج بالعاصمة ويسفر القمع عن أكثر من مائة قتيل من السجناء .</p>	<p>فبراير</p>
<p>تتعرض رشيدة همامى وهى صحفية فى التلفزيون لحادث اعتداء ثم تلقى حتفها بعد أيام من نقلها إلى مستشفى فرنسى (٢٠) . وفى اليوم الثانى والعشرين يقتل عبد الوهاب بن بولايده وهو ابن مصطفى بن بولايده أحد زعماء الثورة الجزائرية . وفى الفترة من الثامن عشر حتى الرابع والعشرين يلقى مئات الإسلاميين حتفهم فى ولاية عين دلفا (الغرب) أثناء عمليات تمشيط قام بها الجيش . وفى اليوم السابع والعشرين يقتل محمد عبد الرحمن مدير الصحيفة الحكومية " المجاهد " .</p>	<p>مارس</p>

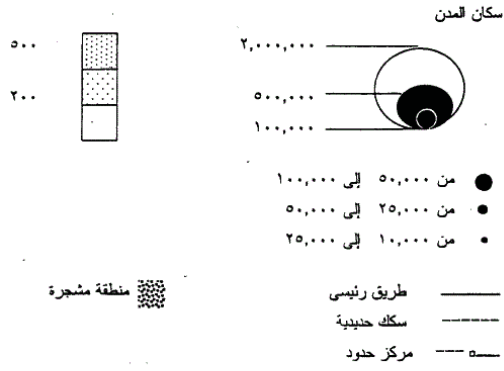
أبريل	<p>تعلن الحكومة الجزائرية عن إقامة " مناطق للنفي " فى المناطق البترولية فى الصحراء الكبرى . (٣) . وفى اليوم الرابع يقتل فى قسطنطينة مخلوف بوخزار وهو معلق رياضى فى التلفزيون الوطنى . وفى الحادى والعشرين يقتل أرزقى ووكيد عضو مجلس الشورى الوطنى .</p>
مايو	<p>خمسة خبراء مصرعهم - فرنسيان وكندى وإنجليزى وتونسي وذلك فى منطقة صناعية بالقرب من غرداية .</p> <p>تعلن قيادة الجيش " الحرب الشاملة " ضد الجماعات الاسلامية المسلحة وتؤكد تصميمها " على اقتلاع قوى الجريمة تماماً " قبل إجراء انتخابات الرئاسة . فى اليوم نفسه تقتل مليكه صبور وهى صحفية فى صحيفة الشروق العربى (٢١) . وفى أوران يقتل الكاتب بختى بن عوده (٢٢) . وفى اليوم الخامس والعشرين يصاب سبعة وثلاثون شخصاً بجروح بسبب انفجار سيارة ملغومة أمام عمارة يسكنها بعض رجال الشرطة وعائلاتهم . وفى اليوم السابع والعشرين يقتل مراد حمايزى وهو صحفى فى التلفزيون .</p>
يونيو	<p>يقوم تجمع الشباب فى الجزائر العاصمة بتنظيم حفلة " موسيقية من أجل السلام " تضم عدة آلاف من الشباب (١ ، ٢) . وفى اليوم الثالث يصدر الحكم بإعدام لمبارك بومعارفى المتهم باغتيال بوضياف . وفى اليوم السابع يقتل فرنسيان فى الجزائر العاصمة . كما يجتمع حوالى خمسة عشر ألف شخص فى العاصمة بدعوة من الموقعين على عريضة روما (١٠) . وفى اليوم الثامن عشر تقوم الشرطة الفرنسية بـ " كبسة جديدة " ضد الإسلاميين (٢١) فى اليوم نفسه وفى مدينة قسطنطينة ، يسفر انفجار سيارة ملغومة عن إصابة حوالى عشرين شخصاً من بين عائلات رجال الشرطة .</p>

يوليو	يُغتال في باريس الشيخ عبد الباقي صحرابي أحد مؤسسي الجبهة الإسلامية للإنقاذ (١١) . وفي باريس تنفجر قنبلة في محطة سان ميشيل ويسفر الحادث عن مقتل سبعة أشخاص وأكثر من ثمانين جريحاً (٢٥) .
أغسطس	تنفجر سيارة ملغومة في بوفارق (جنوب شرق العاصمة) تسفر عن مقتل أحد عشر شخصاً وجرح حوالي عشرين آخرين (٨) . وفي اليوم السادس عشر يؤدي انفجار سيارة ملغومة إلى تدمير مبنى المحافظة في بن أكتون بالجزائر العاصمة .

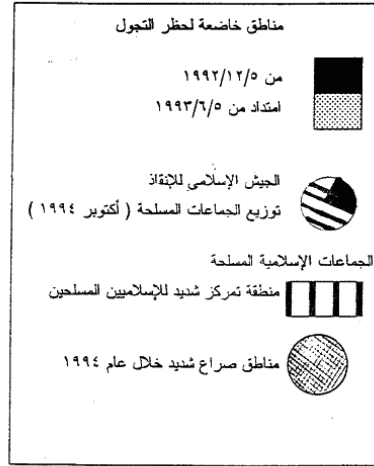
ملحق (٢)

بيانات وخرائط

٢٥٧ - ٢٥٦

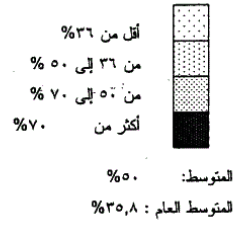


٢٥٩ - ٢٥٨

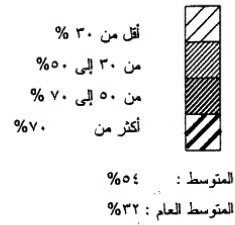


انتخابات المجالس الشعبية المحلية ، عام ١٩٩٠
المصادر : صلاح الدين شيراز " الانتخابات البلدية
والتشريعية في الجزائر " ، المناطق القروية ، أكتوبر ١٩٩٢

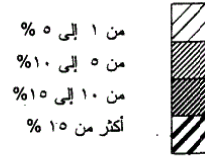
جبهة التحرير الوطني : النسبة المئوية
لعدد المقاعد التي حصلت عليها الجبهة
من المجموع الكلي للمقاعد :



الجبهة الإسلامية للإنقاذ : النسبة المئوية
لعدد المقاعد التي حصلت عليها الجبهة
من المجموع الكلي للمقاعد :



المستقلون : النسبة المئوية للمقاعد
التي حصل عليها المستقلون من المجموع
الكلي للمقاعد :

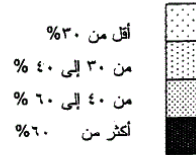


المتوسط : ٢٩ %

المتوسط العام : ٩,٣٥ %

انتخابات المجالس الشعبية للولايات ، عام ١٩٩٠ .
المصادر : صلاح الدين شيركا ، " الانتخابات البلدية
والتشريعية في الجزائر " ، المناطق القروية ، ٢٩ ،
أكتوبر ١٩٩٢ .

جبهة التحرير الوطني : النسبة المئوية للمقاعد
التي حصلت عليها الجبهة من المجموع الكلي للمقاعد .



الجبهة الإسلامية للإنقاذ : النسبة المئوية للمقاعد
التي حصلت عليها الجبهة من المجموع الكلي للمقاعد .

أقل من ٣٠ %
من ٣٠ إلى ٥٠ %
من ٥٠ إلى ٧٠ %
أكثر من ٧٠ %



المستقلون : النسبة المئوية للمقاعد
التي حصل عليها المستقلون من المجموع الكلي للمقاعد .

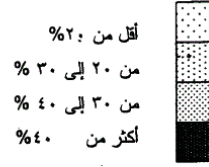
أقل من ١ %
من ١ إلى ٥ %
من ٥ إلى ١٠ %
أكثر من ١٠ %



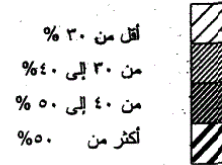
الانتخابات التشريعية ، ديسمبر ١٩٩١ .

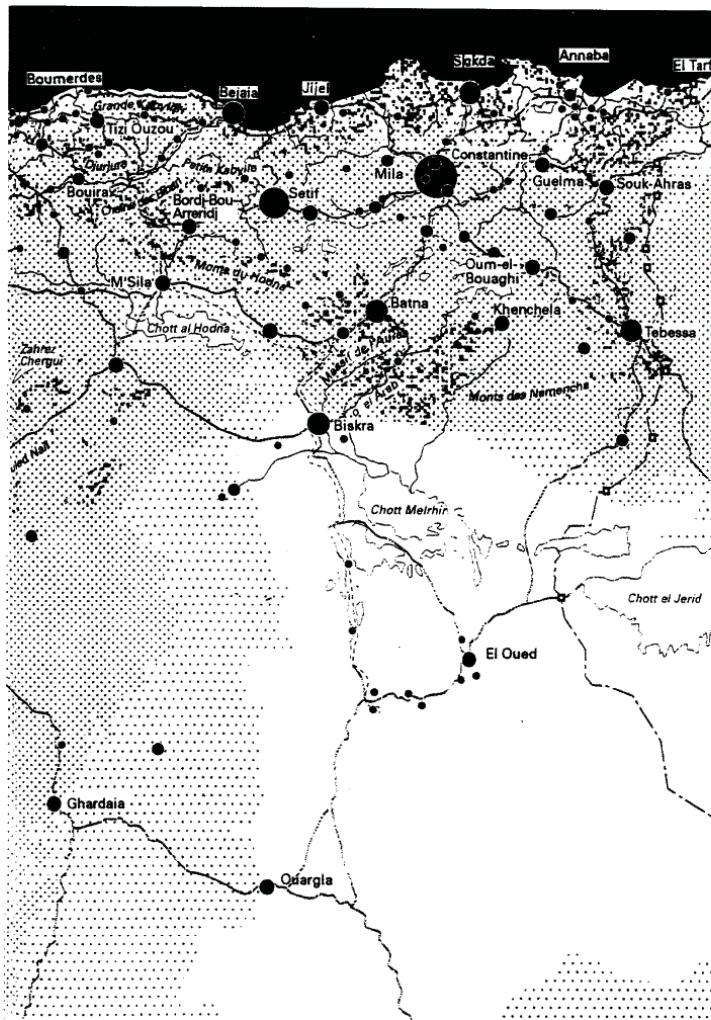
المصادر : صلاح الدين شيراد ، " الانتخابات البلدية
والتشريعية في الجزائر " ، المناطق القروية ، ٢٩
أكتوبر ١٩٩٢

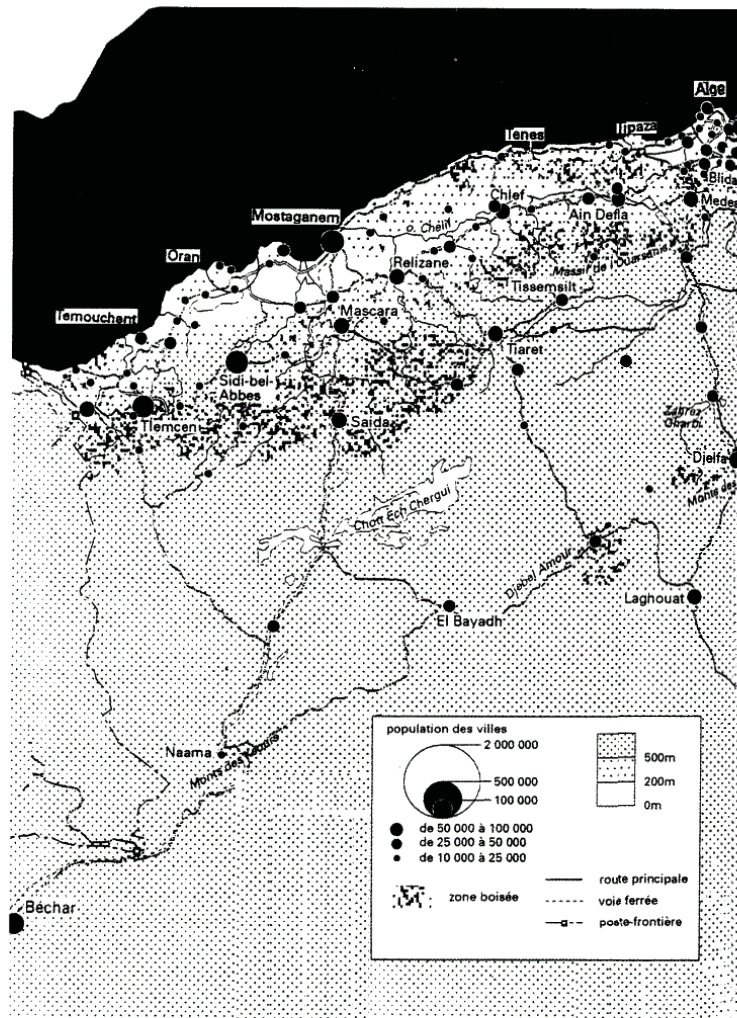
جبهة التحرير الوطني : النسبة المئوية للأصوات
من المجموع الكلي .

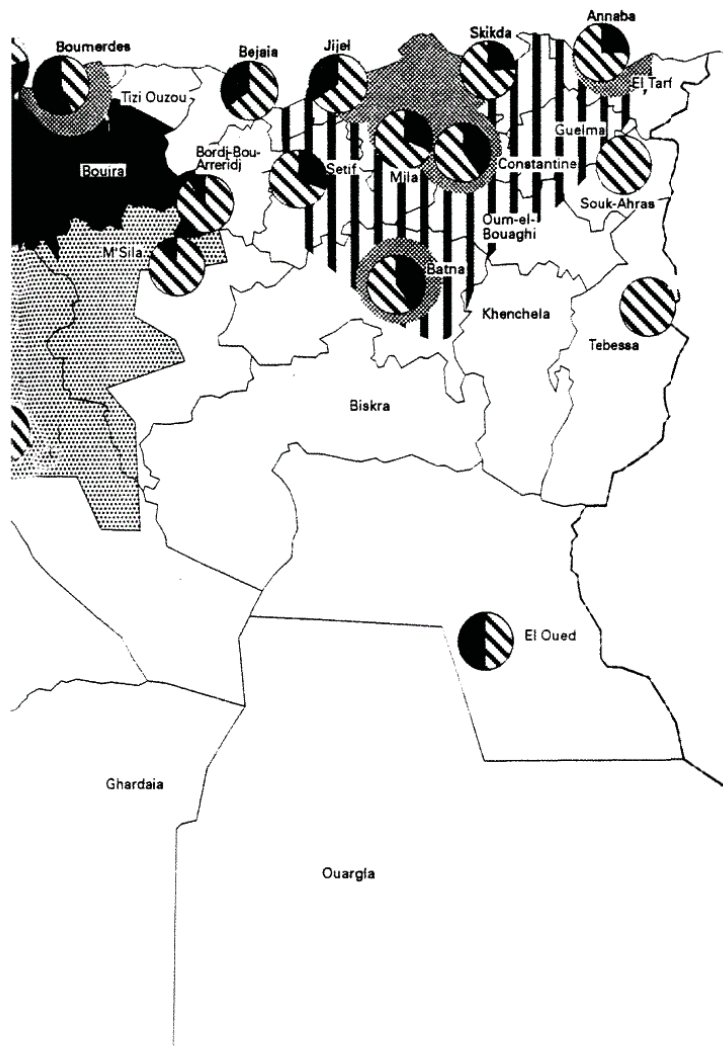


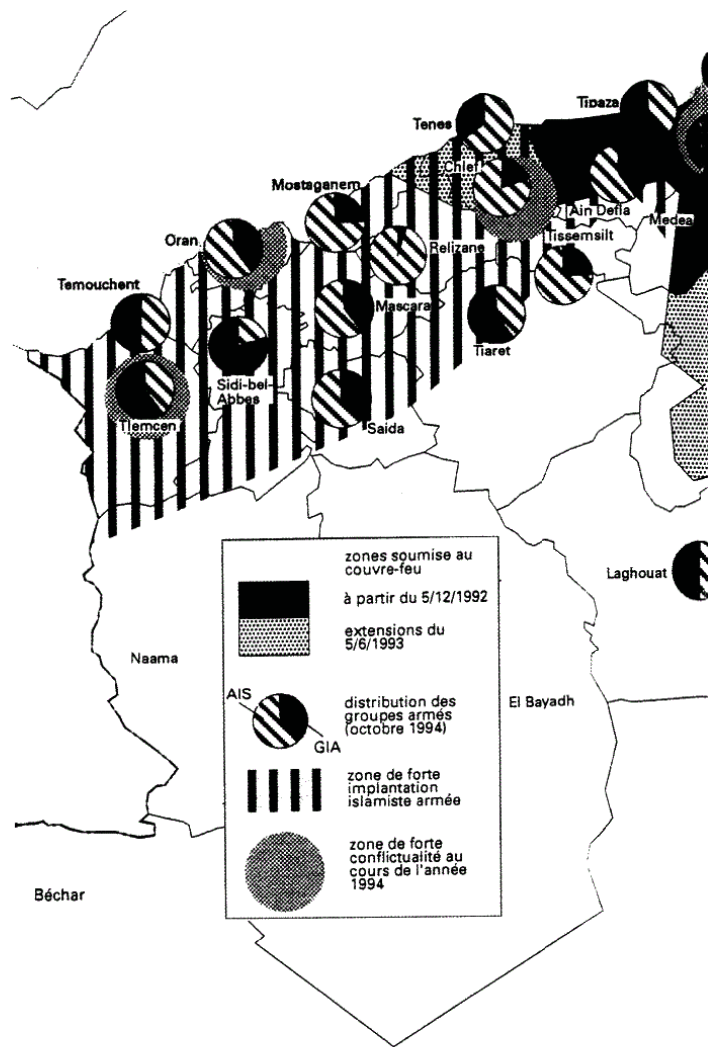
الجبهة الإسلامية للإنقاذ : النسبة المئوية
للأصوات من المجموع الكلي .



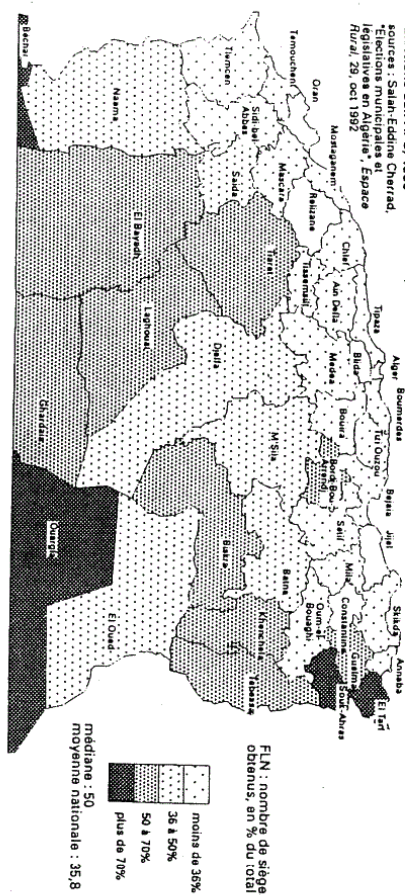


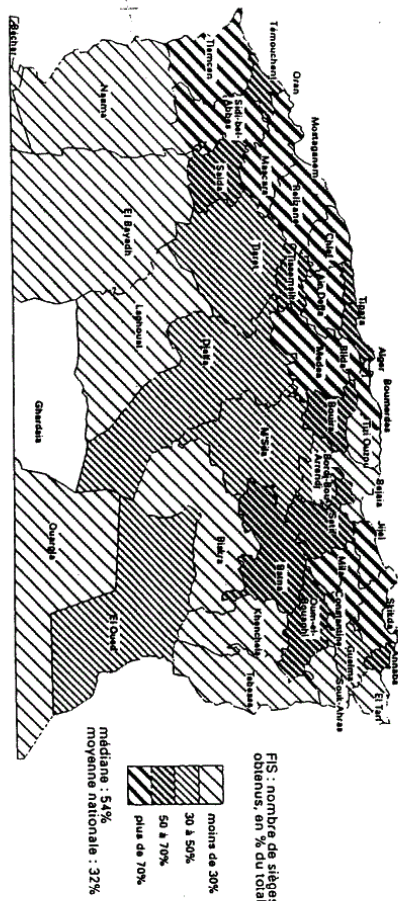


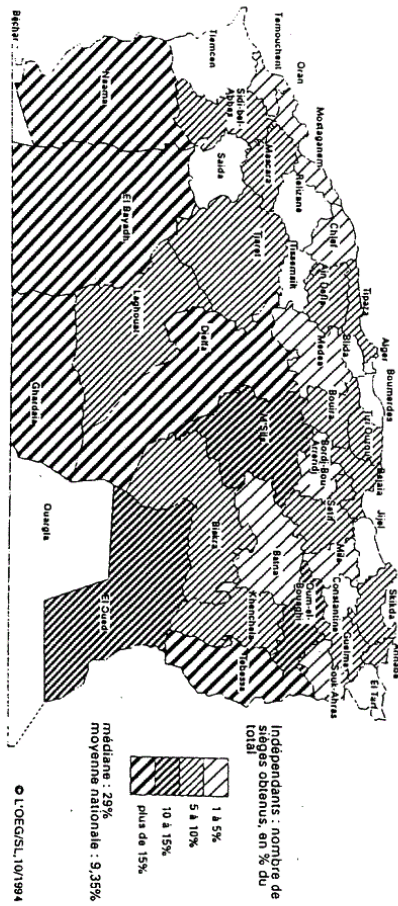


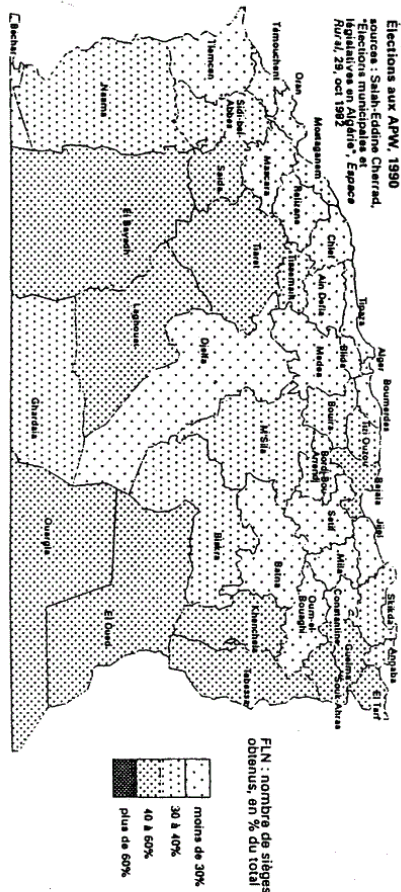


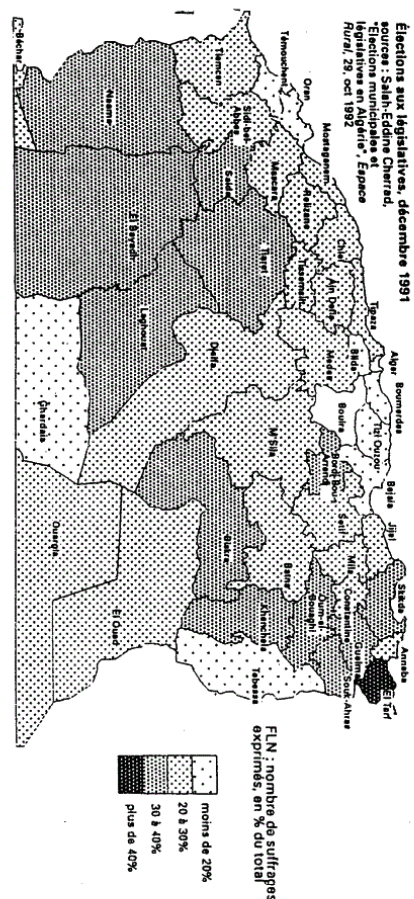
Elections aux APC, 1990
 sources : Salah Eddine Cherad,
 "Elections municipales et
 législatives en Algérie", Espace
 Rural, 29 oct 1992











- ١ - عين تيموشين .
- ٢ - وهران .
- ٣ - موتستغانم .
- ٤ - تيارزا .
- ٥ - الجزائر (العاصمة) .
- ٦ - بومرداس .
- ٧ - بجاية .
- ٨ - جيجيل .
- ٩ - سكيكده .
- ١٠ - عنابه .
- ١١ - الطرف .
- ١٢ - سوق أهراس .
- ١٣ - تبسة .
- ١٤ - الواد .
- ١٥ - ورجله .
- ١٦ - غرداية .
- ١٧ - بشار .
- ١٨ - النعامة .
- ١٩ - تلمسان .
- ٢٠ - سيدي بلعباس .
- ٢١ - سعيده .
- ٢٢ - معسكره .
- ٢٣ - تيارث .
- ٢٤ - غليسان .
- ٢٥ - أشليف .
- ٢٦ - عين الدلفه .
- ٢٧ - لبیده .
- ٢٨ - المديه .
- ٢٩ - تيزي أوزو .
- ٣٠ - بويره .
- ٣١ - برج بوعريج .
- ٣٢ - مسليه .
- ٣٣ - الجلفه .
- ٣٤ - البياض .
- ٣٥ - لغوات .
- ٣٦ - بيسكره .
- ٣٧ - باتته .
- ٣٨ - سطيف .
- ٣٩ - ميله .
- ٤٠ - قسطنطينة .
- ٤١ - جُلما .
- ٤٢ - أم لِنَواقى .
- ٤٣ - خنشله .

المؤلفة فى سطور

سيفيرين لبا ، باحثة فرنسية عاشت فى الجزائر . اهتمت بالصراعات السياسية والاجتماعية التى شهدتها الجزائر فى الربع الأخير من القرن العشرين .

كتبت بالتعاون مع آخرين :

الدراما الجزائرية ، منشورات لاديكوفرت عام ١٩٩٤

ثم الجزائر فى الحرب ، عام ١٩٩٥

جاء كتابها الأخير الإسلاميون الجزائريون ثمرة بحوث عديدة قامت بها المؤلفة فى مناطق عديدة من الجزائر ، قابلت خلالها الكثيرين من الشخصيات المهمة فى المشهد الجزائرى ، بالإضافة إلى العديد من البحوث الميدانية ، حاورت خلالها عدداً كبيراً من النماذج التى تمثل مختلف الاتجاهات فى الصراع الجزائرى .

المترجم فى سطور

حمادة إبراهيم

رئيس قسم اللغة الفرنسية بمركز اللغات والترجمة فى أكاديمية الفنون وكاتب
وناقذ مسرحى ومترجم .

من مؤلفاته الإبداعية مسرحيات :

- حامى وحرامى .
- فى انتظار الكلاب .
- الطواغيت .
- متحف الفن الحديث .
- العجل الذهبى .

ومن مؤلفاته النقدية :

- سلسلة بانوراما المسرح الفرنسى (الكلاسيكية ، الرومانسية ، المسرح الحديث) .
- إبداع الأطفال ، الحقيقة والأسطورة .
- التقنية فى المسرح .
- المسرح المعاصر من المعارضة إلى الإبداع .
- عالم صمويل بيكيت .

ومن أهم المترجمات :

- الأعمال المسرحية الكاملة للكاتب الفرنسى أوجين يونكو ، والكاتب ألفريد جارى .
- مسرح الغرفة (عشر مسرحيات لجان تارديو) .
- المشاركة فى ترجمة ومراجعة موسوعة "وصف مصر" .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث السري	جورج جيس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارينتكوف	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل قصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إقيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنلكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معصوم عبد الجليل الأزي وصرحلى
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبورسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المولى
١٥ - الحركات الفنية	إيوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنثال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمينى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صعد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلائق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانتقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصه إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحدة سبوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	الن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عبد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت: علفأأأأ / إبراهيم قتي / محمود ماجد
٤٢ - عالم مال	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزبوج	أوكتاڤيو ڤاڤ	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المنفور	روبرت ج دنيا - جون ف آ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بايلو ثيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاني
٤٩ - الإسلام في البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت: محمد برادة وعفاني الميول ويوسف الشكلي
٥١ - مسان الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التدعيمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداس
٥٣ - الدراما والتعليم	ا . ف . ألتجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البيطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت : صبرى محمد عبد الفنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سينور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبيوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم الثامن	حسنة بيجيم
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماركليود
١١٣ - راية التمرد	سادى بلانت
١١٤ - مسرحيات حماد كونتى وسكان المستنق	وول شونيكنا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (ندوة شفيق)	سينثيا تلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والطريق في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت
١٢٣ - إمبراطورية المشابهة ومعاظنها الدوية	نيل الكسندر وفناولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جرائ
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان ياسنيت
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جارتو
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوند فرانك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العمولة	مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباندا	كينيث كرون
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيفيلينا تارونى
١٣٩ - باريسقال	ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هوبرت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعى	ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى
ت : محمود على مكى	
ت : هاشم أحمد محمد	
ت : منى قطان	
ت : زهرا حسين إبراهيم	
ت : إكرام يوسف	
ت : أحمد حسان	
ت : نسيم مجلى	
ت : سميرة رمضان	
ت : نهاد أحمد سالم	
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال	
ت : ليس النقاش	
ت : بإشراف/ رؤوف عباس	
ت : نخبة من المترجمين	
ت : محمد الجندى ، ويزابيل كمال	
ت : منيرة كروان	
ت : أنور محمد إبراهيم	
ت : أحمد فؤاد بليغ	
ت : سمحه الخولى	
ت : عبد الوهاب علوب	
ت : بشير السباعى	
ت : أميرة حسن نويرة	
ت : محمد أبو العطا وآخرون	
ت : شوقي جلال	
ت : لويس بقطر	
ت : عبد الوهاب علوب	
ت : طلعت الشايب	
ت : أحمد محمود	
ت : ماهر شفيق فريد	
ت : سحر توفيق	
ت : كاميليا صبحى	
ت : وجيه سمعان عبد المسيح	
ت : مصطفى ماهر	
ت : أمل الجبوري	
ت : نعيم عطية	
ت : حسن بيومى	
ت : عدلى السمعى	
ت : سلامة محمد سليمان	

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميغيل دي ليريس	ت : علي عبد الرؤوف البعبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تاتكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأوينس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراغة	فيولان فاتوك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	التظامى الكوجي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحي
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومي
١٦١ - من المسرح الإسباني	البيخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسوي	ت : صلاح عبد العزيز محبوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جورنون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيغا	ت : سهير المصادقة
١٦٦ - العلاقات بين اللتين واللطائف في إسرائيل	يشعياهو ليتمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دلبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	أورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حمزة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل قصبج	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزْرَج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	القين كرتان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	يول دي مان	ت : سعيد القاننى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد قرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازي السيد
١٩٢ - ساحت نامه إبراهيم بك ج١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأدبي - أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل قصيب	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفارق	شمس العلماء شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة الثمانية	يعقوب لاندراوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيريمى سيبوك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شارازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهولوية تصنع علماء جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقيا	رامون خوتاسنديز	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى السرح الإسرائيلى	دان أوربان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان بوسوسير	جوناثان گلر	ت : محمود حمدى عبد الفنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - ممرقة قوم تالين خرنجلجى التمر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جينز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان ملابيعتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - راويلا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورى	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	ريئال جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد	نورمان كيماي	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	آرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سينسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تيريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم السوسقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعمرى مديولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلزافر - رايوخ	ت : نانية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاسى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م. كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إيميسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليغى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جارتيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والعداة فى مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمرق	دراجو شتامبيوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجوى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أنلاطون	ديف روينسون وجوى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكاوت	ديف روينسون وجونى جروفز	٢٥٦ - تاريخ الفلسفة الحديثة	ديف روينسون وجونى جروفز
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كلى رايت	٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كلى رايت
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمي	نخبة	٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمي	نخبة
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جورنون مارشال	٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جورنون مارشال
٢٦١ - رحلة في فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	٢٦١ - رحلة في فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إينوارد مثنوتا	٢٦٢ - مدينة المعجزات	إينوارد مثنوتا
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا
٢٦٨ - ديوان شمس تيريزى ج ٢	جلال الدين الرومى	٢٦٨ - ديوان شمس تيريزى ج ٢	جلال الدين الرومى
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وايم چيفور بالجريف	٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وايم چيفور بالجريف
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وايم چيفور بالجريف	٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وايم چيفور بالجريف
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون
٢٧٢ - الألبيرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	٢٧٢ - الألبيرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز
٢٧٣ - الاستثمار والثروة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	٢٧٣ - الاستثمار والثروة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك
٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس	٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس
٢٧٥ - د. س. إبيته شارم، وثائق، كتاب، مسرح	أقلام مختلفة	٢٧٥ - د. س. إبيته شارم، وثائق، كتاب، مسرح	أقلام مختلفة
٢٧٦ - فنون السينما	فرائك جوتيريان	٢٧٦ - فنون السينما	فرائك جوتيريان
٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف
٢٧٩ - الحرب البارودة الثقافية	فرانسيس ستونز سوندرز	٢٧٩ - الحرب البارودة الثقافية	فرانسيس ستونز سوندرز
٢٨٠ - من الالب الهنئ الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	٢٨٠ - من الالب الهنئ الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون
٢٨١ - الفريوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	٢٨١ - الفريوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وألبيرت	٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وألبيرت
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى
٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراغى	٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراغى
٢٨٧ - الثقافة والعمل والنظام العالمى	أنتونى كينج	٢٨٧ - الثقافة والعمل والنظام العالمى	أنتونى كينج
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج مونان	٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج مونان
٢٩١ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون	٢٩١ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون
٢٩٢ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون	٢٩٢ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون

٢ : إمام عبد الفتاح إمام	٢ : إمام عبد الفتاح إمام
٢ : محمود سيد أحمد	٢ : محمود سيد أحمد
٢ : عبادة كحيلة	٢ : عبادة كحيلة
٢ : فاروقان كازانچيان	٢ : فاروقان كازانچيان
٢ : بإشراف : محمد الجوهري	٢ : بإشراف : محمد الجوهري
٢ : إمام عبد الفتاح إمام	٢ : إمام عبد الفتاح إمام
٢ : محمد أبو العطا عبد الرؤوف	٢ : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢ : على يوسف على	٢ : على يوسف على
٢ : لويس عوض	٢ : لويس عوض
٢ : عادل عبد المنعم سويلم	٢ : عادل عبد المنعم سويلم
٢ : بدر الدين عرويكى	٢ : بدر الدين عرويكى
٢ : إبراهيم النسوقى شتا	٢ : إبراهيم النسوقى شتا
٢ : صبرى محمد حسن	٢ : صبرى محمد حسن
٢ : صبرى محمد حسن	٢ : صبرى محمد حسن
٢ : شوقى جلال	٢ : شوقى جلال
٢ : إبراهيم سلامة	٢ : إبراهيم سلامة
٢ : عنان الشهاوى	٢ : عنان الشهاوى
٢ : محمود على مكى	٢ : محمود على مكى
٢ : ماهر شفيق فريد	٢ : ماهر شفيق فريد
٢ : عبد القادر التلمسانى	٢ : عبد القادر التلمسانى
٢ : أحمد فوزى	٢ : أحمد فوزى
٢ : طريف عبد الله	٢ : طريف عبد الله
٢ : طلعت الشايب	٢ : طلعت الشايب
٢ : سمير عبد الحميد	٢ : سمير عبد الحميد
٢ : جلال الحفناوى	٢ : جلال الحفناوى
٢ : سمير حنا صادق	٢ : سمير حنا صادق
٢ : على اليمبى	٢ : على اليمبى
٢ : أحمد عثمان	٢ : أحمد عثمان
٢ : سمير عبد الحميد	٢ : سمير عبد الحميد
٢ : محمود سلامة علاوى	٢ : محمود سلامة علاوى
٢ : محمد يحيى وآخرون	٢ : محمد يحيى وآخرون
٢ : ماهر البطوطى	٢ : ماهر البطوطى
٢ : محمد نور الدين	٢ : محمد نور الدين
٢ : أحمد زكريا إبراهيم	٢ : أحمد زكريا إبراهيم
٢ : السيد عبد الظاهر	٢ : السيد عبد الظاهر
٢ : السيد عبد الظاهر	٢ : السيد عبد الظاهر

٢٩٢ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وايم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن التهرب بين اليونانية والسورباتية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تافايليوه	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مج	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ويها جاهين
٣٠١ - أسطورة برومتيوس مج	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوذا	جين هوب ويون فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الخاصة - النقد الكانطي لتاريخ	جان - فرانسوا ليونار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد باينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : مدوح عبد النعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وايم دي بوز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خايبير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرائم في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت : تكاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلي
٣١٧ - بلا غد	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب العربي في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتري ياسينيلاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لغة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١، ٢)	إيفي برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حية في تاريخ الفن العربي	دليليو. إيوجين كلينبار	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علاوي
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق علي منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عبد إبراهيم

٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ - عندما جاء السريدين	ستيفن جرائ	ت : سامية دياب
٣٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٣٣ - الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمي
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالي ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٣٣٨ - نترات حائزة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوي
٣٣٩ - تاريخ الأدب في إيران ج٢	علي أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمي
٣٤٢ - سلمان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ - العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيري
٣٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ - المتصورة الزاين في الأدب التركي ج١	محمد فؤاد كوبريلي	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والديون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ - يانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٣٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (متنسخة)	باسيليو بايون مالدونالد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (نقائش)	باسيليو بايون مالدونالد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٥٥ - التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعي
٣٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازي السيد
٣٥٩ - محاورات بارمينيس	أفلاطون	ت : حبيب الشاروني
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشرييني
٣٦١ - التصحر : التهديد والمواجهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وأمال شاور
٣٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقي	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ - حداثه شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ - سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

ت : البراقى عبد الهادى رضا	نخبة	٣٦٧ - القلم الجرىء
ت : عابد خزندار	جيرالد برنس	٣٦٨ - المصطلح السردى
ت : فوزية العشماوى	فوزية العشماوى	٣٦٩ - المرأة فى أدب نجيب محفوظ
ت : فاطمة عبد الله محمود	كايلا لويت	٣٧٠ - الفن والحياة فى مصر الفرعونية
ت : عبد الله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كوبريلى	٣٧١ - التسمية الزين فى الأدب التركى ج٢
ت : وحيد السعيد عبد الحميد	وانغ مينغ	٣٧٢ - عاش الشباب
ت : على إبراهيم على منوفى	أمبرتو إيكو	٣٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه
ت : حمادة إبراهيم	أندريه شديد	٣٧٤ - اليوم السادس
ت : خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	٣٧٥ - الخلود
ت : إيوار الخراط	نخبة	٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين
ت : محمد علاء الدين منصور	على أصغر حكمت	٣٧٧ - تاريخ الأدب فى إيران ج٤
ت : يوسف عبد الفتاح فرج	محمد إقبال	٣٧٨ - المسافر
ت : جمال عبد الرحمن	ستيل باث	٣٧٩ - ملك فى الحديقة
ت : شيرين عبد السلام	جوتتر جراس	٣٨٠ - حديث عن الخسارة
ت : رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٣٨١ - أساسيات اللغة
ت : أحمد محمد نادرى	بهاء الدين محمد إسفنديار	٣٨٢ - تاريخ طبرستان
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم	محمد إقبال	٣٨٣ - هدية الحجاز
ت : إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٣٨٤ - القصص التى يحكيها الأطفال
ت : يوسف عبد الفتاح فرج	محمد على بهزادراد	٣٨٥ - مشتري العشق
ت : ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٣٨٦ - نفاغاً عن التاريخ الألبى التسوى
ت : بهاء جاهين	چون دن	٣٨٧ - أغنيات وسوناتات
ت : محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٣٨٨ - مواعظ سعدى الشيرازى
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	٣٨٩ - من الأدب الباكستانى المعاصر
ت : عثمان مصطفى عثمان	نخبة	٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى
ت : منى الدروبي	مايف بينشى	٣٩١ - الحافلة الليلية
ت : عبد الطيف عبد الحكيم	فرناندو دى لاجرانخا	٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية
ت : زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٣٩٣ - فى قلب الشرق
ت : هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية فى الكون
ت : سليم حمدان	إسماعيل فصيح	٣٩٥ - آلام سيلاوش
ت : محمود سلامة علاوى	تقى نجارى راد	٣٩٦ - السافاك
ت : إمام عبد الفتاح إمام	لورانس جين	٣٩٧ - نيتشه
ت : إمام عبد الفتاح إمام	فيليب تودى	٣٩٨ - سارتر
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ديفيد ميروفتس	٣٩٩ - كامى
ت : باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠ - مومو
ت : معدوح عبد المنعم	زيادون ساردر	٤٠١ - الرياضيات
ت : معدوح عبد المنعم	ج . ب . ماك ايغوى	٤٠٢ - هوكنج
ت : عماد حسن بكر	تودور شتورم	٤٠٣ - ربة المطر والملابس تصنع الناس
ت : ظبية خميس	ديفيد إيرام	٤٠٤ - تعويذة الحسى
ت : حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥ - إيزابيل
ت : جمال أحمد عبد الرحمن	مانويلا مانتاتاريس	٤٠٦ - المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
ت : طلعت شاهين	أقلام مختلفة	٤٠٧ - الأدب الإشباني المعاصر يقام ككلمة
ت : عنان الشهاوى	جوان فونشركنج	٤٠٨ - معجم تاريخ مصر

٤٠٩ - انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠ - خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ - همس من الماضى	جينييفر أكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ٣)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ - أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ - الجمهورية العالمية للكراب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ - صورة كوكب	فريدريش نورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبى والطب والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بنوى
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ - سياسات الزمر المأهولة فى مصر الحديثة	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ - العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ - مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ - الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ - إسراعات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ - لوائح الحق والواقع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ - من طاموس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ - التفاليس بنفس أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ - بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ - الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ - هيجل	ليود سينسر وأندرجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ - كانط	كريستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ - فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ - ماكياڤلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ - جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ - الرمانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربيرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج ١)	فردريك كويلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ - رحلة هندى فى بلاد الشرق	شيلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ - بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عابدة سيف الدولة
٤٣٩ - موت المراهبى	صندو الدين عيسى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية	كرستن بروسنار	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ - حثبوسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ - اللغة العربية	كيس نورستينج	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ - أمريكا اللاتينية : الثقافات القنبية	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ - حول وزن الشعر	پرويز نائل خاثرلى	ت : محمد محمد بونس

٤٤٦ - التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ - نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٨ - علم نفس التطور	ديلان ايلانز - أوسكار زاريت	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٩ - الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيري
٤٥٠ - ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا - ريبكاريات	ت : جمال الجزيري
٤٥١ - الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ - لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناتزى / أوسكار زاريت	ت : محي الدين مزيد
٤٥٣ - القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : خليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ - خسون علماء من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كويستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ - لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ - النساء في الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ - الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ - نمط مفهوم اقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ - الفاشية والنازية	ستوارت هود - ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ - لكان	داريان ليدر - جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ - طه حسين من الأضرع إلى السوريين	عبد الرشيد الصانق محمودى	ت : عبد الرشيد الصانق محمودى
٤٦٣ - أدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ - ديمقراطية القلة	ميكايل يارنتى	ت : حصه منيف
٤٦٥ - قصص اليهود	لويس جتزريرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ - حكايات حب ويطولات فرعونية	قبولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ - التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ - روح الفلسفة الحديثة	جوزايا روس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ - جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرارق
٤٧٠ - الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد الننة
٤٧١ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج ٢	نخبة	ت : عبد الله الرارق إبراهيم
٤٧٢ - دوت كيوخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ - دوت كيوخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ - الأرب والنسوية	بام موديس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ - صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا داتيلسون	ت : عادل هلال عثمانى
٤٧٦ - أرض العباب بعيدة : بيوم الترنس	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ - تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ - الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ - المقهى (مسرحية صينية)	لوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ - تشاى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ - عيادة النوى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ - مرسومة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ - النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت : أحمد الشامى

٤٨٤ - جمالية التلقي	هانسن روبرت ياوس	ت : رشيد بنحو
٤٨٥ - التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوي	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ - الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ - الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادي	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ - الحب الذي كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ - هُسرل : الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ - أسعار البيغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ - نموس قومية من روائع الأدب الأفريقي	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ - محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى قارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ - خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ - كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيغى
٤٩٥ - اللوى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ - الحكم والسياسة فى أفريقيا	إكوانو باتولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ - العلمانية والنوع والنزعة فى الشرق الأوسط	نادية العلوى	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ - النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريونز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ - تقاطعات : الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ - فى طوافى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيوتز رويكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ - تاريخ النساء فى الغرب	آرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ - أصوات بديلة	هدى الصدة	ت : هالة كمال
٥٠٣ - مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ - كتابات أساسية ج١	مارتن هاينجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ - كتابات أساسية ج٢	مارتن هاينجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ - ربما كان قدسًا	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ - سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقي فهم
٥٠٨ - المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقي جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩ - الفقر والإحسان فى عهد سلطين المعاليك	أدم صبرة	ت : قاسم عبده قاسم
٥١٠ - الأرملة الماكورة	كارلو جولدونى	ت : عبد الرازق عيد
٥١١ - كوكب مرقع	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥١٢ - كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريغان	ت : جمال عبد الناصر
٥١٣ - العلم الجسور	تيد أنتون	ت : مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٤ - مدخل إلى النظرية الأدبية	چونثان كوار	ت : مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥ - من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت : فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦ - إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	آرنولد واشنطن - ويونا باوندى	ت : صبرى محمد حسن
٥١٧ - نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨ - استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت : هاشم أحمد محمد
٥١٩ - محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٥٢٠ - الوباع الفرنسي بمصر من العلم إلى الشروع	أحمد يوسف	ت : أمل الصبان

٥٢١ - قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	ت : عبد الوهاب بكر
٥٢٢ - إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	ت : علي إبراهيم منوفى
٥٢٣ - الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابلون مالدونادو	ت : علي إبراهيم منوفى
٥٢٤ - الملك لير	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٥٢٥ - موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت : نادية رفعت
٥٢٦ - علم السياسة البيئية	ستيفن كرويل ووليم رانكين	ت : محيى الدين مزيد
٥٢٧ - كافكا	ديفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب	ت : جمال الجزيرى
٥٢٨ - تروتسكى والماركسية	طارق على وفيل إيفانز	ت : جمال الجزيرى
٥٢٩ - بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	محمد إقبال	ت : حازم محفوظ وصحبن نجيب المصرى
٥٣٠ - مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت : عمر الفاروق عمر
٥٣١ - ما الذى حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت : صفاء فتحى
٥٣٢ - المغامر والمستشرق	هنرى لورنس	ت : بشير السباعى
٥٣٣ - تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت : محمد الشرقاوى
٥٣٤ - الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لوبا	ت : حمادة إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٠٠٣ / ١٠١٤٤

